

رسالة افتتاح الدعوة

(رسالة في ظهور الدعوة العبيدية الفاطمية)

للقاضي النعمان بن محمد (٣٦٣ -)

قاضي قضاة الدولة الفاطمية

تحقيقاً

وداد الهتاسي

دار الثقافة

بيروت - لبنان

**Collection of Prof. Muhammad Iqbal Mujaddidi
Preserved in Punjab University Library.**

پروفیسر محمد اقبال مجددی کا مجموعہ
پنجاب یونیورسٹی لائبریری میں محفوظ شدہ





رسالة افتتاح الدعوة

(رسالة في ظهور الدعوة العبيدية الفاطمية)

للقاضي النعمان بن محمد (- ٣٦٣)

قاضي قضاة الدولة الفاطمية



محققاً

وداد القاضي

دار الثقافة

بيروت - لبنان

137161

الطبعة الأولى

١٩٧٠

مقدمة التحقيق

١ - موضوع الرسالة

تناول رسالة « افتتاح الدعوة » - في معظمها - بدء الدعوة العبيدية في جزء من المغرب سنة ٢٨٠ على يد ابي عبد الله الداعي الشيعي وتحولها هناك الى تنظيم عقائدي سياسي عسكري ، عصبه النابض قبائل كتامة ومن والاها من البربر ومقره الاساسي بلد كتامة بالجزائر ، ثم تحولها قوة تستطيع ان تهزم الجيوش وتفتح البلاد من سجلماسة غرباً حتى القيروان شرقاً . الى ان قضت على آخر قلاع المقاومة الاغلبية والرسمية والمدرارية في افريقية والمغرب ، وبذلك تمهد الامر لقدم عبيد الله المهدي . فدخل القيروان سنة ٢٩٧ ، وبه بدأت الدولة العبيدية .

ولم تكن الدعوة العبيدية - كما بصورها القاضي النعمان - دعوة طارئة على افريقية ولا كان ظهورها على مسرح المغرب ظهوراً مفاجئاً . بل كان التشيع قد استطاع فيما يبدو ان يحرز موطناً قدم هناك عن طريق اثنين من الدعاة توجهوا اليه قبل ابي عبد الله الداعي بنحو من مائة وخمسة وثلاثين سنة . يسمى احدهما ابا سفيان ويسمى الآخر الحلواني ؛ فلما حل

ابو عبد الله في المغرب وجد الأرض ممهدة بعض التمهيد لنشر دعوته ، وكان مع تقدم الزمان في تلك البلاد يزداد ادراكاً لمدى انتشار التشيع بين الناس هناك . ولعل ذلك التمهيد المبكر كان يعني - في بعض نواحيه - شحن النفوس والاذهان بترقب ظهور المهدي وداعيه الذي سيضطلع بتهيئة الجو له ، وبما يصحب ذلك الظهور من ارهاصات تتكاثر وتشيع وتتحدث عن ظهور النجم ذي الذنب وعن قرب انقضاء دولة العباسيين وغير ذلك من شؤون ؛ فأخذت النفوس تتطلع الى « صاحب البذر » الذي قام ابوسفيان والحلواني قبل مقدمه بحرث الارض وتكريبها وتذليلها له ، كما اخذت تلك النفوس تطمئن اطمئناناً مبهماً الى كتب الحدثان والملاحم التي كانت ترمز الى امور يخبئها الغيب وتشيع الجو - كما تصور رسالة « افتتاح الدعوة » - بترقب ذلك الحدث الهائل الذي سيتكشف عنه مقبل الايام .

ويطيب للقاضي النعمان ان يقيم مقارنة - سوف تتكرر أمثالها في رسالته فيما بعد - بين حالة الترقب التي كانت تعيشها افريقية قبل قدوم الداعي والمهدي وبين حالة الترقب التي كانت تعيشها الجزيرة العربية قبل مبعث محمد (ص) فيقول متحدثاً عن الارهاصات بقدوم الداعي والمهدي الى افريقية : « والابخار والاشعار في هذا كثيرة تخرج عن حد هذا الكتاب ، وان الشيعة يروونها ويذكرونها ، وقد جاءت بها الروايات والابخار وبشر بها كما جاءت الاخبار بمبعث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله من قبل ان يبعث ، ورواها وذكرها كثير من العرب في الشعر والابخار كأمية بن [أبي] الصلت وورقة بن نوفل وزيد بن عمرو واسعد أبي كرب وقس بن ساعدة ونخالد ابن سنان وغيرهم » .

إلا أن بين الحالتين فرقاً أساسياً وهو ان محمداً (ص) وحده كان صاحب

التصديق لما جاء قبله من ارهاصات ، بينما ازدوجت الارهاصات نفسها في افريقية منبئة بقدوم الداعي أولاً ثم بظهور المهدي بعده . وهنا تأتي الى خاصية هامة في الدعوة العبيدية كما ظهرت في رسالة « افتتاح الدعوة » ، فان الناظر فيها يرى انها كانت تسير في خطين متوازيين : الأول خط يرسمه ابو عبد الله الداعي ومن التفّ حوله من البربر ، والثاني خط يرسمه المهدي في هجرته من المشرق الى سجلماسة ، ويلتقي الخطان عندما يتم لقاء الرجلين في سجلماسة ، ومن ثمّ يسير ذاك الخطان معاً حتى يقدم المهدي الى القيروان ويقوم بوضع أصول دولته الجديدة ويتخلص من الداعي أبي عبد الله .

أما دور أبي عبد الله الداعي فانه كان متعدد المراحل متدرج الخطوات ، ويمكن لمتبعه ان يرى نموّه في مراحل على النحو الآتي : (١) مرحلة الاعداد باليمن ؛ (٢) مرحلة التسلسل ؛ (٣) مرحلة التعليم وبسط العقيدة وتنظيم المجتمع الشيعي ؛ (٤) مرحلة التكوّن السياسي ؛ (٥) مرحلة التطهير الداخلية ؛ (٦) المرحلة العسكرية ؛ (٧) مرحلة الاستقرار التمهيدي .

(١) وقد أطال القاضي النعمان الحديث نسبياً عن بدء الدعوة الشيعية في اليمن ، فروى قصة انتداب ابي القاسم ابن حوشب للدعوة هناك وتوجهه برفقة شخص شيعي اسمه علي بن الفضل الى اليمن سنة ٢٦٨ وتحدث عن قيامه بالدعوة في اليمن وتحوّل معظم اليمن على يديه ويدي صاحبه الى معقل حصين للتشيع . ويبدو لي أن القاضي النعمان فعل ذلك لامرين ؛ الاول : رسم الصورة المثالية للداعي الشيعي اينما كان موطن دعوته ؛ والثاني : تصوير الجو الذي نشأ فيه ابو عبد الله في مرحلة اعداده للدعوة في المغرب - وقيل بل حيشما شاء - . فقد ارسله « الامام » الى صاحب دعوة اليمن ،

فمكث عنده نحواً من عام يشهد مجالسه ويخرج معه في غزواته ولا يفارقه ، فأكسبه ذلك خبرة بعمل الداعي وواجباته وما ينتظر منه وبات معداً اعداداً صالحاً للقيام بالدعوة في المغرب .

(٢) وكانت المرحلة التالية لدى أبي عبد الله هي الخروج من اليمن وايجاد الوسيلة للانتقال - او بالاحرى للتسلل - الى المغرب . وقد وجد ابو عبد الله بغيته في مكة عند خروجه للحج مع حاج اليمن ، اذ لقي فيها جماعة من الحجاج من قبيلة كتامة البربرية ، فتوسل إلى قلوبهم عن طريق التأثير الذاتي وامتلاك القلوب بقوة الاعجاب الساحر ، فأخذ يحدثهم بالطرف مما عنده بعد الطرف يجذبهم بذلك ويذكي حدة الفضول والتطلع الى المعرفة عندهم ، حتى اذا وجد ان نفوسهم قد تعلقت به وان رغبتهم في اصطحابه تزداد وتتأكد اظهر غير مرة اعترامه الانفصال عنهم واتخاذ طريق مغاير لطريقهم ليزيد من تمسكهم به ورغبتهم فيه ، فنجح في ذلك وتشبث القوم به ، وكانوا كلما تعلق بحجة تشبه عن مصاحبتهم ازدادوا إلحاحاً عليه بالمضي معهم إلى بلدهم . وكان ابو عبد الله طوال الطريق يستفسر من أصحابه الكتامين - موهماً أنه لا يقصد سوى مجرد التعرف الى شؤونهم وشؤون بلدهم - عن أحوالهم وعن مدى طاعتهم للسلطان ومدى البعد بين بلاد السلطان وبلادهم وعن عددهم ووجوه تنظيمهم الداخلي القبلي وعلاقات قبائلهم بعضها ببعض ليرى مدى صلاحية بلادهم لبدء دعوته فيها ، « وكل ذلك يسألهم ويجريه حديثاً لغير علة وهو يعي ذلك عنهم ويستخبر ما يريد من بلدهم لما يرجوه ويؤمله فيهم ، وهم عما يريد بمعزل لا يرون انه يجري ذلك الا حديثاً على ظاهر ما يرون منه » . وقد سر أبو عبد الله من حديثهم اذ - كما قال الوراق - : « صح عنده ان ليس في قبائل افريقية اكثر عدداً

ولا اشد شوكة ولا اصعب مراماً على السلطان من كتامة»^(١) . ولما استيقن أن كتامة هي الموطن الصالح لنشر الدعوة ، سار معهم ونزل في بلادهم مكرماً معززاً يتنازع الرؤساء على استضافته عندهم ، فاختار مكاناً حصيناً في جبل ايكجان المنيع وجعله مقر دعوته .

(٣) وكان لا بد لأبي عبد الله بعد ذلك من ان يشرع في تكوين المجتمع الذي سينطلق منه الى نشر دعوته في البلاد ؛ وقد تبين له بنظره الثاقب ان الدين هو المدخل الذي يكفل له حشد الناس من حوله ، فاتخذه قاعدة له ، ومكّن نفسه في كتامة عن طريق الجلوس لتعليمه فيهم مستغلاً مرة اخرى مكانة المعلم - مهما قل علمه - عندهم واستطاعته ان يجلس لتعليم شيوخهم فضلاً عن صبيانهم . وقد قضى ابو عبد الله ما يقرب من سبع سنين يبث العقيدة التي جاء داعياً باسمها في الاساس ، يحدث الناس بفضائل علي بن ابي طالب والأئمة من ولده . ولا يتناول القاضي النعمان بالتوضيح مادة العلم الذي كان ابو عبد الله يلقيه الى اصحابه ، ولكنه يبين انه كان ذا طابع فردي ومتدرج وسري معاً ، فكان يعتمد مقدار ما يكشفه الداعي منه للمتعلم على حسب رأي الداعي في المتعلم من حيث استعداده لقبوله ، « فاذا رأى الواحد منهم بعد الواحد قد لقن عنه واحسّ فيه ما يريد ألقى اليه شيئاً بعد شيء حتى يجيبه فيأخذ عليه ، ثم يأمره بالصمت والكتمان فيكتمه عن اقرب الناس اليه ، واذا سأله أحدهم عنه قال له : ابلغ توقن » ؛ قال القاضي النعمان : « وكانت كلمة علمهم اياها ابو عبد الله فكانت هجيراًهم عند السؤال » .

وبما ان ابا عبد الله كان بصدد خلق مجتمع كامل يصلح ان يكون « حزباً »

(١) البيان المغرب ١ : ١٢٥ .

له في المستقبل ، فانه وجد انه لا بد له من وضع تنظيم وتشريع يسير بموجبهما الناس الذين يدخلون دعوته جميعهم . فقسم كتامة الى سبعة أقسام ، وكل كل قسم منها الى داع اختاره من الثقات من افرادها ، وفرض على جميع اصحابه القيام بالعبادات المختلفة ، وسنّ لهم القواعد الخلقية كتجنب المعاصي واتباع اعمال البر والخير والصلاح ، فكان ذلك مقياسه في تقديمهم عنده وتأخيرهم ، لا يميز في ذلك بين غني وفقير وبين رئيس وحقير ؛ وكان يأخذهم بالعدل في الاحكام ، ويشدد في معاقبة من يستحق العقاب ويمتحنهم بالمحن القاسية ليؤكد لهم دور كل واحد منهم في اقامة الدعوة .

وكانت طبيعة الأوضاع في البلاد وظروف الدعوة تحتم على أبي عبد الله ان يعامل مجتمعه الشيعي باعتباره مجتمعاً منفصلاً عما حوله من المجتمعات ، وان يؤكد هذه الناحية في افراده ليزيد من تماسكهم الداخلي فيصعب الدخول فيهم وفتح ثغرة في كيانهم . وقد كانت الخطوة الأولى التي مهد فيها ابو عبد الله لامكان هذا التماسك من حيث الأساس انه اعتبر افراد المجتمع كلهم متساوين ، ينادي الواحد الآخر بـ « يا اخانا » ، ويتراقدون فيما بينهم ويتعاونون ويتآزرون . وينفق غنيهم على فقيرهم ويعين قويهم ضعيفهم .

وعلى الرغم من سرعة تجاوب كتامة ومن والاهها من البربر لدعوة أبي عبد الله نسبياً والتزامهم بما رسمه لهم في الدين والمسلك ، فان ابا عبد الله كان يعلم ان ذلك كله لا يكفي لخلق الحمية في النفوس للمذهب والدعوة معاً ، ولذلك ذهب امام اصحابه الى المقارنة بينهم وبين مجتمع المسلمين الاوائل الذين التفوا حول النبي (ص) وقاموا بدعوته وحاربوا حروبه ، فأطلق على اصحابه اسم « المؤمنين » واطلق على مناوئتهم اسم « الكافرين » ، وانتقل بجماعته كما فعل النبي (ص) « مهاجراً » الى تازروت وأسمائها « دار الهجرة » .

ولا ريب في أن أبا عبد الله استطاع أن يشعر كتامة بأن الدعوة أداة لوحدها القبلية مثلما هي رابطة تجمعها في وجه من يناوئها من قبائل . هذا الى ما بعدها به ذلك التكتل من نصر ومجد ومال ، ولعلّ السياسة المالية التي اتبعها أبو عبد الله ثم نقضها المهدي من بعد ، وكيف أدّى ذلك الى تخاذل كتامة بعض الشيء ، كل ذلك يدلنا على أن الرابطة الدينية لم تكن كافية وحدها لجمع الناس حول أبي عبد الله .

غير ان العامل القوي الذي امدّ دعوة ابي عبد الله بالحياة والحركة ووسم افرادها بالحمية والاندفاع والاستبسال حتى الموت فهو شخصية ابي عبد الله الداعي نفسه لما تميزت به من التفاني في العمل والمقدرة على بث هذا التفاني في نفوس الآخرين ، ولما كان عليه من الوقار والتواضع والتعفف والاعراض عن الدنيا والقناعة في الملبس والمأكل والمشرب والمركب . فانه كان يرغب في خوض المخاطر التي يتعرض لها اصحابه بنفسه ويحضهم دائماً على الاقبال على واجباتهم تجاه الدعوة والمجتمع ويؤكد لهم حتمية النصر لهم . مستشهداً بالقرآن حيناً وبالحدِيث حيناً آخر ؛ ثم انه كان يرغب ان ينادى بـ « يا اخانا » مثل الآخرين في مجتمعه ولا يتأخر عن تقبيل يد من يقبّل يده كائناً من كان . ويظل على لباس الدون . وقد رفض ان يتزوج فترة طويلة . حتى اذا تزوج اكتفى بام ولده . فكان في وجود ابي عبد الله مع اصحابه اتقاد دائم لشعلة الايمان بالدعوة وبجتمية الانتصار ووجود دائم لصورة المثال المرجو من الفرد تحقيقها في وسط مجتمع اريد له ان يكون ايضاً مجتمعاً مثاليّ السمات .

وقد اجتمع الى ذلك كله قدرة فذة لدى ابي عبد الله في فهم النفسيات والتغلغل الى أعماقها ، ولهذا يميل الدارس الى تصديق قوله من بعد ، حين أخذ ينتقد بلطف سياسة المهدي قائلاً : « يا مولانا ، ان كتامة قوم قد قومتهم

بتقويم ، واجريتهم على ترتيب وتعليم ، وتم لي بذلك منهم ما اردت ، وبلغت بذلك منهم ما قصدت ، وهذا الذي فعلته انت بهم من اعطائهم الاموال وتوليتهم الاعمال ، وما امرتهم به من اللباس والحلي فساد لهم للخروج من عاداتهم ، فلو تركتهم كما كانوا الى ان ابشرهم دونك ، امرهم وانهاهم واقيمهم على ما عودتهم واجريهم على آدابي لهم وألي حروبك بهم واحكم الامور دونك فيهم وفي غيرهم فتكون وادعاً في قصرك لا يصل احد منهم ولا من غيرهم اليك ، ليكون ذلك اهيباً لك واشد لأمرك وأرجى لما ترجوه من تمامه وكماله وانتظامه « ؛ فقد كان بما أوتيته من ذكاء نافذ وقوة في الشخصية وامتداد في زمن الاختبار والتجربة أقدر من المهدي نفسه على رؤية مصلحة الدعوة ، ولكن لم يكن ثمة خيار حين وقع الصدام بين الرجلين اذ كان على العقل المتمرس بشؤون إرساء الدعوة وقيادة حركتها العسكرية أن يتنازل عن دوره عندما ظهر العقل المستعد لبناء الدولة وتنظيمها ، وهي قصة تتكرر مع الأيام .

(٤) ازاء كل هذا ، ومع اتساع نطاق الدعوة وتكاثر اعداد المنضوين تحت لوائها كان من الطبيعي ان تتولد ردود فعل عنيفة على الصعيد السياسي لدى بعض أصحاب السلطان في بلد كتامة ولدى صاحب إفريقية من بني الاغلب ، خوفاً من تمكن حزب الدعوة من التحرك بشكل يهدد النظام السياسي القائم ؛ فأما صاحب ميعة فانه حاول ان يهدم التجمع الشيعي عن طريق استنزال قطبهم والرجل الذي عليه مدار أمرهم الى الاختبار بمواجهة العلماء ، ثم عن طريق التخويف ، واما صاحب افريقية ابراهيم بن أحمد فانه توعد وأندر واطهر شيئاً من الاحتقار المزوج بالشك في مطامع ابي عبد الله غير الدنيوية . وقد كان هذا الموقف من ابراهيم بن أحمد دليلاً على

ابتداءً اعتباره «الوزن السياسي» لدعوة أبي عبد الله، ومن هنا كان جواب أبي عبد الله له على المستوى ذاته. فانه رفض اتهام ابن الاغلب له بالطمع في نيل اعراض الدنيا وحوّل الاتهام الى بني الاغلب، وصرّح للمرة الاولى خارج نطاق أصحابه - فيما نعلم - باغراض دعوته السياسية فقال: «اني ادعو الى الله عز وجل وإلى كتابه وإلى الامام المهدي من ذرية رسوله دعوة محتج عليه وراغب فيما ينجيه»، ثم قطع الطريق على اية مواجهة سياسية محتملة بعد هذا إذ عبر عن استعدادة لقتال ابن الاغلب وعن ثقته بأن النصر سوف يكون حليفه.

(٥) غير ان المجتمع الذي أقامه ابو عبد الله لم يكن مهدداً للنظام السياسي وحده بل كان ايضاً مهدداً للنظام القبلي السائد بين كتامة وغيرها من قبائل البربر. ذلك ان هذا المجتمع يضع سلطة جديدة فوق سلطة مشايخ القبائل فيهدد سلطة هؤلاء المشايخ، كما أنه يقسم ولاء الفرد بين ولاء لقبيلته وولاء لمجتمعه الجديد، بالاضافة الى انه يحوّل المصالح القبلية الى مصالح عامة تنصرف إلى غير قبيلة داخل المجتمع الشيعي. من هنا كان الصدام بين قبائل كتامة الموالية لأبي عبد الله وقبائل كتامة المناوئة له صداماً منتظراً زادت احتمالاته اثر الصدام السياسي بين أبي عبد الله وسلطان افریقیة. وبالفعل تم تحالف ما بين أصحاب ميلة وسطيف وبلزمة من الأمراء وبين اكابر كتامة. وحاولوا شق صفوف أبي عبد الله بالالتجاء مرتين متتاليتين إلى اذكاء الطمع لدى بعض كبراء القبيلة، ولكن تسرع أصحاب هذا التحالف في إظهار نواياهم العدوانية تجاه جماعة الداعي جعلهم يخسرون قضيتهم أمام الطامعين، ولم تأتِ المواجهات العسكرية مع جماعة أبي عبد الله بنتائج أحسن لهم، فانفك تحالفهم وتمكن ابو عبد الله من تثبيت قدمه بقوة أكبر وفعالية أكثر

في كتامة ، فدخل الدعوة من كان لم يدخلها منهم « طائعين ومكرهين وراغبين وخائفين » ، تتنازعهم الدوافع ويفرض الأمر الواقع نفسه عليهم فرضاً ، حتى خلصت كتامة للدعوة الشيعية او كادت ، وبذلك تمت عملية التطهير الداخلي وبات ابو عبد الله مستعداً للمواجهة العسكرية التي لا بد منها مع المناوئين له من القبائل وأصحاب السلطان ، اذ لم يعد يلوح في الافق من وسيلة للاستمرار في توسع الدعوة غير الحرب .

(٦) وكان موقف ابي عبد الله في شتى المواجهات العسكرية التي اضطر اليها نابعاً من دراسة دقيقة لوضعه ووضع أصحابه من النواحي المختلفة تجاه اعدائهم . وقد كان على كتامة ان يواجهوا من الناحية العملية جيوشاً تفوقهم عدداً وعدة في معظم الأحيان ، وهذا الوضع فرض على ابي عبد الله مناهج معينة في تسيير عملياته العسكرية ، وهي مناهج يمكن الاستدلال عليها من مختلف المعارك التي خاضها أصحاب الدعوة ضد الاغلبة وغيرهم ممن وقف في صفهم ، منها :

أ - الافادة قدر الامكان من الاماكن الطبيعية التي توفر لهم الحماية والتحصين كجبل ايكجان الحصين مثلاً .

ب - الاعتماد على استطلاع امر العدو عن طريق الطلائع الاستكشافية او الجواسيس من أجل تدارك خطره الداهم بالاستعداد الملائم له ، كما حدث في مواجهتهم عسكر ابن حبشي .

ج - استعمال اسلوب الغارات المتقطعة التي تشبه حرب الاستنزاف ، يضرب القائمون بها المكان الواحد ثم يعودون الى قواعدهم ، ثم يضربون المكان نفسه مرات متتالية ، حتى اذا تمكنوا من التأثير في

اهله سلباً واحسوا منهم ضعفاً توجهوا اليهم بزحف كبير يعجزون
عن رده فيقع المكان في ايديهم ، وهذا ما حدث في فتح سطيف
وطبنة وبلزمة .

د - عدم التورط في مواجهات واسعة مع العدو حين يكون ما يتوقع من
تلك المواجهات فضلاً مستغنى عنه ، او حين تكون تلك المواجهات
نفسها غير مأمونة العواقب ؛ عند ذلك تكون السلامة اقصى ما
يطلبه ابو عبد الله ، وهذا ما سنه للفرسان الذين توجهوا لحماية بني
ورديم ، وما فرضه على عساكره لدى اقتراحهم ان يهجموا على
خندق ابي حوال في جولته الثانية معهم رغبة في تخويله وحمله على
الهرب ومن ثم الاستيلاء على عدة أصحابه وأمتعتهم .

هـ - التحكم في التوقيت بحيث يصير الزمن عاملاً في صالحهم وقد يولد
الاضطراب او الحيرة لدى اعدائهم ، كما حدث عندما ابقى ابو
عبد الله ابراهيم بن حبشي ستة أشهر في عسكره بقسطنطينة فلم يتحرك
اليه الا بعد ان نفذ صبر ابن حبشي وفقدت عساكره الكثيرة العدد
ما كان لديها من تلاحم .

و - القبول بالصلح ومنح الامان حيثما جاء طلبهما من جانب الاعداء
عن خوف واستسلام غير مريبين . وان لم يتم ذلك الا بعد قتال .
كما حدث في فتح تيجس وقالة وقفصة .

ز - اللجوء الى المناورة لكسب المعركة ، كما حدث في فتح الاريس حين
ارسل ابو عبد الله بضع مئات من رجاله الاشداء يهاجمون اعداءهم
من الخلف على غرة .

ح - الافادة من نقاط الضعف عند العدو من جهل بعض القواد (مثل ابن حبشي) او اضطراب صفوف العدو (كما حدث في وقعة دار ملول) .

غير ان عوامل كثيرة تضافرت لتثبيت النصر النهائي لابي عبد الله الشيعي ولتخضع له بقوة السيف البلاد الواسعة ما بين سطيف غرباً والقيروان شرقاً وما بين طبنة جنوباً وقالة شمالاً . اما العامل الأكبر الذي حسم الامر لصالحه فهو الحالة النفسية التي وضع كتامة فيها ، فان وجوده الدائم معهم ورفضه النجاة بنفسه من دونهم وحضه لهم دائماً على الجهاد في سبيل الغاية الكبرى وهي اقامة دولة المهدي ، وطعنه في الاغلبة والعباسيين ، ثم تكراره لثقتة بالنصر لهم ، كل ذلك جعل كتامة تنفذ اوامره بدقة وتنهض الى القتال بروح المؤمن بقضيته المستشرف للنصر الراغب رغبة اكيدة في الاستبسال بأي ثمن حتى إحراز النصر . وكان وصول الغنائم إلى ايديهم وابقاء ابي عبد الله على اموالهم عاملاً اضافياً يشد عزائمهم في الحرب عن طريق اثاره الطمع في الكسب في نفوسهم . ولا ريب في أن الفساد الذي كان سائداً في ساحة صاحب افريقية زيادة الله بن الاغلب واسترساله الى جماعة من اهل العبث والمجون ثم ركونه الى الهرب لدى اشتداد خطر الداعي بدلاً من الثبات له كان عاملاً يتجه نحو صالح ابي عبد الله من الناحية العملية ومن الناحية الدعائية معاً ، فانه افسد سمعة زيادة الله في الوقت الذي كان فيه صيت ابي عبد الله وما يتمتع به من زهد وتواضع ووقار ووفاء بالعهد والامانة يشيع بين الناس . كذلك كان للخوف تأثيره في انتصار دعوة ابي عبد الله ، فانه كان العامل الذي جعل غير موقع من المواقع لقمة سائغة في ايدي أصحاب الدعوة العبيدية .

(٧) ولما دخل ابو عبد الله رقادة سنة ٢٩٦ دخلت دعوته في طورها

الآخر ، ولم يبقَ إلا ان يسلم الامر لصاحبه ، فأقام برقادة بضعة اشهر
 احدث فيها رسوماً تتخطى ما كان رسمه لمجتمعه الضيق من قبل ، فغيّر السكة
 وشعار السلاح والخيل وعدّل التعديل الذي تجريه الشيعة في الأذان ، وكتب
 كتاباً ذكر فيه ما يطلب من الناس من السلوك بحسب السيرة الدينية واشتد
 في طلب المخالفين لاوامره ، ولم يأمر بالخطبة لأحد اذ كان بعد لم يقابل
 المهدي ، واستخلف مكانه ابا العباس اخاه وواحداً آخر من كبار أصحابه
 وسار إلى سجلماسة للقاء المهدي .

ذلك هو دور ابي عبد الله .

اما المهدي فان هجرته من المشرق الى سجلماسة مبنية في رسالة « افتتاح
 الدعوة » على امرين واضحين : الاول : ان المشقات التي لقيها المهدي في
 طريقه لم تكن غير متوقعة لأنه كان معروفاً في النبوءات « ان للمهدي هجرة
 تنبو عن الأوطان في زمان محنة وافتتان ... » ، والثاني : ان حماية الله للمهدي
 ونجاته وبقائه سالماً إلى حين تسلمه أمر الدعوة كان تدبيراً مسبقاً من الله « لما
 اراده الله عز وجل من تمام أمره وبلوغ الكتاب اجله » .

وفي سجلماسة ذلك صاحب الدعوة آخر قلاع المقاومة في المغرب لاقامة
 دعوته ، وسار منها برفقة صاحب الدولة الى القيروان ، فقام المهدي بارساء
 قواعد دولته على سيادة التشيع وسيادة شخص المهدي وآله . فقام عليه غير
 نادر ، فوضع السيف فيهم ، « وحمى الله عز وجل وليه من بأسهم وأظفروه
 بهم كما حمى جده محمد (ص) من بأس مشركي قريش لما تمالأوا عليه » . وكان
 فيمن قتله ابو عبد الله الشيعي داعي دولته واخوه ابو العباس وكثيرون غيرهما .
 ويحاول مؤلف الرسالة ان يحمل الجانب الاكبر من المسؤولية في الانشقاق
 الذي حدث وأدى الى قتل الداعي لأخيه ابي العباس . وهو موقف يخمي
 المهدي من النقد مثلما يخمي منبت الدعوة وشجرتها . اذ كان الحادث يتطلب

موقفاً «اعتذارياً» - ان صح التعبير - ؛ ولكن ذلك الصدام كان آتياً ولا بد ، سواء أكان بتحريض ابي العباس وأعوانه ام لم يكن ، لاختلاف الرجلين في دوريهما التاريخيين وتباعد مفهوميهما في النظر الى كثير من الامور . ولما تخلص المهدي من الداعي ومن اتهم بالتآمر معه ، أخذ في ارسال الجيوش الى النواحي ، وظل الحال كذلك في ايام ابنه القائم وحفيده المنصور ثم في ايام المعز لدين الله الذي كتبت رسالة «الافتتاح» في دولته (سنة ٣٤٦) ، وقد لجأ المؤلف إلى سرد تلك الاحداث سرداً سريعاً لأنه لم يكن يهدف الا الى تصوير خطوات الدعوة نفسها .

٢ - رسالة افتتاح الدعوة بين المصادر التي ادرخت للدعوة العبيدية :

تعرض كثير من المؤرخين للحديث عن نشأة الدعوة العبيدية واستقرارها دولة شيعية في افريقية ، الا ان ما يميز القاضي النعمان بين هؤلاء المؤرخين جميعاً يتلخص في ثلاثة امور ؛ الاول : انه يكتب عن الدعوة العبيدية وحدها من دون سائر الاحداث التاريخية المعاصرة لها ؛ الثاني : انه يكتب في النصف الأول من القرن الرابع (سنة ٣٤٦) اي بعد مضي نصف قرن فقط على الاحداث التي سجلها في رسالته ؛ الثالث : انه يكتب عن نشأة الدعوة للدولة التي أصبح هو نفسه يشغل منصب قضاء القضاة فيها ، وعن دعوتها الى العقيدة التي يعتبر هو من كبار المشرعين فيها . وليس غرضي هنا ان اتحدث عن القاضي النعمان وانجازاته في الفقه والتشريع الاسماعيليين وعن دوره في الحياة السياسية الفاطمية ، فهذا موضوع تعرض له الدارسون بالبحث المفصل^(١) ، ولكني

(١) انظر شيئاً في سيرة القاضي النعمان ومصادر دراسته في - Guide to Ismaili Literature, pp. 37-40 و « Nu'man b. Mohammad » في Encyclopaedia of Islam, vol. III, p. 953.

اود ان اشير الى ان الخصائص التي ذكرتها قبل يمكن ان تحدد لنا قيمة سائر المصادر المختلفة التي تتحدث عن الدعوة العبيدية ، وأن تبين لنا مكان رسالة « افتتاح الدعوة » بين تلك المصادر .

اما الأمر الأول - أعني اقتصار المؤلف على الحديث عن الدعوة العبيدية وحدها دون سائر الأحداث التاريخية الموافقة لها في الزمن - فانه مكن المؤلف من التركيز على تاريخ تلك الدعوة والدخول في تفصيلاتها وهو آمن من التشتت الذي قد يقع فيه كاتب التاريخ العام ، كما انه جعله ينظر اليها حركة متكاملة التكوين نامية متطورة تتحرك على مختلف المستويات البشرية والدينية والتنظيمية والعسكرية باتجاه الهدف الكبير الذي يسير اصحابها اليه . مقابل هذا ، يبدو للناظر في المصادر التاريخية العامة التي تحدثت عن الدعوة العبيدية والمصادر الخاصة بالفاطميين ان امثال ابن عذارى في « البيان المغرب » والذوادارى في « الدرّة المضيّة » والمقرىزى في « اتعاظ الحنفا » لم يستطيعوا ان ينجوا من التشتت في تأريخهم للدعوة العبيدية لأسباب متفاوتة : فالأول اتخذ المبدأ « الحولى » وحدة في سرد أحداث تاريخه ، والآخرون لم ينجوا من تشتت النقل وتداخل الموضوعات ووجود الحشو ، وتلك أمور سلم منها ابن الاثير في « الكامل في التاريخ » وابن خلدون في « العبر » والمقرىزى نفسه في « الخطط » اذ خصص كل واحد منهم فصلاً للدعوة العبيدية توقفوا عنده قبل ان يمشوا في سرد الاحداث التاريخية العامة التي حدثت في الفترة نفسها او في الفترة التي تلتها . غير ان ابن الاثير لم يتمكن من ابراز الدعوة العبيدية دعوة متكاملة الجوانب ، وظلت عنده أقرب إلى أن تكون سلسلة من الاحداث المتلاحقة . وكان توخى الاختصار عنده وعند الذوادارى وعند ابن خلدون والمقرىزى داعياً الى اهماله كثيراً من جوانبها - وخاصة جانب التنظيم الاجتماعى

الذي يمثل محاولة الداعي بناء القاعدة « الحزبية » لانطلاق الدعوة والذي يعتبر الصورة المصغرة للتنظيم في الدولة المنشودة - ، وان كان وعي ابن خلدون الحاد لحذور الدعوة واهدافها وربطه بينها جميعاً قادراً - رغم الاختصار - على ان يجنب صورة الدعوة العبيدية في كتابه من ان تظهر بمظهر مختل ، وربما كان لهذا سبب آخر سأعرض له فيما بعد . كذلك فان بعض المصادر لم يتعرض الا لجوانب معينة من الدعوة العبيدية لأنه يختلف بطبيعته ومنهجه عن رسالة « الافتتاح » او كتب التاريخ العام وما يشبهها ؛ فصاحب « سيرة الحاجب جعفر » يهتم بدور المهدي في الدعوة العبيدية ، ولذلك يبدو فيها دور ابي عبد الله - وهو ما يحتل الجزء الاكبر اطلاقاً في « الافتتاح » - دوراً صغيراً ، ومؤلفو « الحلة السراء » و « تاريخ دمشق » و « وفيات الاعيان » كتاب تراجم فلا يرد في كتبهم من الاخبار عن هذه الدعوة الا ما يجيء في عرض تراجم الأشخاص الذين لعبوا دوراً بارزاً في تلك الدعوة ، سواء أكانوا من العبيدين او من مناوئهم .

اما الامر الثاني ، أعني قرب القاضي النعمان نسبياً من زمان الدعوة ، فقد جعل رسالة « الافتتاح » نفسها مصدراً يأخذ عنه المؤرخون - سواء اشاروا الى ذلك أو لم يشيروا اليه - بكل بقدر اهتمامه وبحسب غرضه ، حتى ان كاتباً مبكراً مثل محمد بن محمد اليماني صاحب « سيرة الحاجب جعفر » (التي كتبت قبيل ٣٦٥) احوال على « افتتاح الدعوة » عندما أراد ان يتحدث عما سمّيته « مرحلة التسلسل » في دور ابي عبد الله الداعي في اقامة دعوته (١) ، وحتى ان اسماعيل بن الحسن (القرن التاسع) في السُّبُعَيْنِ الرابع والخامس

(١) سيرة الحاجب جعفر : ١٢٥ .

من كتابه « عيون الاخبار » نقل ما جاء في رسالة « الافتتاح » عندما تحدث عن الدعوة العبيدية^(١). غير ان افتتاح الدعوة لم تكن مصدراً لكتاب التاريخ الاسماعيليين وحسب ، بل اتخذها المؤرخون الآخرون مصدراً اساسياً لهم على ما يبدو ؛ فمعظم ما جاء في كتاب « الكامل » لابن الاثير عن قصة الدعوة يمكن أن تتبع اصوله في رسالة « الافتتاح » ، وكثيراً ما تجد العبارة نفسها منقولة فيه كما وردت عند القاضي النعمان ، فهو يبدو وكأنه تلخيص انتقائي للأحداث من مادة كتاب القاضي النعمان . اما الفصل الخاص بالعبيديين في « عبر » ابن خلدون فانه يمثل تتبعاً دقيقاً مبنياً على الاختصار لتطور الدعوة كما عرضها القاضي النعمان في « الافتتاح » . بحيث ان مراحلها المختلفة وتفصيلات أحداثها ورجالاتها ومناوئتهم (وان تصحفت اسماءهم في كتاب « العبر » المطبوع) ينالون المكان نفسه الذي نالوه عند القاضي النعمان على نحو موجز : واذا كان قد سقط بعض فصول رسالة « الافتتاح » من « العبر » اثناء الاختصار - فيما يبدو لي - فان نص ابن خلدون لم يصب بالحلل من ناحية تصوير التطور الاجمالي للدعوة بسبب متابعتة للقاضي النعمان في مجمل الرسالة من ناحية ، وبسبب وعيه الدقيق لابعاد الدعوة العبيدية كما اشرت سابقاً . كذلك أخذ الدواداري في « الدرّة المضيّة » مقاطع قصيرة متفرقة من رسالة « الافتتاح » ، وكان النقل لديه حرفياً ، كما أن المقريري ينقل في « اتعاظ الحنفا » نقلاً مطابقاً لما في الرسالة في بعض المواطن . ويلخص تلخيصاً سريعاً في مواطن

(١) انظر ما يقوله الاستاذ ايفانوف في هذا الصدد في كتابه : Ismaili Literature, art. 270 : وقد تمكنت من الحصول على نسخة من السبع الرابع من كتاب عيون الاخبار هذا فوجدت نصه متابعاً لنص الافتتاح في مجمله . ولم يمكن ان اعتبره اصلاً اضافياً على النسخ المتوفرة لدي من رسالة الافتتاح بسبب تصرف مؤلفه في النقل عنها .

أخرى ، وذلك هو أيضاً ما فعله علي نحو مقارب في موضعين من كتابه الآخر « الخطط المقرينية » .

أما الامر الثالث ، وأعني أن القاضي النعمان يكتب عن نشأة الدعوة للدولة التي اقترن بها بصلات وثيقة ، فانه اكسب الرسالة توثيقاً خاصاً لدى المؤرخين ، وسمح باظهار العناصر « الداخلية » و « الاسطورية » وما يشابهها في الدعوة الاسماعيلية في اليمن والمغرب ، وهو جانب لم يعنَ بابراره عن داعي اليمن ودعوته هناك كتاب تاريخ اليمن الذين وصلتنا مؤلفاتهم كنشوان وعمارة ويحيى بن علي والعرشي ؛ ولما تعرض صاحب كتاب « الاستبصار في عجائب الامصار » للحديث عن قصة دعوة داعي اليمن خلط بينه وبين داعي المغرب واورد قصة مخالفة في تفصيلاتها لقصة دعوة ابن حوشب عند القاضي النعمان . غير ان هذا العامل المميز نفسه للقاضي النعمان يكسب رسالته صفة ليست في صالحها تجعلها تعبيراً عن نظرة انتماء لا تبرئها من ظنة التحيز . فهو مثلاً لا يبحث في هوية « الامام » والد المهدي ولا يسميه ، ولا يخوض في نسب المهدي اصلاً على اعتبار الايمان المبدي بصحة صلته بعلي بن أبي طالب ، بينما اكثرت من الحديث عنه كتب مؤرخي أهل السنة كابن الاثير والدواداري وابن عذارى وابن خلدون والمقريني وغيرهم كثيرين وتصدت لوجهات النظر المتباينة في ذلك . كذلك اضاف بعض مؤلفي مصادر أهل السنة مادة لا يمكن ان ترد في كتاب القاضي النعمان ، ومن ذلك طعن ابن الاثير في تعاليم ابي عبد الله ووصفها بالحيلة والمخرقة . وفي هذا المجال يبدو كتاب « البيان المغرب » لابن عذارى متفرداً في مادته عن الدعوة العبيدية بأسرها ، ويبدو أنه من المؤكد ان كتاب القاضي النعمان لم يكن بين مصادرہ التي ينقل عنها - وان كان من المحتمل انه اطلع عليه ؛ فهو ينظر الى هذه

الدعوة نظرة المؤرخ غير المتحيز لفئة دوى اخرى وغير المنغمس في أساليب فريق دون فريق ؛ فصورة الدعوة في أساليب صاحبها الخاصة لكسب الفئات التي يريد ان يقيم دعوته بمعونتها تبدو في شتى مراحلها بسيطة طبيعية لانها صحيحة الاسس محتمة النتيجة فهي لا تحتاج الى تعليق « اخلاقي » كالذي يرد في تاريخ القاضي النعمان ، بل تظهر في كتاب ابن عذارى حركة سرية سياسية تعدّ الحيلة والخداع ودراسة أحوال البلاد وتصيد الثغرات والدخول منها الى الافراد والمجتمعات ، بالاضافة الى ما تضطر اصحابها اليه من التجاوز عن اعمال القتل والحرق والنهب والتدمير والمنازعات الناشئة بسببها - أقول تعدّ تلك المظاهر وغيرها عوامل في تكوينها وثنماً لتحقيقها . كذلك لا بد من الاعتراف بأن لدى ابن عذارى معلومات مسهبة عن بعض احداث الدعوة العبيدية ليست عند القاضي النعمان ، وهذا يعني انه لا يزال في موضوع « الدعوة العبيدية » جوانب يمكن ان تستقصى اذا كشفت لنا الايام عن مصادر اضافية عنها ، كاتي اعتمد عليها ابن عذارى في « البيان المغرب » .

٣ - تحقيق الرسالة

يقول الاستاذ ايفانوف ان نسخ رسالة افتتاح الدعوة كثيرة^(١) ، وقد اعتمدت في تحقيق هذه الرسالة على ثلاث نسخ :

(١) النسخة الاولى (واشرت اليها بالرمز م) : نسخة محفوظة بمكتبة الجامعة الاميركية في بيروت تحت رقم Ms/ 297. 8/ N 97a A, c. 1 يعود تاريخ نسخها الى سنة ١٢٨٠ هـ ، وتتألف من مائتي صفحة وصفحتين (٢١ × ١٠) ؛

(١) Ismaili Literature, art. 76

وهي مكتوبة بخط كبير واضح ، وتعتبر اكثر النسخ ضبطاً ، وقد سقط من أولها العنوان واسم المؤلف .

(٢) النسخة الثانية (واثرت اليها بالرمز ح) : نسخة مصورة في دار الكتب المصرية (سنة ١٩٥٩) عن نسخة محفوظة بالمكتبة المحمدية الهمدانية ، يعود تاريخ نسخها الى يوم الجمعة السابع عشر من شعبان سنة ١٣١٥ هـ ، وتتألف من ١٤٣ ورقة (٩ × ١٧) ، وهي مكتوبة بخط جميل واضح ، وتعتبر تالية للنسخة م من حيث الضبط ، وقد كتبت بعض التصويبات في هوامشها أو فوق الكلمات الخطأ فيها ، كما جاء في تلك الهوامش نفسها احياناً شرح لمعاني بعض الكلمات في النص . وقد كتب في أول ورقة منها : « كتاب افتتاح الدعوة لسيدنا القاضي النعمان بن محمد قس » وكتب تحتها « من كتب سيدي محمد علي الهمداني ... ٢٥٢ » ثم بالخط نفسه - ويبدو انه خط ولد الهمداني صاحب المكتبة - « صحح هذه الاجزاء والذي المقدس سيدي محمد علي بتصحيح تام » .

(٣) النسخة الثالثة (وأشرت إليها بالرمز ع) : نسخة محفوظة بمكتبة الجامعة الاميركية في بيروت ايضاً تحت رقم : Ms/ 297. 8. N/ 97a A, c.2 وهي تنقص الورقة الأخيرة فلا مجال لمعرفة تاريخ نسخها ، ولكنها نسخة ملفقة . كتب ناسخها الاصيلي ما يقرب من اربعة أخماسها ، وتعاقب على نسخ القسم الاخير منها اربعة نساخ فيما يبدو . وهذه النسخة قليلة العناية بالضبط وفيها تصحيحات مقحمة عليها ومتأخرة عن تاريخ نسخها فيما يظهر ، كما ان في هوامشها شروحات لمعاني بعض الكلمات .

وقد حاولت قدر المستطاع ان اضبط نص هذه الرسالة وان اقرن مادتها

بالمادة المقابلة لها في المصادر وان اعرف بالاعلام والقبائل والاماكن الجغرافية التي وردت فيها ، على ان يُراعى في تعريف الاماكن - حيث امكن - المقاييس الجغرافية الحديثة . وقد كان التعريف في شتى مجالاته أمراً عسيراً في بعض الاحيان ومتعذراً في غيرها ، لان القاضي النعمان ذكر من الاعلام والقبائل والاماكن ما لم يتعرض له احد من المؤرخين والجغرافيين بسبب دخوله في تفصيلات لم يتعرض لها غيره ، وبسبب حديثه عن هذه الفترة حديث رجل عاش قريباً منها في الزمن ، فالألفة تحجب عنه ضرورة التوضيح والتحديد والتعريف ؛ فان وُجدت اسماء هذه الاعلام والقبائل والاماكن عند سواه - كابن خلدون مثلاً - وجدت مصحفة او في شكل لا يطمأن اليه .

واني ارجو ان يحوز هذا العمل على رضى الدارسين وان يجدوا في هذه الرسالة ما يضيف اضافة قيمة الى المكتبة التاريخية الاسلامية ، والله المعين ، وهو ولي التوفيق .

وداد القاضي

بيروت في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٠

رسالة
افتاح الدعوة

[١] الحمد لله مؤيد الحق وناصر أهله^(١) . ودامغ الباطل ومذلّ حزبه .
القائل وهو أصدق القائلين ﴿الإنّ حزب الله هم المفلحون^(٢)﴾ (المجادلة :
٥٨) ، و ﴿إن جندنا لهم الغالبون^(٣)﴾ (الصافات : ٣٧) ، و ﴿أن الأرض
يرثها عبادي الصالحون﴾ (الأنبياء : ٧١) ، الذي ختم نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم نبوة النبيين ، وبرسالته رسالة المرسلين ، وأبقى الامامة في ذريته وعقبه
إلى يوم الدين ، إكراماً له وإعزازاً لدينه من قطعته بملّة أو نسخه بشريعة .
وتكفل لأهله بالغلبة والتمكين والتأييد والاعزاز والتحصين ، ولم يخل الأرض
من إمام فيها للأمة ، وقائل بالحق وقائم بالحجة . وإن تغلب فيها المتغلبون .
واستر للتقية الأئمة المستحفظون ، وان لهم بكل جزيرة من جزائر الأرض^(٤)
داعياً لهم ، وبكل ناحية من نواحيها دليلاً عليهم : ولو ذكرنا كل إمام منهم
صلوات الله عليهم ومن دعا إليه وقام بأمره لطال الكتاب بذكرهم . ولكننا
آثرنا من ذلك ذكر أمر الدعوة بأرض المغرب [٢] الى المهدي صلوات الله

(١) ح : اوليائه .

(٢) في النسخ جميعها : الغالبون .

(٣) في النسخ جميعها : المنصورون .

(٤) الجزيرة في المصطلح الاسماعيلي وحدة من وحدات الارض الاثنتي عشرة يرثها
« حجة » ويكون تحت امرته ثلاثون داعياً (انظر مقدمة ديوان المؤيد : ٥٤)

عليه وابتدائها فيها ، وهجرته صلوات الله عليه إليها وقيامه عنها^(١) وظهوره بأسبابها ، ليبقى ذكر ذلك مسطوراً ، ويجري مذكوراً ماثوراً على مرّ الزمان في غابر^(٢) الدهور والأيام . وقد أفردنا كتاباً غير هذا في معالم المهدي صلوات الله عليه وصفته وذكر قيامه وأيامه وما تقدم ذلك^(٣) من الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وآله فيما بشر به منه .

ذكر ابتداء الدعوة باليمن والقائم بها والسبب الذي كان في قيامه بأسبابها

بدأنا بذكر هذه الدعوة المباركة إذ كانت أصل الدعوة التي قصدنا إلى ذكرها وإليها أرسل الداعي ومن اليمن نفذ إلى المغرب وعن صاحب دعوته أخذ وبآدابه تأدب .

وصاحب دعوة اليمن هو أبو القاسم الحسن بن فرح بن حوشب بن زاذان الكوفي^(٤) وسمي المنصور باليمن لما أتيح له من النصر ، وكان اذا قيل له ذلك

(١) وقيامه عنها : سقطا من ع م .

(٢) الغابر هنا بمعنى الباقي .

(٣) ح : في ذلك .

(٤) ورد في الحور العين : ١٩٦ : الحسن بن فرج - بالجيم - ، واغرب العرشي فكتب « جيوشب » - بالجيم - ابن باذان (بلوغ المرام : ٢٢) ؛ واسمه عند ابن الاثير وابن خلدون : رسم بن الحسين بن حوشب بن داذان النجار (الكامل ٨ : ٣٠ والعبر ٣ : ٣٦١) ؛ وعند ابن خلدون في مكان آخر : الحسين بن فروخ بن حوشب (العبر ٤ : ٣٠) ؛ وفي اتعاظ الحنفا : ٤٠ ، ٥٥ : رسم بن الحسين بن فرج بن حوشب بن زاذان (ذاذان) ؛ وفي الخطط ١ : ٣٤٩ : الحسين بن فرج بن حوشب ، وفي الصفحة نفسها : الحسن بن حوشب .

قال لهم : المنصور إمام من أئمة آل محمد صلى الله عليه وسلم ، أما سمعتم قول الشاعر :

إذا ظهر المنصور من آل أحمدٍ فقلّ لبني العباس قوموا على رجلٍ

والاخبار بذكر المنصور (ع م) كثيرة ؛ روي عن (١) جعفر بن محمد صلوات الله عليه أنه قال : منا المهديّ ومنا المنصور ؛ وفي حديث آخر : أبشروا فتوشك أيام الجبارين أن تنقطع ثم يأتي الجابر الذي يجبر الله به أمة محمد وهو المهديّ ثم المنصور الذي ينصر الله به الدين .

وكان ابتداء أمر أبي القاسم (٢) صاحب دعوة اليمن - فيما أخبرنا به أهل العلم والثقة من أصحابه - أنه كان من أهل الكوفة ، من أهل بيت علم وتشيع (٣) ، وكان قد قرأ القرآن وقومّه وطلب الحديث والفقه . وكان ممن يذهب إلى مذهب [٣] الامامية الاثني عشرية أصحاب محمد بن الحسن (٤) ابن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد الذين (٥) كانوا يرون أنه المهديّ ، وأنه يظهر ويكون من أمره ما يكون على ما جاءت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فنحلوه ذلك وتولّوه ولم يرود . وزعموا

(١) والاطخبار ... عن : بياض في ح .

(٢) ذكر صاحب الاستبصار في عجائب الامصار قصة بدء الدعوة العبيدية كما هي هنا في جملتها ، ولكنه خلط بين داعي اليمن ابي القاسم ابن حوشب وبين داعي المغرب ابي عبد الله الشيعي ، ولم يسمّه ، واكتفى بان اطلق عليه اسم « الداعي » (الاستبصار ٢٠٢ - ٢٠٣) .

(٣) ع م : العلم والتشيع .

(٤) ح : الحسين ؛ وانظر الائمة الاثنا عشر لشمس الدين بن طولون : ١١٧ .

(٥) ع م : الذي .

أنه تغيب عنهم ، ثم بطل ذلك في أيديهم (١) ، وكانت له أخبار طويلة وحماسة
عجبية .

قال أبو القاسم (٢) : فعرضت لي الفكرة يوماً في ذلك ، وذكرت قول
الفهري :

ألا يا شيعة الحق ذوي الإيمان والبر
أتتكم نصرة الله على التخويف والزجر
فلا تدعو إلى الداعين أهل النكث والغدر (٣)
فلو قد فقد العا شر أو زيد على العشر
لدارت عصب الصبر على الدائر بالشر
فعند الست والتسعين قطع القول والعذر
لأمر ما يقول النا س بيع الدر بالبعر
وصار الجوهر المخزوم ن علقاً غير ذي قدر
يتيم كان خلف البا ب فانقض على الوكر

قوله (٤) في اليتيم ها هنا رمز على المهدي صلوات الله عليه ، وكذلك (٥)

(١) زاد في نسختي ع م بعد هذا : ايضاً في أيديهم

(٢) من هنا وحتى قوله : « فانصرفا متوجهين الى اليمن » (عن أبي القاسم وعلي بن الفضل) :
ورد هذا النص في عيون الاخبار لادريس ابن الحسن ، السبع الرابع ، الورقات :
٦٢٢ - ٦٣١ .

(٣) سقط هذا البيت من ح وثبت في م ع والعيون .

(٤) في العيون : « وقال القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه ... » وهي المرة الوحيدة
التي ذكر فيها صاحب العيون انه ينقل عن القاضي النعمان في هذا النص .

(٥) كذلك : سقطت من ح .

كان بحسب ما كان^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الله عزّ وجل ﴿ ألم يجدك يتيماً فأوى ﴾ (الضحى : ٦) .

قال أبو القاسم : فرأيت الوقت قد قرب على ما قاله الفهريّ وجالت خواطري في ذلك واشتغل به فكري ، فخرجت إلى الفرات - أو قال : إلى دجلة^(٢) - وإني لأمشي على النهر إذ حضر وقت الصلاة فتوضأت وصليت وجلست مفكراً فيما كنت فيه . ثم أخذت في قراءة القرآن فافتتحت بسورة الكهف ، فإني لأقرأ فيها^(٣) إذ أقبل شيخ علي ومعه رجل لا والله [٤] ما نظرت عيني قبل ذلك الشيخ إلى أحد ملاً قلبي هيبة [أكثر] منه^(٤) . فجلس^(٥) ناحية وجلس الرجل بين يديه بعيدين مني . فقطعت القراءة لهيبته وبقيت أنظر إليه إذ أقبل غلام يمرح في مشيته فقرب مني فأنكرت ذلك عليه إجلالاً للشيخ . فلم يلو عليّ فقلت : من أنت يا بني^(٦) ؟ فقال : حسيني . فاستعبرت وقلت^(٧) : بأبي الحسين صلوات الله عليه المخرج بالدماء الممنوع من هذا الماء ؛ قال^(٨) : فرأيت الشيخ نظر اليّ عند ذلك ، وتكلم الرجل الذي بين يديه كلاماً لم أفهمه ، فقال لي الرجل : تقدم إلينا - رحمك الله - فقممت إليه حتى جلست بين يدي الشيخ ، فرأيت دموعه تسيل على لحيته . أظنه عند

(١) في ح ع م : قال . والتصويب عن العيون .

(٢) إلى : سقطت من ع ح ؛ وفي الاستبصار : ٢٠٣ : خرجت يوماً إلى شاطئ دجلة .

(٣) في هامش ح : خ : لأقرأها .

(٤) قارن بما جاء في الاستبصار من انه كان « حسن الملبس والمركب » .

(٥) ح : وجلس .

(٦) يا بني : سقط من ح .

(٧) ح : قلت ؛ ع : فقلت .

(٨) قال : سقطت من ع ح .

ذكرى الحسين صلوات الله عليه ، وقال لي : من أنت الذي تذكر الحسين بما ذكرته ؟ قلت : رجل من الشيعة ؛ قال : ما اسمك ؟ قلت : الحسن بن فرح بن حوشب ؛ قال : أعرف أباك من الشيعة الاثني عشرية ؛ قلت : نعم . قال : فأنت على ذلك ؟ فسكت ؛ قال : تكلم فأنا من إخوانك ؛ قلت : كنت فيمن كان على ذلك إلى أن بطل الأمر في أيدينا ، وما أخرجني إلى هذا المكان إلا ضيق صدري بذلك ، وذكرت له ما عرض لي ؛ قال : أرى فيك نباهة وقد سمعتك تقرأ ، فلم قطعت القراءة ؟ قلت : والله - أيدك الله - ما أسكتني إلا هيبتك ؛ قال : فاقراً كما كنت تقرأ ، فابتدأت من حيث وقفت . حتى بلغت ﴿ فانطلقا حتى اذا لقيا غلاماً فقتله ﴾ (الكهف : ٧٤) فأومى بيده إليّ أن اسكت ، فسكت ، فقال : أنت ممن يقول بالعدل والتوحيد ؟ قلت : نعم ، هو مذهبي ، قال : فمن أي وجه [٥] العدل ان تقتل نفس زكية بغير نفس ... الآية إلى قوله ﴿ فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً ﴾ (الكهف : ٨٠) ^(١) فسكت ، قال : قل ، قلت : ماذا أقول ؟ والله لكأنني ما قرأتها قط ، وانني إلى علم الوجه في ذلك لفقير ، فان رأيت تعريفي ذلك فعلت ، قال : دون ذلك ستر رقيق ^(٢) ، قلت : ترى كشفه لي ، جعلت فداك . قال : يكون ذلك اذا أمكن ان شاء الله تعالى . وأخذ في غير ذلك حتى اذا وقف منه على مكان الجواب فيه أخذ في غيره ، وأنا في ^(٣) كل ذلك أسأله الجواب فيه ، فيقول مثل ما قال . ثم تحرك للقيام فقلت : يا سيدي ، أحب أن أعرف المنزل . قال : لماذا ؟ قلت : لاقتضاء وعدك ، فتبسم وقال :

(١) قارن بما في الاستبصار : ٢٠٣ .

(٢) كذا في ح ، وفي ع م : دقيق .

(٣) في : سقطت من م .

لعلنا أن نجتمع هاهنا من غدٍ^(١) إن شاء الله تعالى . ومضى وتركني ؛ فلما غاب عني ندمت إذ لم أكن تبعته حتى أعرف مكانه ، وعظم موقع كلامه من قلبي وشغل ما سمعت منه ذهني ، وعدت من غد إلى المكان وأقمت به إلى الليل فلم أرَ أحداً ، فاختلفت كذلك أياماً كثيرة^(٢) وأنا من الغم بما فاتني منه فيما لا أصفه . حتى إذا كنت في حدّ اليأس منه مرّاً بي الرجل الذي كان معه . فنهضت إليه وسلّمت عليه وقلت : ما فعل الشيخ حفظه الله ؟ وقد كان وعدني الاجتماع من غد يوم لقيته معك هاهنا واني لمتردد من يومي ذلك إلى وعده . قال : لو وعدك ما أخلفك ولكن لم يكن في مخرج قوله وعد ثابت . قلت : فأين لي به ، فوالله لقد شغل قلبي ما سمعت منه . قال لي الرجل : اجلس نتحدث قليلاً ، فجلسنا فاذا الرجل معه علم كثير . فطارحت عليه وأراد القيام والمسير فقلت : والله لا افارقك^(٣) [٦] أو تكشف لي هذا الأمر . فما زلنا حتى أخذ عليّ العهد وعرفني ان الشيخ هو امام الزمان^(٤) . وفتح

(١) كذا في م ع . وفي ح : غداتنا .

(٢) قارن بما في الاستبصار : ٢٠٣ ، فقيه ان استجابة الشيخ لابن حوشب كانت مباشرة .

(٣) ح : افارقك .

(٤) في الاستبصار : ٢٠٣ ان الغلام عرف الداعي ان الامام هو محمد بن اسماعيل بن الحسن

ابن علي بن جعفر بن علي بن موسى بن جعفر بن علي الصادق بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب ؛ ولم يسمه القاضي النعمان هنا وفي الرسالة جميعاً . وفي المصادر اختلاف كبير في اسمه ونسبه ؛ ويقول نشوان انه الملقب بالهادي . ثالت ائمة دور السر الذين جاؤوا بعد محمد بن اسماعيل بن جعفر . وكان يمهّد الامر لادته عبيد الله الملقب بالمهدي . وعلى يد المهدي - رابع الائمة - كان الظهور (انظر الحور العين : ١٩٨) . اما المقرئ فيجعل هذا الامام - اعني والد المهدي - الرابع من الائمة المستورين . ويقول انه محمد الحبيب بن جعفر الصادق بن محمد المكتوم بن اسماعيل بن جعفر (الانعاط : ٥٠ والحطط ١ : ٣٤٩) . وهذا يوافق ما جاء عند

لي من المعرفة كثيراً ، وعرفني الموضع وجمع بيني وبين الامام ، وكان يخصني ويقربني ويرمز بقرب الأمر ودنو العصر ويقول في كثير من كلامه : البيت يماني والركن يماني والدين يماني والكعبة يمانية ، ولن يقوم هذا الدين ويظهر أمره إلا من قبل اليمن^(١) .

قال : ثم قال لي يوماً : يا أبا القاسم هل لك في غربة في الله ؟ قلت : يا مولاي ، الأمر إليك فما أمرتني به امتثلته ، قال : اصبر كأني برجل قد أقبل إلينا من اليمن ، وما لليمن إلا أنت^(٢) ، فقلت : أستعين بالله على ما يرضيك . وكان الرجل من أهل جيّشان^(٣) - مدينة باليمن - شاب جميل من

= ابن خلدون من ان والد المهدي والمهد له هو محمد الحبيب (العبر ٣ : ٣٦٠ ، ٣٦١ و ٤ : ٣٠ ، ٣١) ؛ وفي رسالة استتار الإمام : ٩٥ أن والد المهدي اسمه الحسين بن أحمد ابن عبدالله ، وكذلك في العيون ٤ : ٦٢٠ وتمام نسبة الحسين بن أحمد بن عبدالله بن محمد ابن اسماعيل بن جعفر بن محمد ؛ وأما من يطعنون في نسب العبيديين فيصلون الحسين بن احمد بن عبد الله بميمون القداح بن ديسان الثنوي (انظر الكامل ٨ : ٣٠ ، ٣٦ والفرق بين الفرق : ٢٨٢ وما بعدها والدرة المضيئة : ١٨ - ٢١ والانتعاظ : ٢٦) ؛ وانظر اقوالاً اخرى في نسبه في الحلة السراء ١ : ١٩٠ والدرة : ٤ - ٥ والانتعاظ : ٢٢ - ٥٤ .

(١) في الحديث ان الرسول (ص) بينما هو في المدينة اذ قال : الله اكبر اذا جاء نصر الله والفتح وجاء اهل اليمن : قوم نقيه قلوبهم حسنة طاعتهم - او كلمة نحوها - ؛ الايمان يمان والفقهاء يمان والحكمة يمانية . رواه البزار وفيه الحسين بن عيسى بن مسلم الحنفي ، وثقه ابن حبان وضعفه الجمهور ، وبقية رجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ١٠ : ٥٥) .

(٢) قارن بما في الاستبصار : ٢٠٣ ، والخلط واضح فيه بين داعي اليمن وداعي المغرب .

(٣) جيّشان : مدينة ومخلاف من اليمن النجدي ، ويعد من مخلافها : حجر وبدر وصور وغيرها (صفة جزيرة العرب للهمداني : ١٠٢) ؛ وفي الكامل ٨ : ٣٠ ان ابن الفضل من اهل الجند لا جيّشان ، وفي الحور العين : ١٩٨ وبلوغ المرام : ٢٢ انه من خنفر ، وخنفر من مخلاف أبيّين الذي منه عدن (معجم البلدان ١ : ٨٦ ، ٢ : ٣٩٤ وصفة الهمداني : ٥٣ ، ٩٧) .

أهل بيت تشيع ونعمة ويسار^(١) ، يقال له أبو الحسن^(٢) علي بن الفضل^(٣) .
 قد خرج حاجاً من جيشان في جماعة من أهلها في جملة من^(٤) أهل اليمن سنة
 ست وستين ومائتين ، فلما قضى حجه خرج إلى قبر الحسين صلوات الله
 عليه زائراً له في جماعة من أهل اليمن وغيرهم ممن شهد الموسم من الشيعة ؛
 فلما انتهوا إليه أصابوه معموراً بالشيعة ، فجعل علي بن الفضل هذا يبكي
 عنده وينتحب ويعدد مناقب الحسين صلوات الله عليه ويذكر فضله ، ورجل
 من الدعوة يراعيه كل يوم وهو على ذلك ، فلما رأى نيته واجتهاده خلا به
 وبسطه وفتح له شيئاً من العلم وألقى إليه بعض المسائل ، فركن علي بن الفضل
 إليه ولازمه وبحث عما عنده ، فقال له الرجل يوماً [٧] في حديثه : رأيتك
 لو أدركت صاحب هذا القبر الذي تبكي عنده وتذكر فضائل صاحبه ما كنت
 صانعاً في أمره ؛ قال : كنت والله أضع خدي وأقبل الأرض التي يطؤها
 وأتبرك بفضل وضوئه وأكون لو شهدت مصرعه أول صريع بين يديه .

(١) اختلف الترتيب في نص العيون هنا فجاء : شاب جميل يقال له علي بن الفضل من
 أهل بيت تشيع ونعمة ويسار ؛ واطراف صاحب العيون : وهو ممن آمن ثم كفر ودخل
 في الدعوة ثم خرج منها واصراً واستكبر وكثير ممن ظن به الخير مخالف ما ظن فيه وسندكر
 من خبره وكفره اذا انتهينا إليه ما نبيته ونبيده ؛ وهذا مثال على تصرف صاحب العيون
 في النقل عن افتتاح الدعوة .

(٢) ح : الحسين ، وسوف يكتبه بعد : الحسن .

(٣) في الكامل ٨ : ٣٠ ومعجم البلدان ٥ : ٧ والعبر ٤ : ٣١ ان اسمه محمد بن الفضل .
 وانظر غاية الاماني : ١٩١ حيث تلخص قصة اللقاء بين علي بن الفضل والامام ثم ارساله
 صحبة ابن حوشب الى اليمن عن كتاب « بهجة الزمن في اخبار اليمن » . وهناك كتاب
 بهذا الاسم لابن عبد المجيد اليماني وليس فيه تلك القصة . ويبدو انه نقل هذا كله
 من كتاب « انباء الزمن » لابن المؤيد (انظر ص : ٣٨ - ٣٩ من هذا الكتاب) .

(٤) من : سقطت من ع ح

قال : فانه قد فاتك فما عندك ؟ قال : ما ترى من الأسف والحزن عليه ؛
قال : فكأنك ترى أن الله عز وجل قد قطع أمره بانقطاعه ورفع حجته عن
خلقه بموته ؛ قال : كلا ، ولكن كيف لي ذلك ؟ فسكت الرجل وجعل عليّ
ابن الفضل يلحّ عليه ويقول : والله ما رميت لي بما رميت الا وعندك أثر منه
فاهدني اليه ؛ وجعل يلازمه وهو متوقف عنه ويطارح عليه وهو ينقبض منه
إلى أن حضر انصراف أصحابه فودعهم ، وكتب إلى أهله ، وتخلّف عن
الرحيل ؛ فانصرف الرجل إلى موضعه فأتبعه ، فقال له : أين تريد ؟ قال :
معك ، والله لا أفارقك^(١) أو تدلني على من أشرت إليه . وسار معه ، فلما
دخل المدينة التي فيها الامام أتى به إلى مسجد فقال له : اجلس هاهنا حتى
آتيك ، فجلس ومضى عنه ، وأقام أربعين يوماً وعليّ في ذلك المسجد لا
يرح إلا للحاجة الانسان ، والرجل يفتقده من حيث لا يراه . فلما رأى قوة
عزمه ونيته أتاه . فلما رآه وثب إليه وقال : يا سيدي ، ما هذا الفعل ؟^(٢) قطعت
بي وتركتني ؟ قال : وانك لها هنا ؟ قال : وأين كنت أذهب وأنت تقول لي
اجلس هاهنا حتى آتيك ؟ قال : فلو لم آتكم ما كنت صانعاً ؟ قال : إذاً والله
لا أبرح [٨] حتى أموت^(٣) فألقى الله معذوراً .

فذهب به إلى موضعه وأخذ عليه عهداً وأوصله إلى الامام ، فلما رآه
واختبر حاله قال لأبي القاسم : يا أبا القاسم ، هذا الذي كنا نتظره ، فكيف
رأيتك في الذي عرضت عليك من أمر^(٤) اليمن ؟ قال : يا مولاي ، أنا على

(١) ح : فارقتك

(٢) اضافة في نسخة ح هنا : الذي ، ولا مكان لها .

(٣) م : او اموت .

(٤) في ح : اهل ، وصححها في ع وكتب : امر .

ما قلت لك والأمر اليك ؛ قال : اعزم على اسم الله ، فوالله ليظهرن الله أمرك ولتصدُرَنَّ الدعاة إلى آفاق الأرض عنك ؛ ودعا بعلي بن الفضل فسأله عن أخبار اليمن وأحواله وملوكه ، فأخبره بما أراد من ذلك ، فقال : أتعرف عدن لاعة^(١) ؟ قال : يا مولاي ، عسى أن تكون أردت عدن أبين ؟ قال : لا إلا عدن لاعة ، قال : ما أعرفها ، قال لأبي القاسم : إلى عدن لاعة فاقصد ، وعليها فاعتمد ، فمنها يظهر أمرنا ، وفيها تغزّ دولتنا ، ومنها تفرق دعائنا .

وقال لعلي بن الفضل : اني مرسل أخاك هذا داعياً إلى اليمن وأنت معه . وتقدم إلى كل واحد منهما ناحية وأوصاه . وأعطى أبا القاسم كتاباً فيه أصول ورمز كان افتتاحه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من أب المسلمين وأمير المؤمنين ووارث الوارثين وسماء الطارقين وشمس الناظرين وقمر المستضيئين وقبله المصلين وأمان الخائفين وقاتل إبليس اللعين ، وركن الاسلام وعلم الأعلام وقلم الأقسام ويوم الأيام ونور التمام ، رسالة عبد مسكين يعمل في البحر منذ^(٢) سنين لعل سفينه تنجو من الغرق فينجو من ينجو فيها من العطب » .

ثم افتتح الكلام الذي أصله والمعنى الذي أراده وقال له فيما عهده اليه : ان لقيت من هو ألحنُ بالحجة [٩] منك فانغمس له في الباطن . قال : وكيف ذلك ؟ قال : تقطع الكلام وتريه أن تحت ما تريد الجواب به باطناً لا

(١) لاعة : مدينة في جبل صبر من اعمال صنعاء ، والى جانبها قرية لطيفة يقال لها عدن لاعة ، واما عدن الساحلية فتسمى عدن أبين (معجم البلدان ٤ : ٨٩ و ٥ : ٧) .
(٢) م ع : منذ .

يمكنك ذكره فتحتجز بذلك منه إلى أن تتهياً لك الحجة عليه^(١) . وأوصاه بعلي بن الفضل خيراً وقال : هو شاب قريب عهد بالأمر ، فانظر كيف تسوس أمره . وتقدم إلى علي ناحية وأوصاه وقال له : ان هذا الرجل الذي نبعث به معك بحر علم ، فانظر كيف تصحبه ، وودعهما ودعا لهما ، وانصرفا عنه متوجهين إلى اليمن^(٢) .

قال أبو القاسم : ولما ودعت الأهل والأحبة متشوقاً إلى انقطاع^(٣) الغربية توجهت ، فلما خرجت من القادسية أوجست خيفة ، فأصغيت إلى فأل أسمعته ، فسمعت حادياً يقول :

يا حادي العيسِ مليحَ الزجرِ
بشّرْ مطاياك بضوء الفجرِ

قال : فسرت به واستحسنت ذلك الفأل لما سمعته ، ووافيت مكة في حين قدوم الحاج من اليمن ، فسمعت أن محمد بن يعفر^(٤) ملك صنعاء قد

(١) انظر ما يقوله القاضي النعمان في الاساليب التي يحسن بالدعاة استعمالها في الدعوة في كتابه « المهمة في آداب اتباع الأئمة » : ١٣٦ - ١٤٠ ؛ وما يقوله عبد القاهر البغدادي في هذا الموضوع من وجهة نظر مخالفة في الفرق بين الفرق : ٢٩٨ وما بعدها ؛ وانظر ايضاً الدرّة : ٩٧ - ١٠٧ .

(٢) الى هنا ينتهي النقل عن الافتتاح في العيون .

(٣) ح : اقطاع .

(٤) احد ملوك ذي حوال ، وكان ابوه يعفر بن عبد الرحيم الحوالي مستقلاً بصنعاء عن العباسيين ، فخالفه ابنه محمد ودعا لبني العباس ، فجاءه مرسوم بالولاية من الخليفة المعتمد فاستولى على جميع مخاليف اليمن ما عدا التهامم ، وحج سنة ٢٦٢ واستخلف ابنه ابراهيم على صنعاء وما ينضاف اليها ؛ ثم ان يعفر الاب حرض ابراهيم على قتل ابيه محمد فقتله سنة ٢٦٩ (الاعلام للزركلي ٩ : ٢٥١ ومصادره) . اما اسم يعفر =

أظهر التوبة والنسك وتخلّى عن الملك ، وردّ ما اقتطع من الناس اليهم ، وأنصف من الظلمات^(١) ، وذلك لأمر تقدمت فيه الروايات عنده من أن ملكه سيزول من يديه وأن داعي المهدي يغلب عليه ، فتقدم في الاختلاع^(٢) من ذات نفسه والنزوع عن الملك من قبله ، وفرّق الأموال ، فيقال إنه ردّ في يوم واحد ألف ألف ، حتى قام شاعر من شعرائه في أهل بيته وقد اجتمعوا فقال :

يا ذي حوالٍ يا مصابيحَ الأفقِ ويا مباديلَ العطايا تَنَدَفِقُ
 مِن خالصِ العقيانِ سحاً والورقِ تَدَارَكُوا ملككمُ لا يفتقُ
 [١٠] فتطلبون رتقاً ما لا يَرتتقُ إلا بأطرافِ الشماريخِ الشُّهُقُ
 والناسُ فَوْضَى والنفوسُ تَزْدَهقُ كغَنَمِ الذئبِ تُجرَعُ العلقُ
 فالرأسُ لا يصلحُ إلا بعُنُقِ ولن يقومَ قدمٌ على زَلَقِ
 ليس عَتِيقُ البِرِّ كالبرِّ الشفقِ وليس أملاكُ الرعايا كالسوقِ
 هذا أبو يعفر فيكم قد لحقُ كالجبلِ الشامخِ والليثِ النَّزِقِ
 فأيكمُ قام بها فقد سَبَقُ

في أرجوزة طويلة . فقام ابن أخيه فتدارك الأمر وقد وهى وقد تفرق

= فقد ضبطه الاستاذ الزركلي بضم الياء وكسر الفاء اعتماداً على نص ورد عند الهمداني (انظر الاكليل ٢ : ٧١) . ويرى أستاذنا الدكتور محمود الغول ان هذا الضبط خطأ . اذ لو كان كذلك لورد الاسم في النقوش بـ يعفر كما ورد بـ يهرعش وـ يهنعم . ومثل هذا يضم اوله . ولكن الاسم ورد في النقوش دون هاء ، فحقه فتح اوله ، والاختلاف في هذا الاسم قديم (انظر التصحيف والتحريف للعسكري : ٤٣٣) .

(١) ح : الظلمات .

(٢) م : الاخلاع ؛ ح : الاقلاع .

اكثره وتمزقت المملكة ، وكان ذلك من صنع الله عز وجل لأولياته .

وقضى الناس الحج وانصرفوا إلى اليمن ، وتوجه أبو القاسم وأبو الحسن معهم ، فدخلوا اليمن في أول سنة ثماني وستين ومائتين^(١) ، فأقاما باليمن سنتين يدعوان مستترين ، ثم ظهرت الدعوة باليمن سنة سبعين ومائتين .

قال أبو القاسم : وسألت كلَّ من لقيت من أهل اليمن عن عدن لاعة ، فكلَّ يقول لي : أما لاعة فموضع معروف ولكن ما نعرف عدن لاعة ، فانما نعرف عدن أبين . وقصدت عدن أبين إذ لم أجد أحداً يخبرني^(٢) عن عدن لاعة - الموضع الذي وجهت إليه - فأصبت بعدن أبين قوماً من الشيعة يعرفون ببني موسى ؛ وعدن هذه هي فرضة الهند وأم البلدان ، فسألت عما يحمل إليها من قبل أن أدخلها ، فقيل القطن ، فاشتريت منه شيئاً جعلته تستراً ليرى أني تاجر . ودخلت مع صاحبي فسألنا عن مكان بيعه فدللنا عليه ، واكرينا حانوتاً في [١١] سوقه وجلسنا فيها نبيعه . فاني لجالس يوماً اذ استهلست السماء بمطر وابل ؛ فاني لكذلك إذ نظرت إلى رجال قبالي في الصف ينظرون إليّ ويتحدثون ثم قام أحدهم إليّ ووقف عليّ وقال : ترى أن تدخل بنا إلى داخل الحانوت ؟ فقممت معه فقال : ما أظن هذا وجه بياع عطب - يعني القطن ، كذلك يسمونه - قلت : وكيف ذلك ؟ قال : معك من علم آل محمد شيء ؟ قلت : أنا رجل تاجر ، قال : دعني من هذا ، لعلك سمعت ببني موسى ؟ قلت : نعم ، قال : فنحن منهم ونحن شيعة وهذا أوان

(١) قارن بما في غاية الاماني : ١٩١ حيث ذكر ان دخول المنصور وابن الفضل الى اليمن كان سنة ٢٩١ ؛ والتاريخ المذكور عند القاضي النعمان موافق لما جاء عند المقرئ في الاتعاظ : ٥١ والحطط ١ : ٣٤٩ .

(٢) ح ع : يخبر .

نتظر دخول داعي المهديّ اليّنا ، فانا لنجد صفته فيك ، فهات ما عندك فنحن إخوانك . ولم يزل بي الى أن كشفت له^(١) الأمر ، وما برح حتى أخذت عليه العهد ، وقام فأتاني بأصحابه ، فأخذت عليهم ، ونقلوني إلى محلهم فكنت عندهم فقالوا : إن لنا إخواناً من الشيعة بعدن لاعة فترى أن نرسل إليهم ؟ فقلت : وثمّ عدن لاعة ؟ قالوا : نعم ؛ قلت : فاليها أرسلت ولم أجد مخبراً عنها . فأرسلوا إليهم فأتى رجال منهم فأخذت عليهم وسرت معهم فأصبت دار شيعة ؛ وأخبروني عن رجل منهم يقال له أحمد بن عبد الله ابن خليع كان له علم فيهم وانه كان ينتظر قدومي ويقول : في هذا العام يدخل ، وأعد سلاحاً لذلك أتوني به ، وأن أمره اتصل بابن يعفر . فرفعه وحبسه فمات في الحبس منذ قريب ، وأنزلوني في دار من دوره .

وتزوج أبو القاسم بعد ذلك ابنة أحمد هذا المتوفى وبعث بابن^(٢) أخيه [١٢] الهيثم^(٣) بعد ذلك داعياً إلى بلد السند فاستجاب له كثير من أهلها . ودعوته اليوم فاشية في السند .

قال^(٤) أبو القاسم : وكتبت الى الامام بما صار اليه أمري وكانت كتبه ترد عليّ . ولم نزل في ضيق من الأمر الى أن ورد علينا الكتاب بالعهد للمهدي^(٥) صلوات الله عليه وأن نأخذ ذلك له ، فاستقام لنا الأمر وأنا الله

(١) له : سقطت من ح .

(٢) ح : ابن .

(٣) م ع : الهيثم .

(٤) ح : وقال .

(٥) اختلف المؤرخون كثيراً ، في اسم المهدي ونسبه كما اختلفوا في اسم ابيه ونسبه من قبل . ولعب الهوى الديني دوراً كبيراً في التفاوت بين اقوالهم . ويمكن تصنيف ما =

بالنصر ، فبعثت جواب ذلك الكتاب مع مال كثير وطرائف من طرائف اليمن وطراز من طرازه^(١) ، فيقال إن ذلك لما وصل إلى الامام دعا بالمهديّ - وقد عهد إليه - فأعطاه ذلك وقال : هذا أول ثمرة أيامك وبركة دولتك ، وأقرأه الكتاب بما هيأه الله له من ذلك ، وتمثل عليه السلام بهذه الأبيات :

اللهُ أعطاكَ التي لا فوقَها
وكم أرادوا مَنعَها وَعَوَقَها
عنكَ وَيأبَى اللهُ إلا سَوَقَها
إليكَ حتى طَوَّقوكَ طَوَّقَها^(٢)

وفشت الدعوة باليمن^(٣) وظهر أمرها ، واستأذن أبو القاسم في الحرب فأذن له ، فابتنى^(٤) حصناً بجبل لاعة وجيش الجيوش وافتتح مدائن باليمن

= قيل في هذا الشأن في مراتب اربع ؛ الاولى : ما قيل من انتسابه الى الحسين بن علي ابن ابي طالب من طرق مختلفة ؛ والثانية : ما قيل انه من سلالة ميمون القداح المتسبب الى ديسان الثوي ؛ والثالثة : ما قيل من انه عبيد الله بن عبد الله بن سالم بن عبدان الباهلي ، وجده سالم صلبه المهدي العباسي على الزندقة ؛ والرابعة : ما قيل من انه سعيد اليهودي ابن زوجة الحسين بن احمد بن عبد الله بن ميمون القداح (انظر في هذه الاقوال المختلفة الاستبصار : ٢٠٥ والكامل ٨ : ٣٦، ٢٤ والحلة ١ : ١٩٠ والدرة : ٤-٦ والبيان المغرب ١ : ١٥٨-١٥٩ والعبر ٤ : ٣٠ والاتعاظ : ٢٢-٥٤) .

(١) ح : طرزّه .

(٢) قارن بما في استتار الامام لاحمد بن ابراهيم النيسابوري : ٩٦ وانظر أنساب الاشراف

٥ : ٣٥١، ١٣١ والطبري ٢ : ١١٧٧ والبيان والتبيين ١ : ٤٠٩ .

(٣) ح : في اليمن .

(٤) ح : فابتغى .

وملكَ صنعاء وأخرج بني يعفر منها^(١) ، وفرَّق الدعاة في نواحي اليمن وإلى سائر البلدان : إلى اليمامة والبحرين والسند والهند وناحية مصر والمغرب ، وكانت له أخبار يطول ذكرها ليس إياها قصدنا فنستقصيها ، ولا بد من أن نذكر شيئاً منها^(٢) إن شاء الله تعالى .

ذكر نكتٍ من أخبار أبي القاسم

صاحب دعوة اليمن^(٣)

أخبرنا الثقات من أصحاب أبي القاسم [١٣] - رحمة الله عليه - عنه أنه قال : لقد ظهر لي من أمر المهدي عليه السلام والبشرى باليمن أكثر ممن كنت عرفت به ، وقلَّ موضع أخذت فيه أو سلكت به إلا وجدت فيه خبراً عنه وأمرأ يدلُّ عليه ، وإني لسائر يوماً في بعض بوادي اليمن إذ انقطع شمع نعلي ، فملت إلى صخرة فجلست عليها أصلحه . فإني لكذلك إذ أقبل شيخ كبير^(٤) قد تعب وأدركه النفس فقال لي : ممن الرجل ؟ قلت : رجل غريب ، قال : هل معك خبر من المهدي ؟ قلت : ومَن المهدي ؟ قال : إذا كنت لا تعرفه فلعلَّ هذا وقع اتفاقاً ، فقلت : وما ذاك^(٥) ؟ قال : لحقت

(١) استولى المنصور على جبل مسور واتخذة قاعدة حربية ثم اخذ يمد نفوذه الى مناطق اخرى . فاستولى على بلاد عيان وبني شاور وحملان واستولى على ذخار وشبام وجبلها كوكبان . اي ثبت سلطانه في مخاليف اليمن الغربي (انظر انباء الزمن : ٣٩ - ٤٠) .

(٢) ح : منه .

(٣) يشبه ان يكون هذا الفصل من احاديث السمر لما فيه من جنوح الى تصوير الارهاصات والنذر بظهور المهدي وداعيه في اليمن واستعداد النفوس توقعاً لذلك .

(٤) كبير : سقطت من ح .

(٥) ح : ذلك .

ها هنا (١) شيخاً كان من علماء الشيعة يقول : إن رسول المهدي يدخل هذه القرية فينقطع شسع نعله عند هذه الصخرة فيجلس عليها يصلحه ولعلّ منكم من يدرك ذلك الزمان ؛ قلت : كلام الشيعة كثير ، قال : اي والله كثير . ولم أجد عند الشيخ قبولاً وتولياً ومضى عني .

قال : ودخلت مسجد صنعاء أول دخولي اليمن فصليت إلى أسطوانة فيه ركعتين وكنت كالآ ، ثم لففت رداي وجعلته تحت رأسي واستلقيت على ظهري ورفعت إحدى رجليّ على الأخرى ، فاني لكذلك إذ وقف عليّ شيخ فرفسني (٢) برجله وقال لي : قم ، وانتهرني ، فقمت وقلت : مالي أيها الشيخ أقصد دون سائر الناس وهذا كثير مضطجع في المسجد؟! قال : لم أنكر اضطجاعك ولكن هذه أسطوانة يؤثر أن داعي المهدي إذا دخل صنعاء أتاها فصلى ركعتين [١٤] واستلقى على ظهره عندها ورفع إحدى رجله على الأخرى ، فإنما أنكرت (٣) عليك التشبه به ، قلت : وما أنا وهذا؟ وكلمه بعض من سمعه فقال : ما أعجب أمرك وكأنّ هذا هو داعي المهدي؟ قال : ما هو به ولكني أنفت أن يتشبه به غيره ، فقمت وتسللت ، فكأنهم رأوا أن ذلك يكون عند ظهوره عليهم واقتداره .

وأخبرنا عنه بعض أصحابه أنه سمع حديثاً ترويه الشيعة باليمن أن ثلاثة منهم قدموا على أبي عبد الله جعفر بن محمد صلوات الله عليه ، فقال لأحدهم : من أي اليمن أنت؟ فقال : من المذيخرة (٤) ، قال : هي مدينة

(١) ح : عندها هنا .

(٢) ح : فرفسني .

(٣) ح : فانا انكر .

(٤) المذيخرة : ضبطها ياقوت فقال : كأنها تصغير المذخرة بالخاء المعجمة والراء ، وهي قلعة حصينة في رأس جبل صبر من أعمال صنعاء ، وهي قريبة من عدن (معجم البلدان ٥ : ٩٠) .

من صفتها كيت وكيت ، ووصفها له^(١) بصفتها ، قال : نعم — جعلني الله فداك — كأنها بين يديك ، قال : أما إنه لا يزال لنا فيها عدو . وقال للآخر : وأنت من أي اليمن ؟ قال : من مدينة يقال لها الجند^(٢) ، قال : هي مدينة من صفتها كذا وكذا ، ووصفها له ، قال : هي كذلك — جعلني الله فداك — كأنك تراها ، قال : ما أبعد ما بينها وبين المديخرة ، إن الجند لا يزال لنا فيها ولي ما بقيت . وقال للثالث : من أي اليمن أنت ؟ قال : من جيشان ، قال : هي مدينة من صفتها كذا وكذا ، قال : نعم ، قال : وبأعلاها سدره وبأسفلها سدره ، قال : نعم ، قال : ان بين السدرتين لكزاً لآل محمد صلى الله عليه وعلى آله .

قال أبو القاسم — وقد سمع هذا الحديث — : أنا والله استخرجت ذلك الكنز ، قيل له : وما هو ؟ قال : سبعون رجلاً عددتهم عدداً من أهلها بلغوا مبالغ الدعاء وكانوا من عُدّة الدين وثقات المؤمنين . وعلي بن الفضل الذي ذكرنا خبره هو منها وكان سبب الدعوة^(٣) [١٥] — وقد ذكرنا خبره — وابن جبران الشاعر^(٤) منها وكان له تشيع وله إخوة في مثل حاله .

(١) له : سقطت من م .

(٢) الجند — بالتحريك — : مخلاف من مخاليف اليمن . كان حسب التقسيم الإداري في صدر الإسلام احد المخاليف الإدارية الثلاثة . وقال الحمداي : بين الجند (المدينة) وصنعاء ثمانية وخمسون فرسخاً (معجم البلدان ٢ : ١٦٩) .

(٣) ح ع : الدعاء .

(٤) في صفة الحمداي : ١٠٢ : ابن جبران ؛ قال : وهو من شعراء الرافضة . وهو صاحب الكلمة المحرّضة على المسلمين . واطاف الحمداي : ومن جيشان كان مخرج القرامطة باليمن ومن الجند : وكلمة القرامطة في اليمن تطلق أيضاً على أصحاب الدعوة الفاطمية .

قال أبو القاسم : وأما المذيخرة فما زالت كما قال جعفر بن محمد صلوات الله عليه أعرف فيها عدواً لآل محمد صلى الله عليه وعلى آله ، ولقد مخضتها مخض السقاء وأكفيتها^(١) إكفاء الاناء وانما على ذلك إلى اليوم - كما قد علمتم

وأما الجند فاني أصبت بها شيعة عرفوا بذلك قديماً ، ولقد صدق الله روايتهم وأفلج حججهم بي ، قيل له : وكيف ذلك ؟ قال : دخلتها وأنا مستر فقصدت مسجد الجامع^(٢) فصليت به الظهر والعصر والمغرب ، ثم قلت لبعض من فيه : أبيت هاهنا أحد فاني رجل غريب أردت المبيت في المسجد ، فقال : نعم كل من ترى من الغرباء فيه يبيتون . فجلست ، فلما صلينا العشاء الآخرة تحلقوا حلقتين وجعلوا يتناظرون في العلم^(٣) ، فجلست بين الحلقتين فاذا احدهما^(٤) شيعة والآخرى^(٥) حشوية ، فتناظروا ساعة من الليل ، ثم انصرفت الشيعة وقام الآخرون لينصرفوا ، فقال لهم رجل منهم : اجلسوا قليلاً ، فجلسوا ، وجعل ينظر إلى أولئك الشيعة وهم ينصرفون حتى انصرف آخرهم ، فعطف على أصحابه فقال : أتعرفون خبر هذه الليلة ؟ قالوا : وما خبرها ؟ قال : أليست ليلة كذا من شهر كذا من سنة كذا^(٦) ؟ قالوا : نعم ؛ فاستخرج كتاباً من كفه فقال : أوليس هذا كتاباً رواه فلان من هؤلاء الفعلة - يعني الشيعة - ؟ فنظروا إلى الكتاب وقالوا : نعم هو معروف لهم ، فاستخرج

(١) الاصل ان يقول : واكفأتها .

(٢) كذا في النسخ جميعاً ، والأصوب : المسجد الجامع .

(٣) تحلقوا ... العلم : سقط من م .

(٤) ح : احدهما .

(٥) ح : والآخرون .

(٦) ع ح : من شهر كذا وسنة كذا .

منه حديثاً فقرأه عليهم أن بعض الأئمة عليه السلام قال لصاحب [١٦] ذلك الكتاب : من أدرك سنة كذا من أهل بلدك فليتمس داعي المهدي في ليلة كذا منها - لتلك الليلة - فانه يبيت في مسجدنا ، قالوا : قد سمعنا هذا الحديث ، قال : فقد ترون هؤلاء انصرفوا ، ما منهم من ذكر هذا ولا عرفه^(١) ، فهلّموا بنا نبطل قولهم ونكذبهم ونخرج جميع من في المسجد الليلة فلا يبيت به أحد لنبطل روايتهم ، قالوا : نعم . فقام قائم منهم فقال : يا معشر الغرباء انصرفوا فليس يبيت أحد منكم الليلة في هذا المسجد على حال ، فان لهذا قصة لا يمكن معها مبيت أحد منكم . قال أبو القاسم : فرأيت كل واحد منهم يضمّ ما كان معه ويخرج ، فلم أدر إلى أين أخرج . وقصدت زاوية من زوايا المسجد فجلست فيها وقلت : لعلّ من يخرجني يمضي إلى بيته . فافترقوا يخرجون الناس ويطفثون القناديل . فأتاني رجل منهم وقد طفئ أكثرها فقال : قم يا رجل . فقامت وقلت^(٢) : إني رجل غريب لا أعرف موضعاً أقصد إليه فلعلك أن تمضي بي هذه الليلة فتؤويني في محلك . قال : لا والله ما عندي موضع . فقلت : سبحان الله تخرجني من بيت الله وتمنعني بيتك ؟ فكأنه استحيا فنظر إلى الناس قد خرجوا فانصرف وتركني . وأغلقوا باب المسجد . فبت بليلة طويلة . وخفت أن يختبر المسجد من غد فلم يكن ذلك ، فأصبحوا ففتحوا الأبواب ودخل الناس وصلّوا ما نظروا بي في شيء من ذلك .

قال أبو القاسم^(٣) : وخرجت من الجند أريد ناحية فاني لسائر يوماً إذ

(١) ع : عرفوا .

(٢) ح : قلت .

(٣) ابو القاسم : سقط من ع م .

رأيت^(١) عسكرياً عظيماً قد أقبل ، والناس يقولون : هذا عسكر [١٧] ابن يعفر . يريدون حرب^(٢) جعفر بن ابراهيم صاحب المذبحرة ، وتفرقوا في شعاب في جبل خوفاً من العسكر ، وكنت في من تفرق فيه ، فرأيت كهفاً فدخلت فيه . فإنتي لجالس فيه إذ دخل عليّ رجل فسلم عليّ وجلس وقال : ممن الرجل ؟ قلت : من هذه السيّارة^(٣) ، رأينا العسكر قد أقبل فافترقنا في هذا الشعب إلى أن يجوز ، فدعا لي بخير وانبسط اليّ وسألني عن مسائل من الحلال والحرام - ذكرها أبو القاسم - قال : فأجبتة عنها - وذكر جوابها - ؛ قال : فنظرت إلى الرجل قد ملأ عينيه مني وهملتا دموعاً ، ثم قام إليّ فجعل يقبل رأسي ويدي ورجلي ويقول : يا سيدي ، رسول الله أرسلني إليك لتستقذني وتأخذ بيدي فتخلصني ، قلت : وكيف هذا أيها الرجل ؟ قال : نعم كنت رجلاً أرى في منامي رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله في ليلة معروفة من كل عام ، وكنت أتأهب لتلك الليلة ولا تحرم^(٤) رؤيائي ، فلما كان هذا العام لم أره ، ومضت مدة فكنت في كبر الغمّ من ذلك ، فلما بت^(٥) البارحة رأيتُه صلى الله عليه وعلى آله فجعلت أقول : يا رسول الله طال شوقي إلى رؤيتك وقطعت عني ما عودتني من ذلك ، قال : فإني أبشرك وأخبرك أن داعي المهدي في بلدك وبين ظهرائي قومك ، فبادرْ إليه وخذ بحظك منه ، قلت : وكيف لي به يا رسول الله ؟ قال : أنت واجده غداً في كهف كذا

(١) ح : اريت

(٢) ح : حزب .

(٣) السيارة : القوم يسرون او القافلة .

(٤) في النسخ جميعاً : تحرم .

(٥) في ح : نمت ، وفي هامشها : خ : بت .

وكذا - ذكر لي هذا الكهف - قلت : فاني أخاف أن أجد غيره ، فوصف لي بصفتك وقال : مع هذا فاسأله عن كذا ، وذكر لي هذه المسائل ، فان أجابك [١٨] بكذا^(١) ، وذكر لي جوابك ، فهو صاحبك . قال أبو القاسم : فأدرکتني خشية وعبرة وقلت : ما عسى أن أقول لمن أرسله إليّ رسول الله صلى الله عليه ؟ فذاكرته وبسطت له ، ثم أخذت عليه ، وكان هذا الرجل معروفاً باليمن ويذكرُ ذلك ويحدثُ به .

وأخبرنا بعض أصحاب أبي القاسم عن أبي محمد عبد الله بن عباس - وكان من أجلّ من كان من دعاة أبي القاسم من أهل اليمن ، وهو الذي استخلفه على الدعوة بعده - قال : أرسلني أبو القاسم إلى ناحية مصر أدعو فأتيت حياً من أحياء العرب فأصبتهم في جماعتهم يَهَنْئُونَ^(٢) ابلهم ، فلما رأوني مقبلاً تركوا ما هم عليه وأقبلوا عليّ وقالوا : ممن الرجل ؟ قلت : رجل غريب ، قالوا : وما أردت إلينا ؟ قلت : أطلب التعليم ، قالوا : انزل على الرحب والسعة ، وأخذ بيدي شيخ منهم ومضى بي إلى منزله فأنزلني عنده فأخلى^(٣) لي خيمة وفرش لي فراشاً^(٤) وأنا في بطعام فأكلت . فلما كان من الليل تحدثت معي طويلاً ، فلما مضى هويّ من الليل قال : أنشدك الله لما كشفت لي ما أنت عليه وما جئت له ، قلت : أولم أخبرك أنني معلم ؟ قال : ما يقع هذا بقلبي . فلم اكشف له شيئاً ، فغدا عليّ وأقام أياماً وليالي يستكشفي ويسألني سؤال من عنده علم ، فتماديت له على ما ابتدأت به من أنني معلم . فجمع لي صبيان

(١) ح : كذا .

(٢) يهنتون (مثلثة العين) : يطلون الابل بالقطران .

(٣) ح ع : واخلى .

(٤) ح ع : فرشاً .

الموضع وجلست أعلمهم ، وهو في ذلك اذا خلا بي قال لي مثل قوله الأول ،
فما زال بي حتى كشفت له الأمر وأخذت عليه ، فكان من خير من دعوته ،
ودعوت هناك دعوة عظيمة ، فكان يقول لي بعد ذلك : والله لكأنما أنزل
الله لك الهيبة [١٩] والجلالة في قلبي وانك لم تأت إلا لهذا ، وكان عندي
منه علم سبق اليّ ؛ قال ابو محمد : ولم أسأله عن ذلك العلم ولا ذكره لي .

ذكر السبب الذي تقدم إلى المغرب

قبل قدوم الداعي اليه

قدم إلى المغرب في سنة خمس وأربعين ومائة رجلان من المشرق قيل
إن أبا عبد الله جعفر بن محمد (صلح)^(١) بعث بهما^(٢) وأمرهما أن يبسطا
ظاهر علم الأئمة من آل محمد^(٣) صلوات الله عليهم وينشرا فضلهم ، وأمرهما
أن يتجاوزا^(٤) افريقية إلى حدود البربر ثم يفتحان ، فينزل كل واحد منهما
ناحية . فلما صارا إلى مرماجنة^(٥) نزل أحدهما ، وكان يعرف بأبي

(١) هو الامام جعفر الصادق .

(٢) ح : بعثهما .

(٣) من آل محمد : سقطت من ح .

(٤) في الدرّة : ١١٣ والاتعاظ : ٥٠ ، حاشية : ٥ : ان لا يتجاوزا .

(٥) مرماجنة (بالفتح ثم السكون وبعد الألف جيم ونون مشددة) : قرية قديمة بتونس

تقع على مرحلة من سببية ، على الطريق بينها وبين مسكيانة ، وعلى مرحلة من الأربس ،

بينها وبين تامديت ، وعلى نحو ثلاث مراحل من القيروان ، (انظر : صورة الأرض :

٨٦ ومسالك البكري : ١٤٥ ووصف افريقية للادريسي : ٨٦ والاستبصار : ١٦٢

ومعجم البلدان ٥ : ١٠٩) .

سفيان^(١) بها بموضع يقال له تالا^(٢) فابتنى مسجداً وتزوج امرأة واشترى أمة وعبداً ، فيقال إنه كان يعمل مع عبده ويأمر امرأته فتعمل مع أمتها ، وكان له من الفضل والعبادة والذكر في الناحية ما قد اشتهر^(٣) به ذكره . وكان أهل تلك النواحي يأتونه ويسمعون فضائل أهل البيت صلوات الله عليهم منه ويأخذونها عنه ، فمن قبله تشيع من تشيع من أهل مرماجنة ، وهي دار شيعة وهو كان سبب تشيعهم ، وكذلك أهل الأربس^(٤) . ويقال انه كان أيضاً سبب تشيع أهل نفطة^(٥) ، وذلك أن قوماً منهم كانوا يختلفون بالتمر إلى تلك الناحية

(١) كذا في النسخ جميعاً (ويكتبه أحياناً في ح : سفين) وهو كذلك في المصادر باستثناء الخطط ٢ : ٣٤٩ ، ففيه : ابو يوسف ، والاتعاظ : ٥٠ ، ففيه : ابن بكار (نقلاً عن ابن خلدون ، ولم اجده في العبر . وقد مر « ابن بكار » في نص آخر في العبر ٤ : ٣٢) وفي نص غيره في العبر ١ : ٣٦١ ان اسمه : السفياني .

(٢) تالا (Thala) - وتكتب ايضاً : تالة - مدينة قديمة بتونس لا تزال قائمة الى اليوم . وهي تقع على بعد ٤٥ ميلاً الى الجنوب من الكاف . وعلى بعد ١٧ ميلاً الى الشرق من الحدود الجزائرية (Tunisia, p. 227) وقارن بما يقوله الادريسي من انها حصن خراب بمنطقة قسطنطينية (وصف افريقية : ٦٩) .

(٣) ع م : استشهر .

(٤) الاربس (Laribus) : ضبطها ياقوت بضم الحزرة والباء . وكتبها المقدسي والبكري « لربس » . وهي مدينة بتونس حدد اليعقوبي موقعها على مرحلتين من القيروان . وقال البكري انها تبعد ستة اميال عن القيروان . وقال اليعقوبي انها مدينة كبيرة عامرة (انظر البلدان لليعقوبي : ١٠١ وصورة الارض : ٨٦ واحسن التقاسيم : ٢١٧ ومسالك البكري : ٥٣٠٥١٠٤٦ ووصف افريقية : ٨٦ ومعجم البلدان ١ : ١٣٦) . ويرجع الاستاذ ديل انها تقع عند قصر جزة الذي يقع شمال مدينة حيدرة وقبل الوصول الى تالا حيث يجري وادي لربس جنوب مدينة الكاف (L'Afrique Byzantine, II, p. 272) .

(٥) نفطة (Nefta) : مدينة من منطقة قسطنطينية في الطرف الغربي من شط البحر بتونس . على بعد عشرين ميلاً الى الشرق من الحدود الجزائرية ، وعلى بعد ٦٣ ميلاً الى الجنوب =

ويشترون القمح منها ، وكانوا يأتونه ويسمعون^(١) منه ويأخذون عنه ؛
وقيل^(٢) إن بعضهم هلك له بعير كان معه ، فرآه يبكي فرقاً له وقال : أنا
أعيرك بعيراً وان شئت بعته منك بِنَظْرَةٍ ، قال : بل تبيعه مني بنظرة إلى
أن أصل إلى بلدي فأتيك بثمنه ، ولم يكن من أصحابه الذين أخذوا عنه ،
فقال [٢٠] له : تجد كفيلاً ؟ قال : نعم ، قال : فانظر فيه ، فقال : الله
لك بي كفيل ، قال : قد قبلت ؛ ودفع إليه البعير ، فلما صار إلى بلده اقتعد
به وجعل يختلف به إلى باغاية^(٣) ، وأقام دهرأ ؛ ثم إن البعير انقطع في الليل
من القطار فضرب إلى ناحية مرماجنة ، فبينما أبو سفيان في مسجده إذ أناخ
البعير بفناء المسجد وعليه حمل تمر ، فنظر إليه فعرفه وقال : لقد أوفى الكفيل
بك ، وكتب إلى الموضع يخبره ، فأتاه صاحبه بالثمن فدفعه إليه بحمله وذهب
ليعتذر إليه^(٤) ، فقطع كلامه عليه وأضافه إلى أن باع تمره وابتاع قمحاً
وانصرف^(٥) ؛ وكانت له في الفضل والعبادة أخبار كثيرة .

٤

= الغربي من قصة (Tunisia, p. 224) ؛ وانظر البلدان : ١٠٢ و صورة الارض :
٩١ ومسالك البكري : ٤٨ والاستبصار : ١٥٦ .

(١) ح : ويسمعون .

(٢) بياض في موضع « وقيل » في ح . .

(٣) باغاية : ضبطها ياقوت بالغين معجمة والـ ف و ياء ، مدينة بالجزائر تسمى اليوم
Auguste Comte على بعد حوالي خمسين كيلومتراً الى الجنوب الغربي من العين البيضاء ،
وتقع على ارتفاع ٢٩١٧ قدماً (Algeria, II, p. 410) ؛ وانظر في حديث الاقدمين عنها :
البلدان : ١٠٢ و صورة الارض : ٨٤ ومسالك البكري : ٥٠ و وصف افريقية : ٧٤
والاستبصار : ١٦٣ .

(٤) ح : به .

(٥) ح : فانصرف .

وأما الثاني^(١) فكان يعرف بالحلواني وأنه تقدم حتى وصل إلى سوجمار^(٢) فنزل موضعاً منه يقال له الناظور^(٣) فبنى مسجداً وتزوج امرأة واشترى عبداً وأمة، وكان في العبادة والفضل والعلم علماً في موضعه، فاشتهر به ذكره، وضرب الناس من القبائل إليه، وتشيع كثير منهم على يديه من كتامة ونفزة وسماتة^(٤)،

(١) وأما الثاني : سقط من ح .

(٢) أصاب التحريف هذا الاسم في المصادر كثيراً ، فهو في الكامل ٨ : ٣١ : سوق حمار ، وكذلك في العبر ٣ : ٣٦١ ، وفي العبر ٤ : ٣١ : سوف حمار ، وفي حاشية الاتعاض ٤١ : سوق حماد ، وقد حافظت نسخ الافتتاح جميعاً على شكل « سوجمار » . ولم تحدد موقع سوجمار أي من المصادر الجغرافية المتيسرة .

(٣) ذكر الادريسي حصن الناظور وجعله في طريق بجاية - القلعة ، جنوب وادي بجاية ، على مرحلتين من قرية تاروت العامرة (وصف افريقية : ٦٥) ، وجعله ابن خلدون من جبال بجاية المنيع (العبر ٦ : ١٧٦) ؛ وانظر رأياً للاستاذ محمد طالبي في هذا الموضوع في كتابه : L'Emirat Aghlabide, p. 576 .

(٤) كتامة : قبيلة كبيرة من البربر البرانس ينتسبون الى كتم بن برنس بن بر ويقيمون في ما يعرف ببلد كتامة ، ومقله الحصين جبل ايكجان . بالقرب من سطيف ، ونكن عمارته تمتد من حدود جبل اوراس في الجنوب الى سيف البحر ما بين بجاية وبونة . ومنه بلزمة وباغاية وتيجس وقسطنطينة وميلة وجيجل وسطيف وغيرها من المدن ، بل ان ابن حوقل جعله يمتد حتى القيروان في الشرق وحتى المسيلة في الغرب . ويقول ابن خلدون ان كتامة من اشد قبائل البربر بأساً واطولهم باعاً في الملك ، وينقل عن ابن الرقيق قوله ان الدولة لم تكن تسومهم بهزيمة ولا يناههم تعسف لاعتزازهم بكثرة جموعهم ، وسوف يكونون عصب الدولة العبيدية (انظر صورة الارض : ٩٣ والاقاليم للخوارزمي : ٢١ وجمهرة ابن حزم : ٤٩٥ ووصف افريقية : ٧٠ والبيان ١ : ١٢٥ والعبر ٦ : ١٤٨ ، ٩٠) . اما نفزة (او نفزاو . وكتبها في النسخ في كثير من الاحيان : نفرة) فهم قبيلة من ابناء نفزاو بن لوى من البربر البتر (انظر الجمهرة : ٤٩٧ ووصف افريقية : ٣٥ والعبر ٦ : ١١٤ ، ٩١) ويقول ابن حزم ان الزاي فيها =

وكان يقول لهم^(١) : بعثت انا وابو سفيان فقيل لنا : اذهبا إلى المغرب فانما تأتيا أرضاً بوراً فاحرثاها واكرباها^(٢) وذلّلاها الى أن يأتيها صاحب البذر فيجدها مذلة فيبذر حبه فيها .

فكان بين دخولهما المغرب ودخول صاحب البذر - وهو أبو عبدالله - مائة وخمسة وثلاثون سنة ؛ فمات أبو سفيان منهما بمراجنة وقبره بها يعرف مكانه ومكان مسجده إلى اليوم ، وعاش الحلواني بعده دهنراً طويلاً^(٣) [٢١] حتى لحق من لحقه أبو عبدالله وخلف ابنة له^(٤) يقال لها أم موسى ، ومات بالناظور من أرض سوجمار وثمّ قبره ومسجده .

وكان ممن لحقه ولحق أبا عبدالله أبو حيون المعروف بأبي المفتش ، وأخذ عنه بعض الشيء^(٥) وهو صغير ، وأخذ بعد ذلك عن رجاله ، ولحق أبا عبدالله ، وسنذكر خبره معه عند ذكره في موضعه ، ان شاء الله تعالى .

= تلفظ بسين بين الزاي والشين) ؛ اما سماتة (وتكتب ايضاً في المصادر : سماطة وسوماتة) فهم من قبيلة نغزة من البربر البتر من ابناء سماتة بن يطوفت بن نفاو بن لوى ، وبهم سميت مدينة سماطة التي تقع على طريق بلزمة - سجلماسة (انظر صورة الارض : ٩٢ وجمهرة ابن حزم : ٤٩٧ والعبر ٦ : ٩١ ، ١١٤) .

(١) ورد هذا بنصه حتى قوله « سنة » في الدرّة : ١١٣ ، وانظر الحاشية ٥ من الاتعاظ : ٥٠ .

(٢) م ع : وكرباها ؛ وكرب الارض : والى حرثها وكرره .

(٣) قال ابن الاثير ان وفاة الحلواني كانت قريبة من وفاة ابي سفيان (الكامل ٨ : ٣١) .

(٤) ح : له ابنة .

(٥) ح : واخذ منه بعض الشيء .

ذكر وصول أبي عبد الله داعي المغرب إلى صاحب دعوة اليمن وخروجه من عنده

كان أبو عبد الله هذا من الكوفة واسمه الحسين^(١) بن أحمد بن محمد ابن زكريا^(٢) وكان ذا علم وعقل ودين وورع وأمانة ونزاهة^(٣) ، وكان أكثر علمه الباطن ، ونظر في علم الظاهر نظراً لم يبالغ فيه . فلما^(٤) تمكنت الدعوة باليمن وظهر أمرها أرسل الامام أبا عبد الله الى أبي القاسم داعي اليمن ، فكتب إليه في أن يبصره ويرشده ويلقنه وقيل لأبي عبد الله : امثل سيرته

(١) في العبر ٣ : ٣٦٢ والحطط ١ : ١٠ : الحسن .

(٢) في الكامل ٨ : ٣١ ووفيات الاعيان ١ : ٤٤٣ انه من صنعاء ، وكذلك في الحطط ١ :

١٠ ؛ ونسبه ابن عذاري في البيان ١ : ١٢٤ الى صنعاء فقال : ابو عبد الله الصنعائي ،

وعاد المقرئ في الاتعاظ : ٥١ فقال : كان من رامهرمز واصله من الكوفة . وقال

صاحب سيرة الحاجب جعفر عن جعفر بن علي حاجب المهدي ان ابا عبد الله كان

رجلاً صوفياً جاراً لأبي عبد الله الداعي بالكوفة . فارسله الامام الى مصر اولاً ثم الى

اليمن (سيرة الحاجب جعفر بمجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية . سنة ١٩٣٦ .

القسم الثاني ، ص : ١٢١ ؛ وانظر قولاً آخر في نشأته الصوفية في صلة عريب : ٢٧) ؛

ومعظم المصادر على ان ابا عبد الله كان محتسباً في سوق الغزل بالبصرة - وقيل ان

المحتسب اخوه ابو العباس محمد - وكان يعرف بالمعلم لانه كان يعلم الناس مذهب

الامامية الباطنية (انظر العبر ٤ : ٣١ - ٣٢ والحطط ١ : ١٠ والاتعاظ : ٥١) ؛

قلت : ويبدو ان ابن خلدون في سائر هذا الفصل (ص : ٣٢ وما بعدها) يلخص

رسالة افتتاح الدعوة او مصدراً مشابهاً لها .

(٣) ابن الاثير : وكان له علم وفهم ودهاء ومكر (الكامل ٨ : ٣١) . وكذلك في الحطط ١ :

١٠ والاتعاظ : ٥٥ ؛ وعند ابن خلكان : وكان من الرجال الدهاة الحبيرين بما يصنعون

(الوفيات ٢ : ٤٤٣) وفي البيان ١ : ١٢٤ : وكان ذا فهم وفصاحة وجدال ومعرفة .

(٤) عاد في العيون الى النقل عن الافتتاح من هنا وحتى قوله : وهذا اثبت الامرين .

وانظر إلى مخارج أعماله ومجاري أفعاله فاحتدّها وامثلها واعمل عليها ثم اذهب إلى حيث شئت فادعُ ؛ وقيل : بل حدّ له المغرب وأرسل إلى بلد كتامة ، وهذا أثبت الأمرين^(١) .

فانتهى أبو عبد الله إلى أبي القاسم صاحب دعوة اليمن ، فأنزله عنده وقرب مجلسه وأدنى مكانه ورفع من قدره ، وقد كان يعرفه ، وأقام عنده من وقت انصراف الحاج من مكة إلى اليمن إلى وقت خروجهم إلى الحج في العام المقبل يشهد مجالسه^(٢) ويخرج معه في غزواته لا يفارقه [٢٢] فلما حضر وقت خروج أهل اليمن إلى مكة للحج خرج أبو عبد الله معهم إلى مكة ، وأخرج أبو القاسم معه من قبله رجلاً أصحبه إياه وآزره به بحسب ما جرت به السيرة في الدعوة ، وبحسب ما كان معه علي بن الفضل لئلا يحدث به حدث فيكون معه من يخلفه إلى أن يأتي أمر الامام عليه السلام .

وكان الذي أخرج معه رجلاً يقال له عبد الله بن أبي الملاحف^(٣) ، فصحبه إلى أن وصل إلى^(٤) بلد كتامة فأحكم أمره ، وكان اذا بعث رجلاً لوجه من هذه الوجوه لم يُعلم ذلك الرجل بمسيره أحداً من أهل ولا ولد لا^(٥) من قريب ولا بعيد ، ولا يعرف أين توجه ولا أين^(٦) سلك ؛ كذلك كان أبو

(١) الامر الثاني هو الذي يرجحه نص ابن خلدون في العبر ٤ : ٣٢ ؛ ويفهم من نص سيرة الحاجب جعفر ان الامام ارسل ابا عبد الله الى مصر بعد اليمن وانه التقى بحاج كتامة بمكة في طريقه الى مصر فمضى معهم الى المغرب (انظر ص : ١٢١ - ١٢٢) .

(٢) ح : مجالسته .

(٣) انظر سيرة الحاجب جعفر : ١٢٥ .

(٤) الى : سقطت من ع م .

(٥) لا : سقطت من ح .

(٦) م ع : حيث .

عبد الله وأصحابه من كتامة .

وكانت لعبد الله بن أبي الملاحف والدة فقدت عقلها لما فقدته وخولطت فيه ، فرق لها أبو القاسم وبعث إلى أبي عبد الله رجلاً يقال له ابراهيم بن اسحاق الزبيدي من أهل اليمن ليكون معه مكان ابن أبي الملاحف . وكتب إليه بأن ينصرف إليه^(١) ابن أبي الملاحف ، ففعل . وكان أبو عبد الله يقال له « السيد » بكتامة ، كما تقول العرب لصاحب أمرها والشريف فيها : « السيد » . فأجرى ذلك أبو عبد الله على ما يعرفه بالمشرق فسمي ابراهيم هذا لما قدم عليه « السيد الصغير » وكان يعرف أيضاً بالهوازي . وذلك أنه أنزله قبل أن يظهر أمره عند بعض شيخ كتامة ، فقبل له من هذا الرجل ؟ قال : هوازي . فلزمه هذا الاسم . ولم يكن ابراهيم هذا بمحمود الفعل وكذلك كان^(٢) ابن أبي الملاحف . ولما انصرف إلى اليمن صار في جملة من افتن بها . وسند ذكر خبره .

[٢٣] ولما قدم^(٣) أبو عبد الله من اليمن قبل^(٤) افریقیة أظهر أمره بكتامة^(٥) أنه صنعاني ، وكان يدعى عليه على منابر بني الأغلب بذلك . يقال : « اللهم ان كان هذا الكافر صنعاني قد استشرى شره^(٦) واستمرى مرتعه كافرأ لأنعمك مبدلاً لدينك مخالفاً لكتابك اللهم فالعنه لعناً وببلاً . واخره

(١) م : بان بصرف .

(٢) كان : سقطت من ح .

(٣) في ح بياض في موضع « ولما قدم » .

(٤) ع : الى .

(٥) ح : لكتامة .

(٦) ح : شره .

خزياً طويلاً ، وأرح منه عبادك ، وطهر منه أرضك وبلادك . وكان يبلغ ذلك أبا عبد الله فيقول : قولهم هذا في كقول مشركي العرب في رسول الله صلى الله عليه اذ شتموه^(١) : « اللهم افعل بمذمم واصنع بمذمم كذا »^(٢) لثلاثا يقولوا : محمداً فيعظموه ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه يقول : أما ترون ما دفع الله من شرهم ، يشتمون مذمماً وأنا محمد .

فلما خرج أبو عبد الله من عند أبي القاسم من عدن^(٣) لاعة مع من بعثه معه وأرسل معهما من يشيعهما إلى أقصى مبلغ طاعته^(٤) من اليمن وكتب إلى من يكاتبه فيما يلي ذلك من طريق مكة في الوصاية بهما ، فخرج أبو عبد الله من عنده ، فأخبرني من كان بحضرته يوم ودّعه من لاعة ، وهو في مجلس له مشرف على الجبل ، فنظر إليه منصّباً في الجبل بين يديه ، فجعل ينكت باصبعه نحوه ويقول : وان بين كتفيه لنجاة خلق عظيم .

ذكر اجتماع أبي عبد الله مع الرجال الكتاميين بمكة ووصوله معهم إلى بلد كتامة

ووصل أبو عبد الله مع جملة الحجيج من أهل اليمن إلى مكة ، فلما قضى الناس حجّهم واستقروا بمنى جعل أبو عبد الله يمشي بمنى ، فمرّ على جماعة من رجال كتامة ممن حج تلك السنة^(٥) ، وهم في رحالهم ،

(١) زاد في م هنا : قالوا .

(٢) كذا : سقطت من م ح .

(٣) عدن : سقطت من م ع .

(٤) ع م : لاعة .

(٥) ذهب ابن عذاري نقلاً عن الوراق الى ان زعيم الحجيج الكتامي عندئذ كان يميل في مذهبه الى مذهب الاباضية النكارة (البيان ١ : ١٢٤) .

وفيه من الشيعة الذين كانوا تشيعوا بأسباب الحلواني رجلاً: [٢٤] حريث الجيمي وموسى بن مكارمة^(١) ، فسمعهما أبو عبد الله يذكران لأصحابهما فضائل عليّ عليه السلام ، فجلس إليهما يذكر شيئاً من ذلك معهما . فأقبل عليه جميعهم ، وحدثهم طويلاً ثم نهض ليقوم فقاموا معه ومشوا لمشيته^(٢) وقالوا : نحب أن نعرف مكان رحلك فجاء بهم إليه ، فلما كان من غد أتوه فحدثهم وأوسع في الحديث ، وازدادوا فيه رغبة وعليه إقبالاً . فجعل يسألهم^(٣) عن بلدهم فيخبرونه ، فلما حضر النفر من منى قالوا له : أين توجهك ؟ قال : إلى مصر ، فسروا بذلك ورحلوا برحله^(٤) وجعلوا يمشون حوله إذا سار وينزلون بقربه إذا نزل ويخدمونه ويعظمونه . فلما نزلوا أول منهل اشتروا له شاة فذبحوها وهياؤها له طعاماً ونزلوا معه فأتوه بطعام^(٥) ، قال : ما هذا ؟ قالوا : هذه سنّتنا في الضيف . وأنت ضيف فينا فداراهم^(٦) في ذلك ، وأقسم عليهم ألا يفعلوا . فقالوا : نحن على ظهر طريق . فجعل يتلطف لهم في ذلك ، وأمره في كل يوم يعظم عندهم ويزيد . ويسمعون منه في كل يوم أمراً جديداً لم يكونوا سمعوا مثله . ويستفتونه فيفتيهم ، فمالت إليه قلوبهم . واجتمع إليه كل من كان حاجاً ذلك العام من كتامة ،

(١) في الكامل ٨ : ٣٢ : حريث الجيمي وموسى بن مكاد . وعد ابن خلدون في العبر ٤ : ٣٢ أسماء بعض الكتّامين الذين لقيهم أبو عبد الله في مكة . وقد تصحفت الأسماء هناك . ومن ذكره : موسى بن تكاد .

(٢) ح : لمشيته .

(٣) ح : يسألهم .

(٤) ح : برحيله .

(٥) ح ع : بالطعام .

(٦) موضع « فداراهم » في ح بياض ثم : « مداراة لهم » .

فكانوا يمشون حوله إذا مشى ، فان نزل لحاجة وقفوا ونزل له بعضهم معه حتى يقضي حاجته ويأخذ ركابه فيركب ، وان مرّ بماء استسقوا له ، وان رحل لم يرحلوا لأنفسهم رحلاً حتى يرحل رحله ويحملوه ، واذا نزل منزلاً كانوا حوله يخدمونه ويسعون في حوائجه بين يديه ؛ وكذلك شأن كتامة إلى اليوم ، يعظمون من كان قبله^(١) أقل شيء من العلم ويقدمونه ، حتى المعلم الذي يكون عندهم وإن كان لا يحسن غير قراءة القرآن فان له عندهم قدراً وحالاً ومكاناً .

وكان أبو عبد الله يسألهم [٢٥] في خلال حديثه عن بلدهم وأحوال أهلهم فيخبرونه بما يرى أنه موضع لما يريد ، وكان مما سألهم^(٢) عنه أن قال لهم^(٣) : كيف طاعتكم للسلطان وحكمه عليكم ؟ فقالوا : ما له علينا من طاعة ولا حكم أكثر من أنا نقول إنه سلطان . قال : وكم بينكم وبين موضعه ؟ قالوا : مسيرة عشرة أيام ، قال : فبالقرب منكم أمصار ؟ قالوا : نعم ، وذكروا ميلة وسطيف وبلزمة^(٤) وقالوا : هي في حدودنا - قال : فلسطان

(١) ح : عنده .

(٢) ح : عما يسألهم .

(٣) قارن بما ورد في الاتعاظ : ٥٥-٥٦ والبيان ١ : ١٢٥ ، وفي رواية ابن عذاري تفصيلات لم ترد هنا .

(٤) ميلة (Mila) : مدينة بالجزائر تقع على بعد حوالي ٤٣ ميلاً الى الشمال الغربي من قسنطينة (Algeria, II, p. 316) وانظر وصفاً لها في البلدان : ١٠٣ ومسالك البكري : ٦٤ والاستبصار : ١٦٦ ووصف افريقية : ٦٦-٦٧ ومعجم البلدان ٥ : ٢٤٤ ؛ اما سطيف (Setif) - وقد كتبت في النسخ جميعاً حيثما وردت «سطيق» ، وضبطها ياقوت بفتح اولها وكسر ثانيها وآخرها فاء - فتقع وسط سهول مسماة باسمها في الجزائر على بعد ٤٤ ميلاً الى الجنوب الشرقي من بجاية (Algeria, II, p. 155) ، =

افريقية بها عمال؟ قالوا: لا، فانما بها رجال ملكوها ما له عندهم اكثر من الدعوة على المنابر، وهم له طاعة في معصية. قال: فلهم عليكم انتم طاعة؟ قالوا: لا بل هم يدارون من قرب منهم منا ونحن الغالبون عليهم؛ قال: فالى من يرجع امركم؟ قالوا: كل رجل منا في نفسه عزيز، ولنا اكابر منا في كل قبيلة، وعندنا قوم نظروا في شيء من العلم. ومعلمون نستفتيهم في أمر ديننا ونتحاكم اليهم فيما يكون بيننا. فمن حكموا عليه ألزم نفسه ما ألزموه. وان عند^(١) عن ذلك قامت الجماعة عليه، وما وجب في أموالنا من عشر أو صدقة أخرجناها نحن لأنفسنا فدفعناها الى الفقراء فينا. قال: فلا سبيل للسلطان^(٢) عليكم في ذلك؟ قالوا: لا. قال: فكم مسافة بلدكم؟ قالوا: مسافة خمسة أيام طولاً في عرض^(٣) مسافة ثلاثة أيام. قال: فأنتم قبيل واحد؟ قالوا: يجمعنا اسم كتامة ثم نفرق قبائل وأفخاذاً وبيوتات. قال: فبعضكم ناء من بعض؟ قالوا: ما بيننا كثير تباعد. قال: فأمركم

= وقال الخوارزمي في أقاليمه: ٢١ انها حصينة جداً وسكانها من كتامة وكان ابو عبدالله الشيعي مقيماً فيهم حتى تمهد له امره. وقال البكري في مسالكة: ٧٦ انها كانت مدينة ذات سور خربته كتامة مع ابي عبد الله الشيعي. وقال ياقوت في معجم البلدان ٣: ٢٢٠ انه منها خرج ابو عبد الله الشيعي؛ وانظر وصفاً لها في البلدان: ١٠٣ وصورة الارض: ٩٣ ووصف افريقية: ٦٣. ٧٠. وتقع مدينة بلزمة (Bellezma) الى الجنوب من سطيف على مرحلتين منها وبمقرية من قسطنطينية (راجع البلدان: ١٠٣ وصورة الارض: ٩١ ومسالك البكري: ٥٠ ووصف افريقية: ٦٣. ٧١. وانظر ايضاً: Algeria II, p. 199).

(١) ح: عندنا.

(٢) ح: لسلطان.

(٣) ح: عرضه.

متفق؟ قالوا : لا (١) ، نحن نحارب بعضنا بعضاً ثم نصطليح بعد القتل ويصالح القوم منا قوماً ويحاربون آخرين ، كذا دأبنا . قال : فان دهمكم غيركم تجتمعون؟ قالوا : [٢٦] ما رام ذلك منا أحد قط (٢) . قال : ولم؟ قالوا : لكثرة عددنا وامتناع بلدنا . قال : وكم يكون عددكم؟ قالوا : ما أحصى ذلك أحد منا ولا من غيرنا - فيما علمناه - قال : فعندكم الخيل والسلاح؟ قالوا : ذلك أكثر كسبنا وبه نفخر وإياه نعتد لحاجتنا إليه لما بيننا من حروبنا .

وكل ذلك يسألهم عن هذا ومثله في خلال الحديث ويذكر (٣) أحوال البلدان والعشائر وكل ذلك يسألهم ويجريه حديثاً لغير علة ، وهو يعي ذلك عنهم ويستخبر ما يريد منهم لما يرجوه ويؤمله فيهم ، وهم عما يريد به بمغزل لا يرون أنه يجري ذلك إلا حديثاً على ظاهر ما يرون منه ، وهو مغتبط بكل ما يسمعه من ذلك ، ويرى أن الأمر ينتهي فيهم .

حتى اذا صاروا إلى مصر أظهر لهم أنه يريد المقام ، فأظهروا الغمة لفراقه وقالوا : ما يقيمك هاهنا وما ترى معك من تجارة ولا هو بلدك؟ قال : اطلب التعليم . فابتهجوا لذلك وقالوا : ما ترى أنك تجد بلداً أجدي عليك في التعليم من بلدنا ، وجعلوا يخبرونه (٤) بنفاق ذلك عندهم وتعظيم أهل بلدهم للمعلمين فيهم وقالوا : ان شئت فانظر ما عسى أنك ترى وتؤمل كسبه في التعليم في كل سنة فنحن نزيد فيه على أملك ونوجه لك على أنفسنا وندفع

(١) لا : سقطت من ح .

(٢) قط : سقطت من ح .

(٣) ح : ويذكره ويذكر .

(٤) ح : يخبرون .

اليك الآن منه إن شئت أجر السنة والستين وما أحببت^(١) من ذلك . فأظهر لهم في ذلك أمراً بين الأمرين ، ورغبتهم في ذلك تزيد فيه ، وهم يتطارحون^(٢) في ذلك عليه ويسألونه إلى أن أجابهم إلى الخروج معهم ، فسروا بذلك سروراً شديداً [٢٧] وقال بعضهم لبعض : ان هذا لما^(٣) يكون لنا به الفخر ، وانا لنأتي الى بلد كتامة بشيء ما جاء به أحد ممن كان قبلنا ، وجعلوا يزيدون في الرغبة اليه ويقولون : عندنا كثير من اخوانك ممن يذهب إلى ما أنت عليه فلو رأوك ورآك الناس ما رضوك الا لشيوخهم دون صبيانهم ، وليس مثلك نجلبه لتعليم صبيان ، وما تريده لوجه التعليم فأنت تجد أضعافه في أموالنا . فأسمعهم خيراً .

فلما رأوه قد^(٤) عزم على المسير معهم اجتمعوا وقالوا : نجمع له دنائير ندفعها إليه لتقوى بها نفسه ونحمل مؤنته . فجمعوا دنائير أتوه بها فامتنع عليهم ، فحاولوه على ذلك بكل وجه فأبى عليهم^(٥) وقال : لم يكن منا ما يجب ذلك له ، واذا كان قبلنا منكم^(٦) : قالوا : فامن علينا بقبول هذا فانها يدك عندنا ، فامتنع من ذلك بتلطف وشكر . فعظم في أعينهم وزادت هيبتة في صدورهم .

ثم خرجوا من مصر وأرادوا حمل مؤنته فأبى عليهم وسائرهم

(١) ح م : اجبت .

(٢) ح : يطارحون .

(٣) ح : لما .

(٤) ع ح : وقد .

(٥) فحاولوه ... عليهم : سقط من ح .

(٦) اضطربت هذه الجملة في ح .

على ما كان في تطف (١) ، وكل ذلك أمره يعظم عندهم وجلالته تزيد في أعينهم . فكانت طريقهم من طرابلس على قسطنطينية (٢) لأنها الجادة ، فلم يدخلوا افريقية (٣) . حتى اذا صاروا الى سوجمار من أرض سماتة تلقاهم أهل الموضع فأنزلوهم عندهم ولقي حريثاً وموسى : أبو المفتش وأبو القاسم الورفجومي (٤) وأبو عبد الله الأندلسي - وكان هؤلاء شيعة - فلقوا صاحبهم فأخبراهم بخبر أبي عبد الله . فنظر السماتيون إلى تعظيم الكتاميين بجماعتهم له ، فرغب كل واحد منهم في (٥) أن يكون نزوله عنده حتى رموا عليه السهام . فخرج له سهم أبي عبد الله الأندلسي (٦) ، فنزل عنده ونزل [٢٨]

(١) ح : تطفه .

(٢) في ح : قسطنطينية (وهو الشكل الذي يكتب به أحياناً اسم قسطنطينية) ؛ و قسطنطينية - بالفتح ثم السكون وكسر الطاء وياء ساكنة خفيفة وهاء - مدينة وكورة كبيرة من بلاد الجريد من تونس قاعدتها توزر - وهي مدينة قسطنطينية نفسها - ومن مدنها نفطة والحامة (انظر البلدان : ١٠٢ و صورة الارض : ٩٢ ومسالك البكري : ٤٨ والاستبصار : ١٥٥ وما بعدها ووصف افريقية : ٧٥ ومعجم البلدان ٤ : ٣٤٨) . وتقع مدينة قسطنطينية على بعد نحو خمسين ميلاً الى الجنوب الغربي من قفصة وعلى بعد ١٤ ميلاً الى الشرق من نفطة (Tunisia, p. 228) .

(٣) هذا موافق لما عند ابن خلدون في العبر ٤ : ٣٢ ؛ ولكن ابن عذاري نقل عن الوراق في البيان ١ : ١٢٥ ان ابا عبد الله قال للكتاميين : لا بد لي من المقام بالقيروان حتى اطلب حاجتي . وانه اقام بالقيروان - طويلاً فيما يبدو - يتعرف احوال القبائل ؛ هذا وفي البيان ١ : ١٢٦ - ١٢٩ اخبار لم ترد عند القاضي النعمان هنا .

(٤) جعله ابن خلدون في العبر ٤ : ٣٢ في جملة الحجيج من الكتاميين الذين لقيهم ابو عبد الله بمكة . (٥) في : سقطت من ح .

(٦) سماه ابن خلدون في العبر ٤ : ٣٢ : محمد بن حمدون بن سماك الأندلسي وقال انه من بجاية الأندلس ، لكنه فيما يبدو خلط بينه وبين ابي المفتش عندما قال انه هو الذي كان قد ادرك الحلواني واخذ عنه ، مما يخالف ما سيأتي عند القاضي النعمان .

حريث عند أبي المفتش وموسى عند أبي القاسم ، وأنزل السماتيون كل واحد من الكتاميين عند رجل منهم بحسب ما يفعلونه بالأضياف الجماعة اذا حلوا بالقوم ، فذبح كل واحد شاة^(١) لضيفه واحتفل في بره واكرامه .

فنظر أبو عبدالله إلى صدق ما وصفوه من أحوالهم ، وأتاه أبو المفتش وأبو القاسم الورفجومي مع حريث وموسى من الليل ، فتحدثوا عنده ملياً . ونظر أبو عبدالله إلى قوم لهم من المعرفة والفهم أكثر مما رآه لمن عاينه ممن صحبه . وأصاب عندهم من علم الشيعة وفضل أهل البيت أصلاً قوياً ، فزاد في الكلام معهم والايضاح لهم . فلما كان آخر المجلس وأرادوا القيام نظر إليه أبو المفتش وقال : والله اني لأظنك صاحب البذر الذي يذكره الحلواني ، وأخبره بخبره ، وقام ، فقال أبو عبدالله لأبي عبد الله الأندلسي : شيخ كويتس^(٢) - يعني أبا المفتش .

فلما خرج أبو المفتش قال لأصحابه^(٣) : لولا واحدة كان الحلواني يقولها ما تخالجنى^(٤) الشك في أن هذا الرجل هو الذي كان الحلواني يبشر به . قالوا : وما هو يا أبا حيون^(٥) ؟ قال : كان اذا وصفه قال : في فيه إصبع . فبلغ ذلك أبا عبد الله فتبسم وقال : هذا لا يكون . فلما أخذ العهد بعد ذلك على من سمع ذلك من أبي المفتش واشترط الكتمان وضع اصبعه على فيه وقال^(٦) :

(١) شاة : سقطت من ح .

(٢) تصغير كيتس .

(٣) ورد هذا النص في الدررة : ١١٣ والاتعاظ : ٥٨ .

(٤) ح : يخالجنى .

(٥) ح : حيوان .

(٦) ح : ووضع ... قال .

هذا هو^(١) الاصبع الذي يقوله الحلواني ، أمركم بالصمت والكتمان ، فأما أن يكون في فم^(٢) رجل إصبع فلا ، قالوا : كذلك والله هو ، وقام عندهم الشاهد في ذلك .

فلما انصرف القوم عنه بقي معه أبو عبد الله الأندلسي وكان له فهم وحدة ومعرفة ، وكان معلماً بالموضع ثم أوطنه وصار إلى درجة العلماء فيه [٢٩] وتشيع ، فما زال يطارحه أبو عبد الله ويجد منه ما يريد حتى كشف له الأمر وأخذ عليه العهد في ليلته تلك ؛ فيقال انهما صليا الفجر على طهر العشاء الآخرة ، فنام أبو عبد الله بعد الصلاة ، وقام أبو عبد الله الأندلسي فذبح غنماً كثيرة ، ومشى إلى الكتامين وقد أخذوا في الرحيل ، فأقسم عليهم أن يقيموا عنده يومهم فشق ذلك عليهم لقرب بلدهم ، فقال لهم : ان هذا الضيف الذي معكم قد سهر هذه الليلة فلما صلّيت نام وكرهت إن مشى اليوم أن تناله علة ، قالوا له : أما إذا كان هذا فتقيم ، ولو قدرنا أن نقيه بأنفسنا لفعلنا . فقام بضيافتهم وجعل يستعد ما يسير به ، فرآه أبو المفتش وأبو القاسم الورفجومي على ذلك فقالا : ما هذا الذي نراك تصنعه من الزاد ؟ فقال لأبي المفتش : أظن الذي قلت في^(٣) هذا إنه صاحب البذر كما قلت ، وقد رأيت أن أصحابه وأتعرّف ما عنده : قال أبو القاسم : وأنا والله ، فافعل ذلك ، وكان أبو المفتش قد خرف^(٤) وضعف بدنه فقال : وانا الله ، فلو

(١) ح : هو .

(٢) ح : في في .

(٣) في : سقطت من ح .

(٤) خرف : فسد عقله من الكبر ؛ وتستعمل هذه اللفظة في هذا الكتاب للدلالة على عجز الجسم - فيما يبدو - دون فساد العقل .

استطعت السفر لكنت معكما ، ولكن متى وقفتما منه على أمر كتبتما إليّ
فحملت إليه . ونظر موسى وحرث من رغبة أصحابهما فيه ما زادهما غبطة
به وسروراً بقدمهما به ؛ وبات القوم فلما أصبحوا ارتحلوا .

ذكر وصول ابي عبد الله الى بلد كتامة

وابتداء امره فيه

وسار^(١) القوم فدخلوا حد^(٢) بلد كتامة يوم الخميس للنصف من شهر
ربيع الأول سنة ثمانين ومائتين^(٣) ومعهم أبو عبد الله الأندلسي وأبو القاسم
الورفجومي ، فتنازع أبا عبد الله كل واحد من الكتاميين ليذهب به إلى موضعه
رغبة فيه [٣٠] وحرصاً عليه حتى صار أمرهم في ذلك إلى التشاح^(٤) والمنازعة .
ثم آل أمره إلى أن يخبروه في حيث يجب أن يقصد منهم^(٥) وتراضوا في ذلك

(١) في م : قال وسار

(٢) ح : احد .

(٣) هذا التاريخ موافق لما عند ابن الاثير في الكامل ٨ : ٣٢ ولم يؤرخ كل من عريب والوراق
وابن الخطيب دخول ابي عبد الله بلد كتامة ، وقال ابن خلدون والمقرئزي انه دخله
في منتصف ربيع سنة ثمان وثمانين ومائتين (العبر ٤ : ٣٢ والاتعاظ : ٥٦ والخطط
١ : ٣٥٠ و ٢ : ١١ وفي نسخة من الكامل ايضاً ٨ : ٣٢) . فاذا عرفنا ان خروج
المهدي الى افريقية كان سنة تسع وثمانين وان ابن عذارى يقول ان ابا عبد الله مكث
سبع سنين - على الاقل - بين الكتاميين قبل اظهار الدعوة للمهدي . قدرنا انه لا بد
ان يكون التاريخ الذي ذكره القاضي النعمان هو التاريخ الصحيح . اذ ان الاحوال
كانت قد استتبت و « المجتمع » الشيعي قد بدأ يأخذ سماته الفارقة المميزة (انظر
سيرة الحاجب جعفر : ١١٢ . ١١٧ . والبيان ١ : ١٢٨)

(٤) م : التشاح .

(٥) ح : عنهم .

فقال : في (١) أي موضع عندكم (٢) فج يسمى فج الأخيار ، فنظر (٣) بعضهم إلى بعض كأنهم رأوا أنه قد علم ذلك ، قالوا : هو عند بني سكتان (٤) وطريقهم من هذا الموضع فيه ، قال : فاليه نقصد ثم نأتي كل قوم منكم ان شاء الله في مواضعهم ونزورهم في بيوتهم ولا نجعل لأحد منكم من (٥) نفسي حظاً دون أحد ، فأرضاهم ذلك وسار كل قوم منهم إلى جهتهم ، وسار أبو عبد الله مع حريث وموسى وأبي القاسم الورفجومي وأبي عبد الله الأندلسي إلى إيكجان (٦) موضع موسى وحريث من بني سكتان .

(١) في : سقطت من ح .

(٢) ح : عنكم .

(٣) ح : فينظر .

(٤) في الكامل ٨ : ٣٢ والاتعاظ : ٥٦ : عند بني سليمان ؛ وفي العبر ٤ : ٣٢ : بلد بني سكتان من جيلة ؛ ويبدو ان بني سكتان من جيلة (او جيلة) الكتامين بدليل ما جاء في الافتتاح (ق : ٤٦) من قول اعداء الدعوة من الكتامين أنهم لا يقدرين ان يأخذوا ابا عبد الله من ايدي بني سكتان « لانهم لم يشكوا أنهم يمنعونه ، فاذا منعوه احتمى لهم جميع جيلة » ؛ فكأن بني سكتان قسم من جيلة ، وهذا ما يؤيده قول ابن خلدون المذكور قبل ، وان تحرفت عنده جيلة (او جيلة) الى جيلة .

(٥) م : في .

(٦) قال الادريسي : إيكجان جبل بقرب سطيف على مرحلة ونصف من بجاية وبه قبائل كتامة وبه حصن حصين ومعقل منيع (وصف افريقية : ٦٣ ، ٧٠) ، وجاء في هامش نسخي الاتعاظ انه جبل بالقرب من قسطنطينية (انظر الحاشية الاولى من ص : ٥٧) مما قد يشير الى انه يقع الى الشمال الشرقي من سطيف في المنطقة الجبلية هناك ؛ وقد تصحف اسم إيكجان كثيراً في المصادر ، وادى ذلك - مع بعض الاضطراب في تحديد موقعه - الى محاولات كثيرة من جانب الدارسين في العصر الحديث لمزيد من البحث حوله (انظر بحثاً مفصلاً عن الاقوال المختلفة في موقعه في الحاشية الرابعة من ص : ٦٠٠ من كتاب : L'Emirat Aghlabide) .

فلما صار إلى فج الأختيار^(١) قال لهم : هذا فج الأختيار ؟ قالوا : نعم ، ثم قال له موسى وحرث : والله ما نعلم أنا ذكرنا لك هذا الفج فمن أين علمت اسمه ؟ ثم نراك قد عرفته دون أن نعرفك به ! قال : البلدان توصف للناس وتذكر لهم وإن لم يروها . وكان بعد ذلك يقول^(٢) : والله ما سمي هذا الفج إلا بكم ، ولقد جاء في الحديث : « إن للمهدي هجرة تنبؤ عن الأوطان في زمان محنة وافتتان ينصره فيها الأختيار^(٣) من أهل ذلك الزمان : قوم مشتق اسمهم من الكتمان » فأنتم هم كتامة ، وبخروجكم من هذا الفج سُمِّيَ^(٤) فج الأختيار .

ونزل أبو عبد الله بايكجان فأقام به ، وصدر عنه كل من كان معه من الحجيج من كتامة إلى مواضعهم ، فأخبروا من قدموا عليه من أصحابهم بأخباره ، ووصفوا لهم علمه وحاله ، فأقبل الناس إليه من كل ناحية وتسامعوا به ، فكان يجلس لهم ويحدثهم بظاهر فضائل علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وعلى الأئمة من [٣١] ولده عليهم السلام ، فاذا رأى الواحد منهم بعد الواحد قد لقينَ عنه وأحسَّ فيه ما يريد ألقى إليه شيئاً بعد شيء حتى يجيبه فيأخذ عليه . وأخذ قبل ذلك على أبي القاسم الورفجومي وعلى حرث وموسى فقال حرث : ما كان أطولَ سَفَرنا معك ونحن في غفلة عن مثل هذا منك . وأتاه هرون بن يونس بن موسى المسالي الذي كان يقال له « شيخ

(١) ح : الحيار .

(٢) ورد هذا النص في الكامل ٨ : ٣٣ والعبر ٤ : ٣٢ والاتعاظ : ٥٧ والخطط ١ : ٣٥٠ و ٢ : ١١ .

(٣) ح : الحيار .

(٤) ح : يُسَمَّى .

المشايخ « من مسالمة^(١) فدعاه . وجاءه الحسن بن هرون الغشمي من غشمان^(٢) تازروت^(٣) فدعاه، وكان شاباً عاقلاً وسيماً كريم الأخلاق من أهل الجدة واليسار ، وكانت له أفعال جميلة وفضائل مذكورة . وأتاه من إجانة^(٤) أبو يوسف ماكنون بن ضبارة^(٥) وابن أخيه تمام بن معارك أبو زاكي - وهو حدث - فدعاهما ، فرأى من أبي زاكي حركة ونباهة ونشاطاً في حوائجه وخفة ورغبة في ذلك وحرصاً عليه . وكان أبو زاكي يخدمه بين يديه لا يفارقه^(٦) .

(١) المسالمة : قوم من كتامة ينتسبون الى مسالمة بن يناوة بن غرسن بن كتم (العبر ٦ : ١٤٨) .

(٢) كذا كتبها بالشين المعجمة في النسخ جميعاً ، وضبطها دي سلان في ترجمته للجزء السادس من العبر ١ : ٢٩٢ بالسين المهملة : وغشمان (او غشمان) قوم من كتامة ينتسبون الى غشمان (او غشمان) بن ينطاسن بن غرسن بن كتم (العبر ٦ : ١٤٨) .

(٣) حافظت نسختا مع على هذا الشكل في كتابة هذه الكلمة ، ووردت باشكال مختلفة في النسخة ح : فهي احياناً تازوت و احياناً تازورت و احياناً تازروت . وقد تحرف اسم تازروت في المصادر كثيراً . فهو عند ابن الاثير ناصروت او ناصرون (الكامل ٨ :

٣٤) وعند المقرئزي : ناصروت (الاتعاظ : ٥٨) او ناصروق (الخطط ٢ : ١١) وكتبها ابن خلدون تازروت وجعلها من جبال بجاية (العبر ٤ : ٣٣ و ٦ : ١٧٦) ؛ وانظر احسن التقاسيم : ٢١٩ حيث جعل المقدسي تازروت من اعمال سجلماسة ! (٤) اجانة : قوم من كتامة ينتسبون الى اجانة بن ينطاسن بن غرسن بن كتم (العبر ٦ :

١٤٨) . (٥) كتب هذا الاسم في النسخ باشكال مختلفة فجاء على ماكيون بن ضبارة وابن ماكيون ابن ضبارة وماكنون بن ضبارة وابن ضبارة ؛ وقد استأنست في تسميته بماكنون بن ضبارة بما جاء عند ابن خلدون في العبر ٤ : ٣٣ من ان اسمه ماكنون بن ضبارة وعند ابن عذارى من انه ماكنون بن دبارة (البيان ١ : ١٦٤) وهذا الشكل الاخير قد يدل على ان الكاف في « ماكنون » تلفظ لفظ الجيم المصرية .

(٦) قارن بما في البيان ١ : ١٢٥ - ١٢٦ .

واشتهر^(١) أمره وهو في ذلك ظاهر، ثم عرضت له علة من حصة كانت تعتريه فتبلغ به فقالوا له : لو أصبت حماماً قيل له الحمام بميلة ، وهو قريب منك ، فمضى مع رجل من بني سكتان حتى دخل ميلة ، فقصد فندقاً بها كان لفرجون مولى لموسى بن عياش^(٢) صاحب ميلة فنزل فيه . وجاء رجل إلى موسى بن عياش فقال له : ان الرجل المشرقي الذي انتهى اليك أنه نزل ببايكجان وان الناس من كتامة يأتونه قد دخل ميلة ، وقد نزل في فندق فرجون ، وفرجون قائم بين يديه - وكان من جلة عبيده، وولده اليوم بميلة في ثروة وجماعة، ويقال إنه مات عن عشرين ولداً ذكوراً كلهم يركبون خلفه إذا ركب ، وكان نبيلاً [٣٢] ذا همة وكرم - فقال له موسى مولاه : اذهب فجنني بهذا الرجل من فندقك فما ينبغي أن تهمل أمر مثله ، فخرج فرجون ليأتي به وحاسب نفسه فيه ، وذلك أنه قد صار ضيفه إذ نزل في فندقه وخاف أن يكون من موسى إليه ما يكرهه فيكون ذلك نقصاً عليه ، فدس إليه من أئذره وأمره بالخروج ، وترجع إلى أن علم أنه قد خرج ، فأتى فندقه فسأل عنه فقيل انه خرج^(٣) ، فجعل^(٤) يطلبه . ثم رجع إلى موسى فأخبره أنه وجدته قد خرج ، فأعرض عن ذكره ووقاه الله شره . والبيت الذي نزل فيه من هذا الفندق يعرف بنزوله إلى اليوم .

وقيل إنه جاء على بغلة بلقاء - وكانت عنده زماناً طويلاً يركبها^(٥) -

(١) م ع : واشتهر .

(٢) يكتبه كاتبنا نسختي م ع « عياش » او « العياش » . ويرد الاسم في ح على هذه الصور جميعاً . وقرأه الأستاذ طالي « عباس » (L'Emirat Aghlabide, p. 603)

(٣) ح : فخرج .

(٤) ع م : وجعل .

(٥) انظر البيان ١ : ١٢٥ .

ورجع إلى ابيكجان ، فذكر طلب موسى بن عياش إياه ، وانتشرت أخباره في قبائل كتامة ، وأقبلوا إليه من كل ناحية ، فتسامع الناس بأنه يدعو إلى أمر مكتوم لا يعلمونه ، وأن من دخل ذلك الأمر لم يظهره ولا شيئاً منه ، فاذا سأله أخص الناس به وأقربهم إليه وأعزهم عليه عما دخل فيه وما قيل له قال : « ابلغ توقن » ، وكانت كلمة علمهم اياها أبو عبدالله فكانت هجيراًهم عند السؤال ، وسمّاهم : « اخواناً » وكان اذا دعا أحدهم^(١) قال : « يا أخانا » ، وكانوا يتداعون بينهم كذلك .

وعرف أبو عبدالله وشهر أمره بـ « المشرقي » ، ومن دعاه ودخل في^(٢) أمره نسب إليه فقيل إنه مشرقي فسمّوا « المشارقة » . ورأى أهلهم منهم الإقبال [٣٣] على الصلاة والصيام وأعمال الخير وأفعال البر وتجنب المعاصي وصلاح الأحوال ما دعاهم إلى الدخول في ذلك ، فأقبلوا إليه من كل وجه ، فكل من جاءه دعاه وانصرف إلى بلده وموضعه وأهله واختلف إليه يسمعه ، ومنهم من أقام ببيكجان رغبة في القرب منه .

ودعا جماعة من بني سكتان فأخلوا له مجلساً للسمع ، وكانوا يقيمون ضيافة من يأتيه ويرد عليه ويحمل المؤمنون^(٣) إليه وينفقون في ذلك رغبة في الثواب وتقرباً^(٤) إلى الله عز وجل بعمل الخير ، وكان ذلك أول ما خصهم به من النفقة عليه وندبهم إليه . وصار من وصل إلى الدعوة في قومهم كالنجوم في أفعال الخير يشار إليهم بالأصابع ويعجب الناس من سوء حالهم قبل دخول

(١) ح : دعاهم .

(٢) في : سقطت من ع م .

(٣) انظر ورود لفظة « المؤمنين » للدلالة على أصحاب أبي عبدالله في البيان ١ : ١٣٧ .

(٤) ح : والتقرب .

العدوة وما صاروا بعد ذلك إليه^(١) ، وجعل من لم تطاوعه نفسه الحسياسة على ترك المعاصي ورياسة الدنيا يتغامز بهم وينسب الكفر والخروج^(٢) عن الملة إليهم ويقول : لو كان هذا الأمر فيه خير ما ستر^(٣) ، وما هو إلا خلاف دين الاسلام ، وما هذا الذي يتصنعون به^(٤) إلا رياء يجرون به الناس : وكثر^(٥) القول في ذلك بكل ناحية .

واتصل اشتهار ذلك وما يقال فيه بموسى بن عياش صاحب أمر ميلة . فأرسل إلى بني سكتان أن يرسلوا أبا عبد الله ليختبر^(٦) أمره ويجمع بينه وبين العلماء عنده . فأنفوا من ذلك وردوا إليه وقالوا^(٧) : ما كنا ممن يسلم ضيفه^(٨) إليك ، فحاولهم في ذلك ورد الرسول إليهم ولطف بهم وحذرهم [٣٤] عواقب الأمور وأن أمره إن اتصل بابراهيم بن أحمد^(٩) أخرج إليهم العساكر وناهم من ذلك ما يكرهونه فأغلظوا له في الجواب وقالوا : ما كنا بمن^(١٠) يسلمه ولا يخذله ولا يدع^(١١) أحداً تمتد يده إليه وهو

(١) ح : اليه بعد ذلك .

(٢) م : في الخروج .

(٣) ح : ستروا .

(٤) ح : يتضعفون .

(٥) ح : وكثروا .

(٦) كذا في م وصححت كذلك في ع : وفي ح : ليستخير .

(٧) ح م : قالوا .

(٨) ح : بمن يسلم ضيفنا ؛ ع : ممن يسلم ضيفنا .

(٩) هو ابراهيم بن احمد بن محمد بن الاغلب (٢٣٧ - ٢٨٩) صاحب افريقية . واخباره

في كتب التاريخ العامة والحلة السيرة ١ : ١٧١ والدرة : ٣٧ والبيان ١ : ١١٦ - ١٣٢

ونهاية الارب ٢٢ : ٨٢ - ٩٢ واعمال الاعلام ٣ : ٢٧ - ٣٦ .

(١٠) م ع : ممن .

(١١) م ع : ندع .

ضيفنا وبين أظهرنا . فلما يثس منهم وعلم أنهم لا يطيعونه حاول أن يضربهم
بغيرهم من كتامة ، فأنفوا من ذلك أن يكونوا له يداً على أهل بيوتاتهم مع
غيرهم .

واتصل خبر أبي عبد الله بإبراهيم بن أحمد صاحب افريقية فكتب إلى
موسى بن عياش يسأله عن خبره ، وضعف موسى بن عياش أمره وخاف
من قدوم إبراهيم بن أحمد إن قدم أن يوقع به أو يعزله لأنه لم يكن يثق به
وإنما كان يكتبه على سبيل المداراة ، وذكر له جملة خبره في كتابه ففطن
إبراهيم بن أحمد لأمر موسى في ذلك .

ذكر جواب إبراهيم بن أحمد لموسى بن عياش
مع رسول من قبله إليه وإرساله إلى أبي عبد الله^(١)

قال : لما وقف إبراهيم بن أحمد على جواب موسى بن عياش وعلم
مراده كتب إليه كتاباً وبعث إليه بابن المعتصم المنجم وأمره أن يتلطف في
إيصاله إلى أبي عبد الله وأمره أن يختبر أحواله ويأتيه بصحيح خبره وأوصاه
بوصايا إليه وأمره أن يبلغه إياها . فانتهى إلى موسى بن عياش ، فأرسل
موسى إلى بعض بني سكتان يخبره بأن إبراهيم بن أحمد بعث برجل إلى أبي
عبد الله ليجتمع معه ويسأله في إيصاله إليه ، فرفع ذلك إلى أبي عبد الله فأذن

(١) لخص ابن خلدون هذه الرسالة إلى أبي عبد الله بقوله : « وبلغ خبره إلى أمير افريقية
إبراهيم بن أحمد بن الاغلب فبعث إليه بالتهديد والوعيد فأساء الرد عليه » (العبر ٤ :
٣٢) ؛ واورد ابن الخطيب رسالة إبراهيم بن أحمد ثم جواب أبي عبد الله عليها مختصرين
في اعمال الاعلام ٣ : ٣٨ - ٣٩ ؛ ويقول الاستاذ طالبي ان النويري اورد هاتين
الرسالتين - كاملتين فيما يبدو - في المجلد ٢٦ من النسخة التيمورية من كتاب
نهاية الارب (L'Emirat Aghlabide, p. 606, n. 2)

له^(١) فيه ، فبعث موسى بن عياش بابن [٣٥] المعتصم سرّاً إلى أبي عبد الله كما أمره ابراهيم وأنفذه إلى الرجل الذي كاتبه بذلك ، فأوصله إليه . فقربه أبو عبد الله وأقبل عليه ، وقال له ابن المعتصم : إن الأمير ابراهيم بن أحمد وجهني إليك وأمرني أن أبلغك عنه وأنا رسوله . وإن أذنت لي في تأدية ما أرسلني به إليك أدبت إليك ، قال له^(٢) أبو عبد الله : أدّ رسالتك فما على الرسول إلاّ البلاغ ، قال : وأنا آمن ؟ قال : أنت آمن بأمان الله فقل كلّ ما قال لك ، قال : يقول لك الأمير : ما حملك على تعرض سخطي والتوثب في مملكتي وإفساد رعيّتي والخروج عليّ ؟ إن كنت تبتغي عرضاً من أعراض الدنيا فإن ذلك مما تجده عندي إن أنت^(٣) تلافيت نفسك ورجعت عن غيك ، فاقدم إليّ فأنت آمن ، فإن أردت المقام ببلدي أقمت . وإن أحببت الانصراف إلى الموضع الذي جئت منه انصرفت . وإن كان قصدك قصداً من سوّلت له نفسه الخلاف على الأئمة واستفساد جهلة الأمة فقد لعلك عرفت كيف كان عواقب من منّ منته نفسه أمنتك وسوّلت له ما سوّلت نفسك لك من الهلاك العاجل قبل سوء المصير في الآجل . فلا يغرنك ما رأيت من إقبال هؤلاء الأوباش عليك واتباعهم إياك . فإني لو قد صرفت وجهي إليك لأسلموك وتبرءوا منك . واعلم أيّ إنما أردت الإعذار إليك لاظهار الحجة عليك وهذا أول كلامي لك وآخره لن أقبل لك بعده^(٤) توبة ولا أقبلك عثرة ولا أجعل جواب ما يكون منك الا النهوض

(١) له : سقطت من ح .

(٢) له : سقطت من ح .

(٣) ح : كنت .

(٤) ح : بعد .

بنفسي إليك بجميع أبطال رجالي [٣٦] وأنصار دولتي وجملة أهل مملكتي ،
فعد ذلك تندم ان جمحت الآن في الغي حين لا ينفعك الندامة ولا يقبل منك
التوبة ، فان نظرت في يومك لغدك فقد أعذر إليك من أندرك .

قال أبو عبد الله : قد قلت فاسمع وبلغت فأبلغ ؛ قل له : أما ما ذكرت
من التهديد والوعيد فما أنا ممن يروّع بالوعيد^(١) والايعاد ، ولا يهول^(٢)
الابراق والارعاد ، واما^(٣) تخويفك إياي بأنصار دولتك ورجال مملكتك
أبناء حطام الدين وذباب طمعها الذين يرتاعون لكل بارق ، ويجيبون كل
داعٍ وناعق ، فاني في أنصار الدين وحماة المؤمنين الذين لا يروعهم كثرة
أنصار الظالمين ، مع قول الله عز وجل وهو أصدق القائلين ﴿ كم من فئة
قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ﴾ (البقرة : ٢٤٩) واما
ما أطمع إبراهيم^(٤) به من دنياه وعرضه من زبدها وحطامها فلست من
أهل الطمع فأميل إليه ولا ممن يرغب فيما عنده^(٥) فيأتيه ، وانما بعثت رسولا
لأمر حمّ وقرب ، وانتجاز وعد من الله سبق ، والله لا يخلف الميعاد ، ولا
يظلم إلا من ظلم نفسه من العباد ؛ فان سؤلت له نفسه ما توعّد به ودعته
إليه فسوف تعلم أن الله من ورائه ولن تغني عنه فئة ولو كثرت ، وان الله
مع المؤمنين الصابرين^(٦) ؛ فهذا جواب ما جئت به فبلغه ثم تحمل رسالتي

(١) ح : بالوعد .

(٢) ح : من ؛ م : ممن رسوله من .

(٣) ع م : ولا .

(٤) اضطربت هذه الجملة في ح ، وسقطت كلمة « إبراهيم » من م ع .

(٥) زاد في نسخة ح بعد هذه الكلمة : وعرضه من ، ولا وجه لهما هنا .

(٦) في ع : الصابرين (فقط) وفي ح : المؤمنين (فقط) .

إليه وبلغ عني ما حملتك إياه : « إني أدعوه إلى الله عز وجل وإلى كتابه وإلى
الامام المهدي من ذرية رسوله دعوة محتجّ عليه وراغب فيما ينجيّه ، فان
قبل عني قبل رُشدّه وان عند فقد قدمت إليه المعذرة ، ولو كان صاحبي
لعجلت السير نحوه^(١) ولكن له ولمن بعده متاع إلى حين ، حتى إذا بلغ الأجل
وحان [٣٧] الحين ﴿ فسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾ (الشعراء :
٢٢٧) .

ثم صرف أبو عبد الله الرسول على أفضل حال . فبلغ ابراهيم قوله وسأله
عن صفته فوصفه حتى كأنه يراه . فامتقع لون ابراهيم وتعاضم أمر أبي عبد الله
واستهال خبره وأعرض عن ذكره . وعلم أنه صاحب قَطْع دولته . وقد
كان يعنى بعلم الحدّثان وأخبار ما يكون . وانما بعث إليه ليختبر أمره .
فلما علم ذلك وصحّ عنده أسقط في يديه . فكان إذا ذكر له في الملاء أظهر
التهاون بأمره وقلة الاكتراث به واذا ذكره في الخلاء ومع خاصته قال :
والله لو دخل عليّ هذه المدينة من باب لخرجت من بين يديه من باب آخر ؛
والله لكأنني أنظر إلى أكسية أصحابه منشورة على شرفات قصري هذا ؛
وقد^(٢) كان يميل إلى التشيع وكثير من أهل بيته . والخاصة منهم السالميون^(٣) وقد
كان منهم^(٤) قوم يُجذّمون^(٥) . فلذلك يقول ابن حسن الشاعر يهجو بعضهم :

(١) ح : إليه نحوه .

(٢) ح : قد .

(٣) السالميون هم المنتسبون إلى سالم جد ابراهيم بن الاغلب الذي ولي افریقیة من قبل
الرشيد سنة ١٨٤ (انظر البيان ١ : ٩٢) .

(٤) السالميون ... منهم : سقط من ح .

(٥) يجذّمون : لعله : ينسبون إلى جذام .

لو تقطعت جذاماً أو تديننت عليا
لم تكن في السالمين حقيقاً سالمياً

واستعمل^(١) ابراهيم عليّ بن أبي حجر^(٢) علي قفصة^(٣) وقسطيلية^(٤)
وأوصاه لما أراد الخروج فقال له : سر فيهم بسيرة^(٥) العمرين ، فقال :
لا والله لا أسير فيهم إلا بسيرة عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فان شئت
به^(٦) والا فهذا عهدك ، وكان من أهل بيته ممن يتشيع ، فقال له ابراهيم :
أفضل سيرة والله ، فسر بها وما أراك تفعل .

وكان محمد بن الأغلب^(٧) قد ولي سحنون بن سعيد^(٨) القضاء - وكان

(١) يبدأ هنا بإيراد حكايات تدل على ميل بعض الاغلبة الى المذهب الشيعي .

(٢) م ع : علي بن حجر . وسوف يأتي بعد : علي بن ابي حجر .

(٣) قفصة (Gafsa) : مدينة كبيرة قديمة بتونس تقع على خط عرض ٣٦ / ٢٤ / ٣٢ شمالاً وخط طول ٨ / ٤٠ شرقاً . على بعد ١١٣ ميلاً الى الجنوب الغربي من سفاقس ، وعلى بعد ٨٢ ميلاً الى الشمال الغربي من قابس (« Gafsa » في Encyclopaedia of Islam II, p. 126 بقلم ايفر ، و Tunisia, p. 208 ؛ وانظر البلدان : ١٠٢ و صورة الارض : ٩٢ ومسالك البكري : ٤٧ والاستبصار : ١٥٠ ووصف افريقية : ٧٧ ، ٨٠ . ٨٩ . ومعجم البلدان ٤ : ٣٨٢) .

(٤) ح : قسطنطينية .

(٥) م ع : سيرة .

(٦) به : سقطت من ح .

(٧) انظر البيان ١ : ١٠٨ وما بعدها ، وقصة الخلاف بينه وبين اخيه احمد موضحة هناك .

(٨) هو عبد السلام بن سعيد بن حبيب التبوخي : من اشهر فقهاء افريقية في مذهب مالك ، توفي سنة ٢٤٠ (انظر ترجمته في طبقات الفقهاء للشيرازي ، الورقة : ٤٦ وترتيب المدارك ٢ : ٥٨٥ - ٦٢٤ والديباج المذهب : ١٦٠ ورياض النفوس ١ : ٢٤٩ وطبقات علماء افريقية لابي العرب : ١٠١ وعبر الذهبي ١ : ٤٣٢ وشذرات الذهب ٢ : ٩٤) .

مالكياً - أراد أن يسترضي بذلك عامة أهل القيروان لما كان بينه وبين أحمد أخيه ما كان ، فنصروه ، فأنكر عليه ذلك أهل بيته . فلما مات سحنون اجتمع أصحابه فدبروا مع ابنه محمد^(١) أن يأتي محمد بن الأغلّب فيخبره بموت أبيه ويذكر له أنه أوصاه أن يصلي عليه وقالوا : فهو [٣٨] لا يستبد^(٢) من ذلك ، وإذا أتى وصلى تكلمنا فيك أن يستقضيك ، وواعدوا جماعة من العامة إذا كان ذلك أن يصيحوا ويتكلموا . فأتى محمد بن سحنون إلى محمد بن الأغلّب بذلك وواعدده صلاة العصر وأخرج نعش سحنون إلى السبخة مما يلي داره . وخرج محمد بن الأغلّب فخرج معه^(٣) جماعة من أهل بيته ورجاله من القصر القديم ، فلما انتهوا إلى الهارونية نزلوا إليه فوقف لهم وقال : ما الذي أنزلكم ؟ قالوا : خرجت لتصلي على سحنون فلم يمكننا التخلف عنك وقد علمت بعد^(٤) ما بيننا وبينه وأنه يكفّرنا ونكفره . فان صلينا عليه رأى الناس أننا قد رضينا حاله . قال : فما تريدون ؟ قالوا : تعفينا من الصلاة عليه . قال : قد أعفيتكم . قالوا : فنقيم^(٥) هاهنا لأننا إن وصلنا معك إلى الجنازة لم ير الناس إلا أننا صلينا عليه . قال : افعلوا ، فنزلوا في الهارونية وفرشت لهم اللبود وجلسوا ، وتقدّم محمد بن الأغلّب^(٦) في عبيده فصلى على سحنون .

(١) يعني محمد بن سحنون .

(٢) كذا في ع م وكتب في ح : وهؤلاء يستبد ؛ و «يستبد» هنا غريبة الموقع ولعلها محرقة ، أو لعل المراد : لا نجد بدأ من ذلك . ولو كانت بمعنى ينفرد لتعدت بالباء فقليل : يستبد بذلك .

(٣) معه : سقطت من ح .

(٤) بعد : سقطت من ح .

(٥) في ح : فقيم نقيم .

(٦) ابن الاغلب : سقطت من م .

وأخبر أهل القيروان بنجرهم ، فحلّ ذلك مما عقده ، وتكلموا فيما كانوا يدبرونه فلم يلتفت إليهم محمد وانصرف .

وكانوا لهذا التشيع الذي فيهم يروون أخبار المهدي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، ويدرسون كتب الحدّثان والأخبار عمّا يكون .

وكان إبراهيم قد اوعب^(١) من جميع ذلك وطلبه . وانتهى إليه عن شيخ من قرى تونس يقال لها قرية الحربتين أنّ قبيله علم الحدّثان وكان شاعراً فأمر بحمله إليه . وكان قد خرف . فسأله فاعتذر بالكبر وأنه سقط عنه علم أكثر ذلك ، فلاطفه وبذل له وقال : لا بد أن تذكر لي ما عندك في ذلك ، وقال له فيه شعراً كان قد فشا وكانوا يروونه وينشدونه وعرض له فيه ولم يفصح . وهو الشعر الذي أوله :

أقولُ وأسلمتُ القريضَ لأهله
[٣٩] أمن بعد تسعين سنيناً أعدّها
أزاحمُ أهلَ الشعرَ بالشعرِ ناجزاً
ولكنني أرجو من الله عفوّه
وآملُ غفراناً بفضلِ تلاوةٍ
صرفتُ أموري للذي أنا عبدهُ
فلستُ حياتي سائلاً غيرَ ذي العلا
ألا يا أمينَ الله وابنَ أمينيه
وجدتُ كتاباً قد تقادمَ عهدُهُ

وعشتُ زماناً ، وهو خيرُ مكائب^(٢)
وأربعةٍ من بعدِ ذلكَ رواتبِ
أبى الله هذا بعد أن جبَّ غاربي
بأوبةٍ مأمونِ السريرةِ تائبِ
أرددها ليلي بفكرة آيبِ
إلهي ربَّ العرشِ معطي الرغائبِ
والا فجبَّت من يميني رواجبي
وعاشرَ ساداتِ الملوكِ الأغالبِ
روايةَ أشياخِ كرامِ المناسِبِ

(١) ح : كمال . ولا معنى لها هنا .

(٢) في النسخ : مكائب .

رواية وهب عن سَطِيحٍ وَدَنِيْلٍ^(١)
تتابعُ راياتٌ من الشرقِ سبعة^(٢)
يسيرُ بها خزرُ العيونِ تراهمُ

ويقول فيها أيضاً^(٣) :

ولايةُ بني العباسِ عشرون والياً
وفي الستِّ والتسعينَ تهبطُ رايةٌ
يمزقُ أرضَ البربريةِ جمعهم
وتطلعُ شمسُ الله من غربِ أرضِهِ
ويظهرُ من أبناءِ فاطمةِ امرؤٌ
سميَ نبيَّ اللهِ وابنُ صفيةِ
فيملأُ أرضَ اللهِ عدلاً ورحمةً
وبالأعورِ الدجالِ ينهدُّ جمعه
ويقتله من بعدُ عيسى بنُ مريمِ
ومن بعدها موتُ ابنِ مريمِ مفضياً

مشايخِ علمٍ صادقٍ غيرِ كاذبِ
إلى الغربِ سودٌ خافقاتُ الذوائبِ
مباسمهم سمطٌ طوالُ الشواربِ

تدينُ لهم بالرغمِ أرضُ المغاربِ
من الغربِ في جمعٍ كثيفِ المواكبِ
بجليلِ كأمثالِ القَطَا المتساربِ
فلا توبةٌ ترجى^(٤) هناك لتائبِ
تقيي نقيَّ العرضِ جَمِّ المواهبِ
وأكرمُ مولودِ وأشرفُ طالبِ
لأيامِ صدقِ طيباتِ المكاسبِ
سوى عصابةٍ في باذخِ الطودِ راتبِ
بقدرَةِ ربِّ ماله من مغالبِ
إلى الله في حكمٍ من الله واجبِ

فعرّض له فيها ولم يصرح ، و فرق [٤٠] بين أبياتها وأغمض له
بمعانيها ، وكانوا يروونها وينشدونها ، وينشدون شعر ابن عقب^(٥) الذي

(١) ح : سَطِيحٍ وَذِيْلٍ ؛ وَدَنِيْلٍ هُوَ دَانِيَالُ الَّذِي تَنَسَّبَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْكُتُبِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْمَلَايِمِ
وَالْأَحْدَاثِ الْكَاثِنَةِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ .

(٢) ح : سَبْقِهِ .

(٣) سَقَطَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ مِنْ ح ع وَتَرَكَ فِي مَوْضِعِهَا بَيَاضٌ فِي ح .

(٤) ح : تَرْجَى .

(٥) م : الْإِعْقَبِ .

يقول فيه :

قد قلتُ لما طارَ عني الكرى
عذبني الحزنُ وفقدُ الكرى
وكيف لا يحزنُ من لا يرى
دهراً يرى فيه إمامَ الهدى
وبيتي البيضاء في لجةٍ
ينجو من^(١) الأهوال سكانها
لو مدَّ من عمري إلى عمره
هيهات ماذا العمر مما أرى

وقوله فيها أيضاً^(٢) :

استمع الحقَّ ودعْ عنك اللعبُ
إذا أرى الكوكبُ تطويلَ الذنب^(٣)
في الستِّ والتسعينَ يأتيك العجبُ
من جيغل^(٥) ينقضُ جيشُ ذولجَبُ
وهاكَّ قولاً صادقاً غير كذبُ
فذاك محدثٌ ظاهرٌ قد اقترَب^(٤)
بعد كمالِ المائتينِ في رَجَبُ
أمضى من الجمرِ إذا الجمرُ التهبُ

(١) ح : عن .

(٢) وقوله فيها أيضاً : بياض في ح ؛ ووقع في م قبل عجز البيت السابق .

(٣) وردت كلمة « تطويل » في ع مصححة عن « طول » لاقامة الوزن ؛ وفي ح : الطويل ،

وفي م : طول ، وبكليهما ينكسر الوزن ؛ وفي البيان ١ : ١٣٨ : وفيها - اي سنة

٢٩٢ - ظهر النجم ذو الذؤابة .

(٤) اقرأ بتسكين الدال من « حدث » .

(٥) جيغل (Djidjelli) : بكسر الجيم الاولى وفتح الثانية وبينهما ياء ساكنة وآخره

لام : ميناء صغير بالجزائر تحيط به غابات كثيفة يطلّ عليه جبل كتامة المسمى جبل

زلدوي ، وهو يقع على بعد خمسين ميلاً الى الشرق من بجاية . وتقع جيغل على =

من بربر يسعون في كل حدب
 قد ملأوا المشرق خوفاً ورهباً
 تسعون ألفاً بين رأس وذنبا
 وفيهم خلط قريش وعرب
 حتى إذا جازوا صعوداً وصباً
 يغرزها الراكب في عود الركب
 يأوي إلى الحزم إذا الخطب اضطرب
 تنقلب الدولة فيما تنقلب
 ركباً ورجلاً ما يملئون التعب
 وأنزلوا بالغرب ذلاً ونصباً
 سيماهم الحقد وإظهار الغضب
 بكل سيف قاطع إذا ضرب
 في كل جيش راية من العصب
 [٤١] يقودهم كهل عليم بالكتب
 ويأخذ الأمر البعيد عن كتب
 مَهْدِيَةً في نص أسفار الكتب
 عن دانيال وسطيح في العرب

ولما صار أبو عبد الله إلى رقادة^(١) أنشده أبو اليسر^(٢) هذا الشعر وقال
 له : كنا نرويه : في سنة التسعين يأتيك العجب . فلا نراه إلا كان مستحيلاً

= خط عرض ٥٠/٣٦ شمالاً و ٤٣/٥ شرقاً (Algeria II, p. 172 ff.) وانظر
 البلدان : ١٠٣ ومسالك البكري : ٨٢٠٦٤ ووصف افريقية : ٦٨-٧٠ والاستبصار :
 ١٢٨ ومعجم البلدان ٢ : ١٩٦) .

(١) رقادة : مدينة بتونس بناها ابراهيم بن احمد الاغلي سنة ٢٦٣ . وهي تقع على بعد ستة
 اميال جنوب القيروان (انظر « Rakkada » في Encyclopaedia of Islam III, p. 1110
 بقلم جورج مارسيه : وانظر وصفاً لها ولاحوالها في البلدان : ١٠٠
 والاقاليم : ٢١ ومسالك البكري : ٢٧ ووصف افريقية : ٨٠.٧٨ ومعجم البلدان
 ٣ : ٥٥ : وانظر ايضاً الحلة السيرة ١ : ١٧٢ ونهاية الارب ٢٢ : ٨٢ وأعمال
 الاعلام ٣ : ٢٧) .

(٢) هو ابو اليسر ابراهيم بن محمد الشيباني البغدادي المعروف بالرياضي : كان عالماً ادبياً
 شاعراً مترسلاً . وله من المؤلفات « لقبط المرجان » و « قطب الادب » وغيرهما .
 وكانت وفاته سنة ٢٩٨ (انظر في ترجمته واخباره : التكملة لابن الابار : ١٧٣
 والبيان ١ : ١٦٢ ونفح الطيب ٣ : ١٣٤) .

وصحته : في الست والتسعين ، وكذلك جاء ما تقدم ذكره وإنما هو في سنة التسعين ، فلم يعلم استحالة ذلك حتى كان دخول أبي عبد الله افریقیة في سنة ست وتسعين فعلم ذلك ، وان كان في سنة التسعين^(١) ففيها كمل أمر أبي عبد الله وقوي واشتد . ولما انشد أبو اليسر هذا الشعر أبا عبد الله - وكان بحضرته شيوخ أهل القيروان - قال ابن عبدون^(٢) : ما سمعنا بشيء من الحدثان كان أصح من هذا .

وكان ابراهيم بن أحمد قد اعتقل رجلاً في حبسه من أهل باغاية يقال له كريم بن زرزور^(٣) لأمر نقمه عليه ، فهرب من حبسه فأتى بني مالك ببلزمة مستجيراً بهم من ابراهيم بن أحمد فأجاروه ، وذلك قبل أبي عبد الله بزمان طويل ، فوجه ابراهيم في طلبه فمنعوه ، فخرج إليهم بنفسه في عسكر فلم يستطيعهم . فانصرف عنهم وأظهر لهم الصفح والعفو ، إلى أن أتاه قوم منهم فكساهم وحملهم وأحسن إليهم وولاهم الولايات ، فتساربوا إليه ، وجعل يفعل ذلك فيهم حتى اجتمع منهم نحو من ألف رجل ، وكان قد أنزلهم برقادة في مكان أدار عليه سوراً وجعل عليه باباً ، وكان بقرب فندق البلزميين . فلما اجتمعوا وأيقن أنه لا يأتيه غيرهم أغلق عليهم الباب في الليل من خارج وأحاط عليهم بالعبيد فقتلوهم [٤٢] عن آخرهم . وكان ببلزمة رجل من أهل نفطة كان^(٤) شيعياً ، وكان يذكر انقطاع أمر بني

(١) فلم يعلم ... التسعين : سقط من ح م .

(٢) لعل المقصود بذلك هو ابو العباس محمد بن عبد الله بن ابي نور الرعيني المعروف بابن عبدون الذي ولاه ابراهيم بن احمد القضاء سنة ٢٧٥ ، وكان من فقهاء الحنفية وتوفي

سنة ٢٩٩ (انظر علماء افریقیة للخشي : ١٨٧ والجواهر المضیة ٢ : ٦٦) .

(٣) م : زوزور .

(٤) ح : وكان

الأغلب ، فطلب فصار إلى بلزمة ، وكان شاعراً يقال له محمد بن رمضان ، فتحرم بني مالك وكان يمدحهم فحموه ومنعوه ، فاتصل بهم قتل ابراهيم البلميين وهو عندهم ، فقال في ذلك :

جلّ المصابُ لئن كان الذي ذكروا
 عن ألفِ أروع كالآسادِ قد قتلوا
 لو كان من بيت الآساد أيقظهم
 قل لابن أحمد ابراهيم مألّكةً
 عن المشرّد في حب الأئمة من
 اعلم بأن شرار الناس أطولهم
 لاسيما الضيف والجار الغريب ومن
 فما اعتذارك من عارٍ ومنقصةٍ
 جرعت ضيفك كاساً أنت شاربها
 فدولة القائم المهدي قد أزفت
 عن النبي ، وفيها قطع مدتيكم
 وقطع أمر بني العباس بعدكم

فيقال انه لما انتهى هذا الشعر إلى ابراهيم سأل عن قائله فأخبر بنجبره فقال : لعن الله من طلبه وشرده فما مثل هذا يؤذّي . ولو أتانا لصفحنا عنه وأحسننا إليه . ولقد أحسن في الوفاء لمن أجاره وصنع المعروف إليه ، ومثل هذا تزكو^(٢) عنده الصنائع . وما ينتقم عليه تشيعه بل ذلك مما يقربه منا ويدنيه عندنا . فأبلغوه عنا ذلك فان أحبّ القدوم إلينا فهو آمن

(١) ما : سقطت من ح .

(٢) ح : تذكر .

وله [٤٣] عندنا مع ذلك الحياء والاكرام . فانتهى قوله إلى محمد بن رمضان فعلم أنه إنما أراد أن يستدرجه ، وقال له بعض من قال غير ذلك ، فأنشأ يقول :

لو لم أعاينهُ بصيد بحبه للقط حبه
من ذا يُغرُّ بغادرٍ ما إن يخاف الله ربّه

وكان محمد بن رمضان هذا يذكر المهدي كثيراً في شعر يقول فيه :

سلا ظبية القناصِ أين احتلالها	فقد حاجتي تفتيرها وامتدالها ^(١)
لعل التي عنها تفرق أهلها	فبادت مغانيها وطال احتيالها ^(٢)
أرقت لها من بعد أن نام إنسها	خناطيل آرام ^(٣) الظباء جمالها
فعدت عن الدار التي بان أهلها	وعن كيف من بعد البلي صار حالها
فهذا أوان الحق قد حان حينه	ودولة أهل البغي آن زوالها
كأني بشمس الأرض قد طلعت لنا	من الغروب مقروناً إليها هلالها
فيملاً أرض الله قسطاً بعدليه	بما ضم منها سهلها وجبالها
وآمن فيها ما أخاف وأتقي	وأظفر بالزلقي به وأنالها

فأدرك محمد بن رمضان هذا أيام المهدي عليه السلام ، وقد خرف ، واستقضاه على ميلة ، وكان بها ، ومات رحمة الله عليه وهو قاض عليها .

وكان^(٤) يعقوب بن المضا من بني الأغلب له ضياع بناحية

(١) ح : وامتدالها .

(٢) ح : اختيالها .

(٣) ح : خناصل مرام .

(٤) وكان : سقط من ح .

حَمَّة^(١) وكان ربما أتاها ، فيأتي الجزيرة التي بنيت عليها المهدي فيقف بها ويدور فيها وينظر إليها ويقول : هذه صفة الجزيرة التي يقال ان المهدي يبني مدينته عليها ، والله ما أعلم على ساحل افريقية موضعاً هو أشبه بما وصف من هذا المكان .

والأخبار والاشعار في هذا كثيرة تخرج عن حدّ هذا الكتاب ، وان الشيعة يروونها ويذكرونها ، وقد جاءت بها الروايات^(٢) والأخبار [٤٤] وبشر بها كما جاءت^(٣) الأخبار بمبعث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله من قبل أن يبعث ، ورواها وذكرها كثير من العرب في الشعر والأخبار كأمية بن [أبي] الصلت وورقة بن نوفل وزيد بن عمرو وأسعد أبي كرب وقس بن ساعدة وخالد بن سنان^(٤) وغيرهم .

ولما قويت أمور أبي عبد الله وظهرت ، صنع ابراهيم بن أحمد صنيع محمد بن يعفر ملك اليمن الذي قدّمنا خبره ، فانسلخ من الامارة وأظهر توبة^(٥)

(١) حَمَّة (Hamma) : هناك مدينتان بتونس تسميان حَمَّة . الاولى على بعد ١٩ ميلاً الى الغرب من قابس . والثانية (وتسمى ايضاً حمة الجريد او الحامة) تقع في جنوب شرق قسطنطينية من نواحي بلاد الجريد على خط عرض ٣٤ شمالاً وخط طول ٨ / ١٠ شرقاً تقريباً (Tunisia, pp. 210, 228, 383-384) وانظر صورة الارض : ٩٢ ومسالك البكري : ٤٨ و ٨٤ ووصف افريقية : ٧٥ ومعجم البلدان ٢ : ٣٠٦ .

(٢) ح : جاءت الرواية .

(٣) كما جاءت : سقط من ح .

(٤) تصحفت هذه الاسماء في النسخ جميعاً فجاء فيها : بن كرب . وقب بن ساعدة وخالد بن سبلي .

(٥) في البيان ١ : ١٣١ : « وفي سنة ٢٨٩ اظهر صاحب افريقية ابراهيم بن احمد التوبة لما استقام امر ابي عبد الله بكتامة فأراد ابراهيم ان يرضي العامة ويستميل قلوب الخاصة بفعله » : وانظر ايضاً نهاية الارب ٢٢ : ٨٧ وما بعدها .

ورد أكثر ما اقتطع وفرق الأموال في الناس ولبس الصوف وأظهر النسك
وخرج إلى ملك الروم وأقام ابنه أبا العباس ، وسنذكر أخباره .

وكان خروج إبراهيم بن أحمد من إفريقية وركوبه البحر في رجب
سنة تسع وثمانين ومائتين^(١) لما نظر إلى سنة تسعين التي جاءت بها الروايات
قد قربت ، ووصل إلى صقلية^(٢) وخرج منها إلى طبرمين^(٣) فافتتحها يوم
الأحد لسبع بقين من شعبان من هذه السنة ؛ وكان عندما أراد الخروج في
البحر بذل العطاء^(٤) للفارس عشرين ديناراً وللراجل عشرة فاجتمعت له
عساكر كثيرة ، وكان يقول : لا أرجع إلى إفريقية أبداً ؛ وتقدم من طبرمين
إلى كُسننته^(٥) فحاصرها ، فاعتلّ وهو محاصر لها بعلة البطن فمات يوم
السبت لثلاث عشرة ليلة مضت من ذي القعدة من هذه السنة^(٦) ، وكان تساقط
النجوم قبل موته لخمس ليال ، ليلة ثمان من هذا الشهر ، وكانت ليلة عشر

٤

(١) خروج .. ومائتين : جاء هذا عنواناً في ح ، وليس كذلك لان المؤلف يبدأ العناوين
دائماً بكلمة « ذكر » .

(٢) يعني بصقلية مدينة بلرم (Palermo) عاصمة صقلية ، وهي تقع في شمال غرب
الجزيرة على البحر التيراني .

(٣) طبرمين (Taormina) : مدينة في شرق صقلية على مرحلة من مدينة مسيني مع
الساحل وهي حصن منيع وبلد قديم يقع على جبل مظل على البحر ولها مرسى حسن
وهي مجتمع القوافل والرفاق الواصلة الى مسيني (المكتبة الصقلية : ٣٤ عن نزهة المشتاق
للادريسي)

(٤) ح : العطايا .

(٥) في النسخ جميعاً كشته ؛ وكسته (Cosenza) - بضم اوله وفتح السين وسكون النون
وفتح التاء - مدينة في قلورية (Calabria) في جنوب ايطالية على خليج تارنتو .

(٦) ابن الاثير : ليلة السبت لاحدى عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة (الكامل ٧ : ٢٨٦) .

من تشرين اول - وهو اكتوبر^(١) - وكانت ولايته منذ ولي إلى أن مات ثمانى وعشرين سنة^(٢) وستة أشهر [٤٥] وأياماً . وانصرف العسكر إلى صقلية ، وجيء بابراهيم ميتاً فدفن بها ، وانصرف بالجيش زيادة الله إلى أبيه أبي العباس ، واتصل به أنه يريد الوثوب عليه فقبض عليه فقيده واعتقله ، وسنذكر أخباره بعد هذا إن شاء الله تعالى .

ذكر قيام الجماعة^(٣) من كتامة على أبي عبدالله ليأخذوه بايكجان

واستشهر أمر أبي عبد الله ببلد كتامة وسمي المشرقي لقدمه^(٤) من المشرق . ثم نسب إليه كل من بايعه ودخل في دعوته وسموا المشارقة . وإذا دخل الواحد منهم في ذلك قيل تشرق . ورأى الناس من صلاح أحوال من دخل دعوته وتورعهم عما كانوا يعرفونهم عليه من الفساد وإقبالهم على الصلاة والصيام واعمال البر ما رغبهم^(٥) في الدخول في ذلك . فتساربت الناس اليه وأطلق الدعوة لمن ارتضاه منهم من قبائلهم^(٦) .

فلما نظر رؤساء القبائل وولاة البلدان ذلك ولم يروا نهضة من^(٧) ابراهيم

(١) كتبها في ح : اكبر .

(٢) ابن الاثير : خمساً وعشرين سنة (الكامل ٧ : ٢٨٦) .

(٣) ح : الجمعة .

(٤) م : بقدمه .

(٥) ح : ارغبهم . وسقطت كلمة «ما» قبلها منها .

(٦) مرّ هذا الكلام بنص مقارب من قبل (ص : ٧٦) .

(٧) من : سقطت من م .

ابن أحمد في أمره ، وخافوا على زوال رياستهم من أيديهم ، وتقدم من سارع إلى أمره ممن كانوا يرونهم دونهم عليهم ، كتب بعضهم إلى بعض في ذلك ، واجتمعوا وتراسلوا وتعاقدوا ، وكان ممن تعاقد على ذلك موسى ابن عياش صاحب ميعة وعلي بن عسلوجة صاحب سطيف وحي بن تميم صاحب بلزمة ، وهؤلاء أمراء هذه المدائن^(١) الذين عندهم العدة وفيهم النجدة ولديهم العدد والقوة وفي أيديهم الأموال الكثيرة ؛ ومن مقدمي قبائل كتامة وكبارهم وولاة أمورهم فتح بن يحيى المسالي - يقال له الأمير - ومهدي بن أبي كناوة^(٢) رئيس لهيصة^(٣) ، وفرح [٤٦] بن جيران^(٤) رئيس اجانة ، وأبو تميم فحل بن نوح^(٥) رئيس لطاية^(٦) ، وزيادة^(٧) المتوسي رئيس

(١) المدائن : سقطت من ح .

(٢) ورد هذا الاسم بأشكال كثيرة في النسخ فهو : مهدي بن كناوة ومهد بن كناوة ومهدي ابن كنان ، وكان أكثر الأشكال شيوعاً « مهدي ابن أبي كناوة » وقد اثبتته كذلك استثناساً ايضاً بما جاء عند ابن خلدون من ان اسمه مهدي بن ابي كمارة (العبر ٤ : ٣٣، ٣٢) .

(٣) هيصة : قوم من كتامة ينتسبون الى هيصة بن يناوة بن غرسن بن كتم (العبر ٦ : ١٤٨ ، وقد جاء بأشكال كثيرة هناك وضبطه دي سلان في الترجمة الفرنسية ١ : ٢٩٢) .

(٤) هكذا ورد هذا الاسم في النسخ جميعاً ولم يغيره النساخ فيما بعد ، وفي العبر ٤ : ٣٢ فرج بن حيران ، وكذلك قرأه الاستاذ طالبي في كتابه L'Emirat Aghlabide, p. 615 .

(٥) في النسخ جميعاً : تميم بن فحل ، وسوف يأتي غير مرة فيما بعد ان اسمه ابو تميم فحل ابن نوح كما في العبر ٤ : ٣٣ (ولم يذكر له كنية) ، وقد تصحف في المصدر نفسه : ٣٢ الى ثمل بن بجل .

(٦) ورد هذا الاسم بأشكال عديدة في النسخ فجاء : اطاية ولطانة ولطاية . ولطاية قوم من كتامة ينتسبون الى لطاية بن ينطاسن بن غرسن بن كتم (العبر ٦ : ١٤٨) .

(٧) ح : زياد .

متوسة^(١) ، وهؤلاء مع رياستهم وتقدمهم أبطال كل واحد منهم يعدل كتيبة^(٢) ، فأداروا الحيل واستعملوا الآراء في أخذ أبي عبد الله فلم يروا أنهم يقدرون على أخذه عنوة من أيدي بني سكتان لأنهم لم يشكوا أنهم يمنعونه ، فاذا منعوه احتفى لهم جميع جميلة^(٣) ومن تقرب منها من^(٤) قبائل كتامة ، فخافوا ان هم فعلوا ذلك أن يكون ما فعلوه منه داعية الى أن يجعلوا له أنصاراً ويصير جميع كتامة فرقتين . ولم يأمنوا سوء العواقب في ذلك . وكان الذي اجتمع عليه رأيهم أن يقصدوا في أمره بيان بن صقلان . وكان وجهاً من وجوه بني سكتان ، ولم يكن يومئذ دخل في أمر أبي عبد الله ، فقالوا : نقصده في أمره ونستميله ونبذل له ، فان أجابنا افترق أمر بني سكتان وأمكنا فيه ما نريده .

واستخفى^(٥) حينئذ أبو عبد الله لما بلغه ذلك . فلم يكن يظهر عليه ولا يعرف مكانه إلا من كان من المؤمنين ؛ فأرسل القوم جماعة منهم إلى بيان^(٦) وبعثوا إليه أربعة أفراس ومائة شاة هدية^(٧) وقالوا : إن هذا الرجل قد بدّل

(١) متوسة : قوم من كتامة ينتسبون الى متوسة بن يسودة بن كتم (العبر ٦ : ١٤٨) .

(٢) م : يعدل لكتيبة ؛ ح : يعدل لكتيبة .

(٣) كذا في كل موضع ترد فيه من النسخ جميعاً . وقد جاءت عند ابن خلدون بالشكلين

« جميلة » و « جميلة » وضبطها دي سلان ب « جميلة » ص : ٢٩٢ من ترجمته للجزء

السادس من العبر ؛ وهم قوم ينتسبون الى جميلة (او جميلة) بن بناوة بن غرسن بن

كتم (العبر ٦ : ١٤٨) .

(٤) ح : ومن .

(٥) في ح بياض موضع « استخفى » .

(٦) م : بيان بن صقلان .

(٧) ع : ومائتي شاة هدية ؛ ح : ومائة شاهدة .

الدين وفرّق الجماعة وشتت الكلمة وأدخل الشتات بين الاقارب ، وقد قصدناك في أمره وأملنا قيامك في قطع هذا المكروه عنا بأن تقبض على هذا الرجل فتخرجه من بلدنا إن كرهت قتله وتنفيه عنا ، ونجعل لك بعد ذلك التقدمة على جميع كتامة والعرب فيكون لك بذلك فخر [٤٧] الدنيا وشرفها وثواب الآخرة وأجرها ، وتزيل عن أهل بيتك مكروهاً وتقطع عنهم شرّاً ، فإنه إن تمادى أمرهم على كونه عندهم لم يدعهم الناس ، ولا تؤمن حركة السلطان إليهم ، فان أعطوه عند ذلك أعطوه على غلبة ، وإن منعه لم يؤمن عليهم سوء العاقبة مع ما يناهم من ذهاب النعيم ويلزمهم من النفقات عليه وعلى من يلجأ إليهم من أنصاره .

فقال لهم بيان : هذا الرجل قد نزل بين أظهرنا وصار ضيفاً عندنا ، فكيف ينبغي لنا أن نفعل فيه مثل هذا ؟ قالوا : فأخرجه^(١) من حدكم فان قبله غيركم كان المكروه بهم دونكم ، وان^(٢) أراد الخروج إلى بلده أو حيث أراد أن يقصد غير بلد كتامة تركناه ولم نعرض له ؛ قال لهم بيان^(٣) : وفي إخراجنا إياه وطردهنا له أيضاً نقص علينا وعيب ، ولكن من الرأي أن نجتمع العلماء ويخرج^(٤) إليهم وينظرهم ، فان كان على حق فما أولانا وإياكم بنصر حق واتباعه ، وإن كان على باطل عرف ذلك من اتبعه فرجع عنه ، ووسعنا وأمكننا إخراجهم ؛ فحللوه على غير ذلك فلم يجدوه عنده ، فرجعوا إلى أصحابهم فأخبروهم بما كان منه ، فلم يقع ذلك بموافقتهم وخافوا أن

(١) ح : فأخرجه .

(٢) ح : فان .

(٣) ح : بيان بن صقلان .

(٤) ح : وتخرج ، وهو خطأ بين .

تقوم حجته فيستحكم أمره وتزول رياستهم من أيديهم بسببه ويأتيهم ما يتخوفونه من أجله ، ولم يرد القوم من ذلك إلا إقامة^(١) دنياهم : لم يطلبوا إقامة حق ولا إزالة باطل ، فتدبروا أمرهم واجتمعوا على أن يمضوا في جماعة وعدة ويرون أنهم أتوا بالعلماء ، فاذا خرج إليهم قبضوا عليه فقتلوه وانصرفوا [٤٨] على حامية^(٢) .

فاجتمعوا وساروا في جمع عظيم من الخيل والرجل . فأخذوا ما بين تاكوت ووادي النجاة : فلما رأهم بنو سكتان ثارت فيهم الصيحة فركبوا خيلهم وأخرجوا رجلهم^(٣) وعدتهم وتلقوهم . وتواقف^(٤) الفريقان فقالوا لبيان : إنا إنما أتيناك لما كان بيننا وبينك . قال : ما هذا بيني وبينكم أن تجيئونا بالزحف والعدة ، إنما قلنا يأتى بالعلماء فيناظرون الرجل . فتراكم جئتمونا بالملأ تريدون أن تنزعوه منا بالغلبة .

وعلا الكلام بينهم . وكان فيهم جماعة من الأولياء فهجموا فيهم وأنشبوا القتال فالتحم . وتداعت جيملة . وكان للأولياء في ذلك مقام لم يشاهد^(٥) منهم مثله^(٦) . فانهزم الجمع وولوا الدبر . وانصرف عنهم بنو سكتان . ومضى القوم منكوبين مهزومين . وقوي أمر الأولياء واشتد . وبقي أبو عبد الله مستتراً وخاف عليه الأولياء إن ظهر .

(١) ح : الإقامة .

(٢) ح : حمايته .

(٣) م : رحلهم .

(٤) م : وتواقف .

(٥) م : يشاهده .

(٦) زاد بعد هذه الكلمة في ح : غيره .

وانصرفت الجماعة فأداروا أمرهم فلم يروا إلا معاودة بيان ، فأرسلوا إليه وقالوا له : قد كنا أخطأنا فيما أتينا به^(١) من الجمع ولم يكن ذلك عن قصد منا^(٢) ، وإنما تسامع الناس بنا^(٣) فاتبعونا ، وقد رجوناك لصلاح جماعتنا وقدمناك على عامتنا واخترناك لأنفسنا لتحقن دماءنا^(٤) وتلم ما تشعب من أمرنا وتجمع ما تبدد من شملنا ، فقد عادى من أجل هذا الرجل : الأخ أخاه والابن أباه والقريب قريبه ، وكفر من صار إليه من تخلف عنه ، وهذه فتنة قد بدت وردة^(٥) قد ظهرت ، فأنت أولى من اكتسب أجرها ، ونفى عن^(٦) نفسه وأهل بيته عارها وشرها ، وأحسن النظر لهم فيها . [٤٩] وهذا رجل من أهل المشرق - وهم كما^(٧) علمت شياطين - وعلمناؤنا برابر^(٨) وقوم^(٩) ليست لهم تلك الأذهان ، وإن ناظروه ظهر عليهم^(١٠) ولم يجدوا حجة يحتجون بها عليه ، وكان ذلك زيادة^(١١) في فتنته وتقوية أمره فترى أئمة نحن وآباؤنا وأهل المشرق والمغرب والناس كافة على ضلال وهذا وحده من بين الناس كلهم على هدى وحق؟ لئو يكون هذا يقع بقلب أحد^(١٢)

(١) به : سقطت من ح .

(٢) ح : قصدنا .

(٣) ع م : بنا الناس .

تحقن دماً .

(٢)

(٣) ح : ي .

(٤) ح : وتخرج .

سيما أن أمره مكتوم والذي يدعو إليه غير معلوم ، ولو كان حقاً وصواباً لأظهره وما كتبه ؛ وجعلوا يعددون له^(١) ما وعدوه به من التقدمة والجلال^(٢) .

فأصغى إليهم ووعدهم أن يسعى ويتلطف في إخراجهم وجعل يتكلم في ذلك ويحتج على أهل بيته ويخوفهم من العواقب . وقال لهم : قد كانت حرب^(٣) واحدة كان لكم الظفر فيها ، والحرب تارات ، ولا تأمنون أن تكون الأخرى عليكم ، فأخرجوا هذا الرجل من ذات أنفسكم من غير أن يصل^(٤) إليه ضيم ولا إليكم وأنتم على عز من أمركم من قبل أن يغلب^(٥) عليه وعليكم .

ذكر خروج أبي عبد الله من إيكجان ومسيره إلى تازروت

واتصل^(٦) كلام بيان بن صقلان بأبي عبد الله وبجماعة المؤمنين فاجتمع من كان منهم من بني سكتان إلى بيان وذكروا ما اتصل بهم عنه وما يدخل من أجله من النقص^(٧) عليه وعليهم ان طردوا ضيفهم وأسلموا جارهم فجعل يذكر لهم مثل ما بلغهم عنه ويحذرهم العواقب فيه . واتصل الخبر

(١) ع م : عليه .

(٢) ع م : والحال .

(٣) ح : الحرب .

(٤) ح : يوصل .

(٥) ح : تغلب .

(٦) ح : فلما اتصل .

(٧) ح : نقص .

بالحسن بن هرون الغشمي ، وكان قد دخل في الدين وكان رجلاً من [٥٠] خيار المؤمنين وفيه عقل ، وله أدب وحسن خلق وكرم نفس وله نعمة وكان مطاعاً في قومه ، ومسكنه بتازروت^(١) ، فأتى إلى أبي عبد الله فذكر له ما اتصل به . وسأله^(٢) ورغب إليه في الكون عنده والنقلة إلى مكانه^(٣) ، ووعدته الذب عنه والمدافعة دونه بنفسه وأهله وماله ، فشاور الأولياء في ذلك فأشاروا به عليه خلا من كان منهم من بني سكتان فانه عظم ذلك عليهم وكرهوه^(٤) وقالوا : نحن ندفع عنك بأنفسنا حتى نقتل كلنا دونك ، فشكر لهم قولهم ، ورأى جماعة المؤمنين أن كونه عند الحسن بن هرون أعزُّ للدين وأمنع له وللمؤمنين .

فانتقل اليه وانتقل معه^(٥) من استطاع النقلة من بني سكتان ومن كان هاجر^(٦) إليه من المؤمنين . واستخلف على الضعفاء منهم ومن لم يستطع السير معه الحكم^(٧) بن ناسب : وسار به الحسن بن هرون إلى تازروت فتلقيه من بها من المؤمنين وغيرهم ، وأنزلوا من كان معه عندهم ، وأنزله الحسن ابن هرون عند نفسه .

(١) ح : وسكنه كان بتازروت .

(٢) ح : وسأل .

(٣) هذا يخالف ما جاء عند ابن خلدون من ان ابا عبد الله وجماعته هم الذين سألوا الحسن ابن هرون الهجرة اليه خوفاً مما قد يوول اليه امر بيان مع تحالف الكتامين ضده (العبر ٤ : ٣٣) .

(٤) ح : وكرهوا .

(٥) في ح : بياض ثم : « ابو عبد الله ومن معه . »

(٦) ح : هاجروا .

(٧) ح : حكم .

وقام الغشمانيون بما احتاج إليه المؤمنون ، وقاسموهم أموالهم وأحلوهم فيها محلهم ، وأروهم من الغبطة والسرور بهم ما سرّهم : وأقبل المؤمنون من كل ناحية إليهم ، وجعل كل واحد منهم يأتي بما يمكنه ويستطيع تقويةً ونزلاً للمؤمنين ، وجعلوا يرسلون^(١) من ذلك إلى من بقي بايكجان من ضعفاء المؤمنين ، حتى ربما تعذر عليهم إيصال ذلك فيركبون خيولهم ويحمل^(٢) كل واحد منهم في خروجه تحته على سرجه من الطعام قدر ما يمكنه فيصلون إليهم به فيعطونهم [٥١] إياه وينصرفون .

وبذل الحسن بن هرون من ماله في ذلك وأموال خاصة أهل بيته ما أوسع المؤمنين به . وصار أبو عبد الله بالقرب من بلد إجانة وملوسة^(٣) ولهيصة ولطاية وجيملة ، فتسارب إليه الناس وظهر أمره وعزّ جانبه . واجتمع غشمان على نصرته ومنعه . واجتمع إليه^(٤) خلق عظيم من سائر قبائل كتامة من المؤمنين وأقاموا عندهم مرابطين مع أبي عبد الله ومنتصيين للجهاد دونه ومنعه ممن أرادته^(٥) .

وندم بيان بن صقلان فيما كان منه إليه . ودخل الدعوة فعزّ بجانبه^(٦) من كان قبله من المؤمنين بايكجان . وعظم شأن الحسن بن هرون بما فعل من ذلك وعلا ذكره وشكر له ما كان منه وما بذل من ماله . واتصلت الأخبار

(١) ح : يرسلون .

(٢) ح : ويجعل .

(٣) ملوسة : قوم من كتامة ينتسبون إلى ملوسة بن ايان بن غرس بن كتم (العبر ٦ : ١٤٨) .

(٤) ع : فاجتمع اليهم وفي خ : إليه .

(٥) ح : منعة من ارادته . م : ومنعه من ارادته . ع : ومنعة من ارادته .

(٦) م : وعزّ بجانبه . ح : وعزّ جانبه .

بذلك في نواحي كتامة وعند وجوه أهلها .

وكان للحسن بن هرون أخ يقال له محمود^(١) أسنّ منه ، فوجد في نفسه من ذلك وعظم عليه ما جرى من ذكر أخيه ، وكان هو قبل ذلك المقدم عليه لسنته ، وكان أيضاً مع ذلك^(٢) مطاعاً في أهل بيته ، فانصرفت وجوه الناس إلى أخيه لما^(٣) فعل فشقّ ذلك عليه وتكلم به وفشا عنه ، وكان الحسن^(٤) في ذلك يداريه ويقدمه ويظهر بره ويستعطفه خوفاً من أن يفرّق جماعة غشمان أو يدخل فيما بينها بالشتات^(٥) .

ولما صار أبو عبد الله إلى ما صار إليه^(٦) بتازروت وانتهى ذلك إلى القوم الذين كانوا تعاقبوا عليه أسقط في أيديهم وعظم أمره عليهم وكثر له غمهم .

ذكر اجتماع الجماعة للجميلة في أمر أبي عبد الله^(٧)

ولما اتصل بالجماعة ما كان من غيرة محمود بن هرون [٥٢] بأخيه الحسن رجوا أن يدخلوا من ذلك إلى ما يريدون من أمر أبي عبد الله ، فاجتمعوا

(١) في العبر ٤ : ٣٢ : محمد .

(٢) ح : وكان ذلك ايضاً .

(٣) ح : بما .

(٤) الحسن : سقطت من ح .

(٥) : من الشتات .

(٦) من هنا يبدأ نقص طويل في ع بسبب سقوط ورقة من المخطوطة .

(٧) ورد هذا العنوان في نسخة م وحدها . وترك موضعه بياضاً في ح .

إلى مهدي بن أبي كناوة اللهيصي وكان أحدهم في عقد ذلك ، فذكروا له ما بلغهم عن محمود^(١) ، وقالوا له : هو جارك وصديقك ولعلك أن تستميله فتفرق به جماعة غشمان ، فيمكننا من ذلك ما نريده .

فركب مهدي إلى محمود فنزل عنده ، فذكر له اجتماع وجوه كتامة إليه وأنهم أرسلوه ليلقاه ، وعلموا ما بينه وبينه وقالوا له : قد أجحف أخوك بنفسه وبأهل^(٢) بيته وجاء إلى غشمان ببليّة قد تعافى منها بنو سكتان وتخلصوا من شرها فأدخلهم فيها . وجعل يحذره من سوء عواقب الأمور ويذكر له من أحوال أبي عبد الله مثل الذي ذكر القوم لبيان ويستميله بتطرح الجماعة عليه ورجائهم قطع ما دهمهم من ذلك على يديه . ويعده عنهم التقدمة على أنفسهم والتسويد فيهم والتأخير عليهم .

فاستماله ذلك مع ما تداخله من الحسد لأخيه والغيرة به^(٣) فقال له : القول في ذلك ما قلت ، وما أنا إلا في غم من أمره . ولكنه قد تمكن وقوي وكثر أتباعه ، وليس هو الآن كمثل ما كان في بني سكتان ، قد أجابه عامة غشمان وكثير من قبائل كتامة وارتحلوا إليه وساروا حوله فهم يمنعونهم ويقاثلون دونه من أراده ، ومتى دعوتُ من يطيعني من غشمان إلى أخذه صرنا فرقتين وكانت كلتا الدائرتين فينا وأهلك بعضنا بعضاً . وما أرى في أمره إلا ما رآه بيان : أن يؤتى بالعلماء فيناظروه ، فان ظهرت الحجة عليه وجدنا السبيل [٥٣] إليه وان تكن الأخرى دبرنا رأياً آخر فيه .

(١) في متن ح : محمد ، ومقابله في الهامش : خ : محمود . وسوف يكتبه كذلك دائماً فيما بعد .

(٢) ح ع : واهل .

(٣) كذا في جميع النسخ .

فانصرف مهدي إلى القوم فأخبرهم بذلك ، فقالوا له : من هذا الذي يناظره من علمائنا؟! أنت ترى الواحد من جهالنا اذا دخل في أمره ناظرهم فقطعهم ، فكيف به هو في ذات نفسه؟ فقال لهم مهدي : قد رأيت من محمود شهوة في قتله وميلاً إلى ما وعدناه به من التقدمة ، مع ما تداخله من الحسد لأخيه ، ولم أجد عنده غير ما فارقت عليه ، وما علينا أن نأتي بالعلماء فاذا أخرجوه وقعنا عليه فقتلناه ، فاذا فعلنا ذلك كان بعده ما عسى أن يكون وقطعنا أصل الداء .

فاجتمع رأيهم على ذلك ، فأرسلوا في طلب العلماء من كل ناحية واختاروا من أبطال الرجال وحماتهم من يسير نحوه مع العلماء وقالوا : لا نجيء في الاحتفال أيضاً كما جئنا إلى بني سكتان فيكون من ذلك مثل ما كان .

واتصلت أخبارهم بالحسن بن هرون وبأبي عبد الله فقال لهم أبو عبد الله : تجتمع غشمان إلى محمود فيلاطفوه ويذكروا له ما اتصل بهم عنه ويحذروه العار في ذلك والنقص وسوء العواقب ويقدموه على أنفسهم ويعظموه ويرفعوا من شأنه ما قدروا عليه وينظروا ما يكون منه . ففعلوا ذلك ، وأتاه الحسن وجماعة غشمان فذكروا له ما اتصل بهم عنه وعن الجماعة وقالوا : نحن أهل بيتك وعشيرتك وأنت مقدمنا وأمرنا وهذا ضيفك وضيفنا ، وقد أجرناه ، وقد رأيت ما لحق بني سكتان في إخراجهم من النقص وانهم قد ندموا على ذلك [٥٤] وأن بياناً قد دخل في أمره فحاول رده إليه ليصلح ما أفسده على نفسه فلم يجبه إلى ذلك ، فلا تجعل علينا^(١) عاراً ونقصاً ، وأتوه بالمصحف فحلفوا له به وقدموه على أنفسهم فاستماله ذلك ، وجمع من كان

(١) الى هنا ينتهي النقص في ع .

يميل إليه من غشمان وأعلمهم ما عقدت عليه الجماعة من الفتك بأبي عبد الله .

وأقبلت الجماعة على ما أبرموه ، فلما علم محمود أنهم قد قربوا من تازروت ركب في جماعة غشمان^(١) في عدة وهيئة . وقال أبو عبد الله لجماعة المؤمنين^(٢) : اركبوا معهم وان قدرتم على أن تلقحوا^(٣) الحرب فافعلوا . فلما التقوا قالوا^(٤) لمحمود : هؤلاء العلماء قد جئنا بهم . وعزلوهم ناحية . فقال لهم محمود^(٥) : فانصرفوا ودعوهم عندنا حتى نجمع بينهم وبين الرجل مع عشرة من وجوهكم وخياركم في مجلس وننظر ما يكون من أمرهم وأمره . فانحلَّ في أيديهم ما عقدوه وقالوا له : وما عليك أن أن تخرجه إلى هاهنا ليشهد ما يكون منه ومن العلماء جميعاً من حضر . فيكون ذلك أشهر في الناس وأقطع للأمر : قال لهم محمود : ليس هذا وجه المناظرة . ولا مجيئكم هذا مجيء من أراد ذلك . وقد بلغنا عنكم^(٦) أنكم عقدتم أمراً .

وتكلّم الحسن أخوه فقال : هذا مجيء من أطمع نفسه فينا وأراد أن ينزع ضيفنا من أيدينا بالتغلب علينا . فرَدُّوا عليه . فحمل فيهم وحمل الأولياء والتحم القتال . وغضب محمود وقاتل قتالاً شديداً . وقاتل الأولياء قتالاً لم يبر مثله . وجرح محمود . ثم افترقوا . فمات محمود من جراحه .

(١) ح : جماعة من غشمان .

(٢) ح : لجماعة امير المؤمنين .

(٣) في النسخ جميعاً : تلقحوا .

(٤) قالوا : سقطت من ح .

(٥) محمود : سقطت من م .

(٦) عنكم : سقطت من ح .

فسرّ أخاه [٥٥] موته وسرّ أبا عبد الله وسرّ الأولياء وأظهروا الطلب بدمه .
واجتمع أمر غشمان وصاروا إلباً واحداً ، ودخل الدعوة عامتهم ، وصحت
الرياسة للحسن وولاه أبو عبد الله أئنة الخيل وقوّه على جميع المؤمنين .

واشتعلت الحرب فيما بين غشمان ولهيفة بسبب موت محمود واجتمع
أمر ملوسة لأبي عبد الله مع أكثر القبائل ؛ وظهر أبو عبد الله وأبدى نفسه ،
وكان يشهد الحرب ويباشرها وكان جميع المؤمنين أنصار غشمان ، والجماعة
المخالفة ن أنصار لهيفة ، وكان صاحب أمرهم مهديّ بن أبي كناوة ، وكان أخوه
أبو مديني^(١) قد دخل الدعوة وصار إلى أبي عبد الله مهاجراً ، وكانت له بصيرة
ونية ونجدة ، وكان أخوه مهديّ من أشد فارس كان في عصره وأهوله
منظراً ، يقال إنه كان أشعر البدن كله هائل المنظر شديد الضربة ، فيقال إن
الأولياء احتالوا عليه في بعض تلك الحروب ، وقد زحف إليهم والتحم
القتال وفي موضع المعركة مقبرة فيها قبور محجّرة عليها ، فأدخلوا له رجالاً
من أشدّ من قدروا عليه في ذلك التحجير ، وقدّموا إليه فارساً ليجره إليهم ،
فشتمه وأغضبه فحمل عليه ، وانجرّ له الفارس إلى موضع الرجالة ، فرماه
مهديّ برمح فأصابه فأنفذه وسقط الرمح بين يدي الفارس وظنّ الناس أنه^(٢)
قد أخطأه فما علموا أنه أصابه حتى رأوه قد سقط عن برذونه ، وخرج
الرجال على مهديّ فأخذوا عنانه وأحاطوا به وحملت الخيل عليه ، فضرب

(١) كتبه في ع « ابو مديني » دائماً ، وكتبه في ح « مديني » تارة وتارة « ابو مديني » ؛
أما في م فقد كتبه « ابو مدين » اول الأمر ثم عاد يكتبه « ابو مديني » ؛ ف « ابو مديني »
هو اشيع الاشكال لهذا الاسم ، وفي البيان ١ : ١٧٣ : ابو مدين بن فروخ اللهبصي .
(٢) انه : سقطت من ح .

في الرجالة^(١) ففرقهم وحمى [٥٦] نفسه من الخيل ، وخلص منهم عنوة .
فكان^(٢) من شأنه من يومئذ أعجوبة لم يرَ الناس مثلها ، وإنما يكون
مثل هذا ويُعجب منه في النبل : أنها ربما انفذت الرميّة ، وخرج السهم
منها لا يصيبه شيء من الدم لشدة الضربة وسرعة خروجه ؛ ومن ذلك الحديث
عن النبي صلى الله عليه في الخوارج ، انه وصفهم فقال : يمرقون من الدين
كما يمرق السهم من الرميّة^(٣) ، أي يخرجون منه لا يتعلقون منه بشيء .
فأما أن يكون مثل هذا الذي كان من مهديّ عن ضربة كف برمح طويل ،
فهذا ما لم يسمع به لمن قبله ولا لمن بعده ، والخبر فيه ثابت عنه .

وطالت الحرب بين الفريقين^(٤) ينتصف بعضهم من بعض ؛ فلما نظر
أبو مدني إلى تمادي أخيه مهدي في غيه وإصراره اغتمّ لذلك وساءه ، وكان
ربما وقف إليه فوعظه ودعاه إلى الله وخوفه وحذرّه عقابه فلا يزداد على
ذلك إلاّ غيباً وتمادياً ، فلما رآه لا ينصرف عن ذلك اجتمع مع فتي من^(٥)
لهيصة كان قد صار إلى الدعوة وهاجر إلى تازروت في من هاجر من المؤمنين
يقال له لاوة بن صوحان ، وكانت له شدة ونجدة . فقال له أبو مدني ،
وقد خلا معه : ويحك فقد ترى تمادي مهدي وما أكسبنا من العار وأدخل
لهيصة فيه^(٦) من الخلاف والعصيان ، ولو قد أراح الله تعالى منه لافترق أمر

(١) ح : الرجال .

(٢) ح : وكان .

(٣) انظر النهاية في الحديث والاثر لابن الاثير ٤ : ٩٠ والفائق في غريب الحديث للزمخشري
٣ : ١٧ .

(٤) م : الفرقتين .

(٥) من : سقطت من ح .

(٦) م : واولج فيه لهيصة ؛ ح : واولحل لهيصة فيه .

لهيصة وصاروا إلى الدين ؛ وقد رأيت أن نجتمع أنا وأنت إذا التقينا ونخرج ناحية إليه على حسب ما كنت أفعله لنعظه ونكلمه . فاذا أمكننا رميناه جميعاً برمحين في ساعة واحدة [٥٧] ، فان اتقى فلعله أن يتقي أحدهما ، ولعل الله أن يريح منه ويقطع أثره . فاتفقنا على ذلك وتعاقدا عليه .

فلما التقوا للحرب خرجا ناحية ودعوا به فأقبل إليهما . وكلمه أخوه أبو مدني بمثل ما كان يكلمه حتى أنس إليه ثم ضرباه جميعاً ضربة رجل واحد فاختلف رمحاهما فيه^(١) فسقط إلى الأرض . وحمل الأولياء عليه ، وحملت لهيصة فاستنقذته وحملته فمات من جراحته تلك بعد أن وصل إلى موضعه . وتفرق أمر لهيصة من بعده وأقبلوا إلى الدعوة ، واصطلح غشمان ولهيصة وتآلفوا على الدين . فعزَّ أمر^(٢) المؤمنين وقوي واشتد وحاربوا من يليهم من القبائل وشنوا الغارات على من بَعُدَ منهم .

وخرجت لهم خيل مغيرة على مزاة^(٣) . ورئيس مزاة يومئذ يوسف الغاطشي^(٤) . وكان قد قدم على إبراهيم بن أحمد فحباه ووصله وكساه وحمله وأعطاه جارية نفيسة . فقصد المؤمنون بالغارة^(٥) إليه وقد تفرق أصحابه

(١) فيه : سقطت من ح .

(٢) م : امير .

(٣) كتبت « مزاة » - بالنون - في معظم الأحيان في النسخ جميعاً و « مزاة » نادراً

وضبطها بالتاء كل من ابن خرداذبة وابن حزم والادريسي وابن خلدون (انظر

المسالك والممالك لابن خرداذبة : ٩٠ وجمهرة ابن حزم : ٤٩٨ ووصف افريقية :

٣٥ والعبر ٦ : ١١٦-١١٧ والترجمة الفرنسية ١ : ٢٣٢) . ومزاة هي قبيلة كبيرة

من البربر البر .

(٤) ح : العطاشي ؛ وقرأه الاستاذ طالي « الغطاشي » (L'Emirat Aghlabide, p. 613)

(٥) ح : بالغارات .

لرعي إبلهم ، فكبسته الخيل ، فأخذوا جميع ما كان له وسبوا الجارية التي أعطاه إياها إبراهيم بن أحمد ، ولم ينجُ إلا بنفسه في مطمورة تغيب فيها ، وقتلوا من قدروا عليه من أصحابه ووصلوا بالغنيمة إلى أبي عبد الله فاصطفى الجارية لنفسه فهي أم ولده ولم يكن له غيرها .

ذكر زحف جميع القبائل إلى أبي عبد الله والفتح له عليهم^(١)

ولما رأى الذين قاموا على أبي عبد الله ظهور أمره وانقطاع أمر لهيصة عنهم وقتل مهدي وأنه لا حيلة لهم إلا المناجزة مشى بعضهم إلى بعض ومشوا في القبائل واستنفروا [٥٨] العامة وتجردوا للحرب . فأرسلوا إلى مزاته فأجابوهم لما كان من إيقاع الأولياء برئيسهم . فاجتمعوا على أن ينتقل كل^(٢) القبائل بالعيالات إليه وتحيط به من كل ناحية وتحصره من كل جهة حتى تسلمه غشمان أو يأتوا عليها .

واتصل الخبر بأبي عبد الله فأمر جميع الأولياء بالانتقال إلى تازروت . فانتقلوا إلى تازروت^(٣) من كل ناحية . وجاءت كتامة من أطرافها فأحاطوا به . فكان أهل المدائن ناحية في عسكر . واجتمع اجانة ولطاية وجميع من يلي ميلة من القبائل في عسكر . واجتمع جميع من يلي سطيف من كتامة مع فتح بن يحيى ناحية . ومزاة ناحية . فكان أقرب من نزل إليه منهم لطاية

(١) سقط هذا العنوان من ح وترك بياض في موضعه .

(٢) كل : سقطت من ح .

(٣) الى تازروت : سقط من ح .

واجانة ؛ فلما رأى ذلك أبو عبد الله برز بمن معه عن تازروت وعسكر بناحية منها وخندق^(١) على نفسه ؛ واجتمع الأولياء والدعاة والمشايخ إلى أبي عبد الله فقالوا : أنت قطب أمرنا وعليك مدارنا جميعاً ، وأنت نعمة الله وفضله علينا وبك هداانا وعرفنا من الحق ما عرفنا ، فبقاؤك بقاء الدين وجمع شمل المؤمنين ، وقد^(٢) رأينا رأياً نعرضه عليك فترى فيه رأيك ، فتأذن لنا في ذكره لك ؟ قال : اذكروا ما بدا لكم ، قالوا : قد ترى ما اجتمع علينا من الخلائق ، ونحن بينهم في قلّة ، والحرب خدعة^(٣) ؛ وقد كان القوم أمّلتوا الوصول إلينا بالحيل والمكر والتلطف فلما لم يجدوا ذلك ولم يمكنهم وحمالك الله ومنعك منهم تجردوا كما تراهم للحرب ، ونحن من لا نلقي بأيدينا إلاّ^(٤) أن يفتح الله عز وجل لنا أو نموت عن آخرنا ، فان كان الظفر لنا في ذا فذلك الذي نرجوه من الله ولن يضرنا أن نكون بأيدينا^(٥) قد حطّناك وفعلنا [٥٩] بالحزم والرأي فيك ، وان تكن الأخرى وغلب علينا – ونعوذ بالله – فما منا من يشك بأنه يصير إلى رحمة الله ، ولعل الله أن يعوضك غيرنا ويظهر أمره على يدك بمن شاء منا أو من غيرنا ، وليس قصد^(٦) القوم إلاّ إليك ، ولا همتهم غيرك ، فترى أن نخرجك سرّاً من هذا الموضع ونصيرك إلى مكان لا يؤبه له تكون مستتراً فيه عند من يكلؤك

(١) ع م : فخندق .

(٢) ح : فقد .

(٣) ح : خدع .

(٤) ع : الى .

(٥) بايدينا : سقطت من م .

(٦) ح : يقصد .

ويحفظك ويزعاك ، فان كان الأمر لنا عدت إلينا بما تحبه^(١) ، وان^(٢) كان الأمر علينا سلمت أنت ونظرت في غيرنا ولا نكون نحملك هذا الخطر ونقابل بك هذا العدد ونلقى بك هذه الكثرة والقوة .

فجزاهم أبو عبد الله خيراً وأسمعهم جميلاً وحضهم على الجهاد والصبر وتلا عليهم قول الله عز وجل ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين﴾ (البقرة : ٢٤٩) مع كلام كثير يعظم به في مجلس عظمت بركته ، وأطلعهم على كثير من الحكمة فيه ، وأكد عندهم تمام أمر الله وظهوره على أعدائه ، وأنه على ثقة من الله عز وجل بانجاز وعده لوليّه وتمام أمره على يديه ، وقال لهم : ما كنت ممن يستأثر بنفسه دونكم ، ولا ممن يرغب بها عن الجهاد معكم ، فأحسنوا بالله ظنكم ﴿ولا تنازعوا﴾^(٣) فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴿(الانفال : ٤٦) ولينفق قوياتكم على ضعيفكم وغنيكم على فقيركم وتوكلوا على الله ربكم . وثقوا بنصره إياكم : فنعشهم بذلك وقويت قلوبهم وزاد في بصائرهم ونياتهم .

وقام أبو عبد الله الأندلسي قائماً على قدميه ابتهاجاً بما سمع من ذلك ورأى من المؤمنين^(٤) فقال : والله لقد ثبت أمر الله [٦٠] فيكم كما ثبت هذه في هذا - وأومى بيده إلى أذنه ورأسه - والله لو قابلتم هذه الجبال - وأشار إليها - بهذه النيات لأزلتموها .

(١) ح : تجده .

(٢) ع ح : فان .

(٣) في النسخ جميعاً : تهنوا .

(٤) زاد في ع بعد هذه الكلمة : « فيه » .

وانصرفوا من عند أبي عبد الله ، فأخرج كل واحد منهم ما كان عنده من مال وكراع وسلاح ، فأتى به . فحملوا من الرجالة على الخيل ممن كان يحسن الركوب ، وأعطوا العدة لمن لا عدة له ، وفرقوا ما عندهم بعضهم على بعض حتى استووا في الهيئة والأموال والعدة ، واعترضوا فبلغت عدتهم سبعمائة فارس لا يزيدون ولا ينقصون ، وبلغت رجالتهم نحو ألفي راجل بعد أن خلفوا جميع من فيهم من الضعفاء ومن لا يقدر على الحرب . وخلصوا في أهل الشدة والنجدة في هذه^(١) العدة ، وكان معسكرهم^(٢) وخذقهم على وادي تافرت^(٣) ، وكان أقرب من نزل إليهم فحل بن نوح في لطاية .

فدعا أبو عبد الله المشايخ فقال : أرى لكم أن ترسلوا منكم رجلاً ممن بينه وبين فحل بن نوح خلطة . فتلطف^(٤) به ويدعوه إلى السلم ، فلعلنا أن نفرق هذه الجماعة . فقالوا : سهل بن بر كاس^(٥) بينه وبينه صهر وهو له مخالط . فأوصاه بما يقول له وأرسله إليه ، فمضى سهل حتى وقف بالقرب من مناخ لطاية . ودعا فحلاً فخرج إليه وسلم عليه وسأله عن حاله ، وقال : يا أبا تميم أنت مقدمنا وأميرنا وابن أميرنا وصهرنا ، أفترضى لأخوانك أن تسبيهن البربر - يعني مزاته - وأن يُقتل إخوانك وبنو عمك على أيديهم ؟ قال له أبو تميم : لا والله ما أحب هذا ولا أرضاه . ولا بيننا وبينكم ما يوجب ذلك ، وإنما

(١) م : غ : هذا .

(٢) ح : بعسكرهم .

(٣) ح : تافرت .

(٤) ح : فيلطف .

(٥) كذا في النسخ جميعاً وفي العبر ٤ : ٣٣ : فوكاش .

مطلبنا عندكم هذا الرجل [٦١] الذي بدّل الدين وأوقع بيننا هذه الفتنة . فأعطونا إياه أو أخرجوه من بلدنا ينقطع هذا من بيننا ؛ فقال (١) له : سبحان الله يا أبا تميم ، أفترضى أنت لو قد كان عندك واستجار بك (٢) وتحرم بحرمك وعرف (٣) بك أن تفعل فيه مثل هذا الذي تأمرنا به أن نفعله ؟! فسكت فحل ، فقال له (٤) سهل : ما كنت والله ترضى بذلك ولا تفعله فيه . فلا ترض لنا بما لا ترضاه لنفسك فنحن إخوانك وعشيرتك وبنو عمك وأصهارك . قال فحل : وما عسى أن أفعله أنا في (٥) جماعة هذا الخلق ؟ قال له سهل : أنت عمادهم وقطبهم ولو كنت على أمر ما خالفوك فيه . وجعل يعظمه (٦) ويرفع من قدره ، فقال له فحل : فنفعل ماذا ؟ قال له سهل : نصالحكم وتصلحونا ونعاهدكم فتعاهدونا ونحلف لكم وتحلفون لنا على قطع الحرب بيننا ، ويرجع كل قوم إلى مواضعهم (٧) . ونكون كأهل مذهب من مذاهب (٨) المسلمين : من أراد منكم الدخول في مذهبنا دخل فيه . ومن أراد منا (٩) الرجوع إلى ما أنتم عليه رجع إليه . لا يُكره أحد على ذلك ولا يُؤخذ عليه فيه بحسب ما عليه أهل المذاهب في البلدان وبكل وجه ومكان . فما الذي

(١) ع م : قال .

(٢) هذا ما في هامش ع . وفي النسخ جميعاً : استضاف بك .

(٣) ح : وغرق .

(٤) له : سقطت من ح .

(٥) ح : هذان . ولا وجه لها .

(٦) ح : يعظه .

(٧) ع : موضعهم .

(٨) مذاهب : سقطت من ح .

(٩) ح : بنا .

يوجب حربنا دونهم وتُسْتَحَلَّ به دماؤنا من بينهم؟ فقال (١) له فحل :
دعني حتى أجتمع مع أصحابنا وأعود إليك ، قال : افعل .

ومضى فحل فأرسل إلى فرح بن جيران وجميع من كان بالحضرة من
وجوه القبائل ، فاجتمعوا فأخبرهم بما كان من كلام سهل إليه لم يغادر شيئاً
منه ، فجعل فرح بن جيران يصفرّ وجهه وينكت الأرض برمحه ويطرف
إليها بعينه ، وهم [٦٢] في ذلك ركوب على خيولهم ؛ فلما فرغ فحل من
كلامه قال له فرح بن جيران : يا أبا تميم ، هذا من حيل هذا الكافر وسحره ،
وما للقوم والله عهد ولا ذمة ولا دين ولا أمانة ، وإنما أرادوا أن يتخلصوا
من أيدينا لما رأوا أنهم في قبضتنا ؛ لا والله ما كنا ممن يفارقهم حتى يدفعوا
إلينا هذا الرجل أو يحكم الله بيننا وبينهم . وقال مثل قول فرح بن جيران
جميع من حضر ، فقال لهم فحل بن نوح : إنما هذا كلام جاء به الرجل
فبلغته إليكم ، فاذا عزم (٢) رأيكم على ما عزم عليه فما رأيي إلا رأيكم
ولا قولي إلا قولكم ، فأثنوا عليه خيراً .

وانصرف الرسول إلى سهل فأخبره الخبر فرجع سهل إلى أبي عبد الله
فأعلمه بالقصة بحضرة المشايخ ، فقال أبو عبد الله : هذا والله دليل النصر
لكم وسبب الفتح عليكم ، فاستعينوا بالله وناجزوا القوم أولاً فأولاً من
قبل اجتماعهم إليكم .

وكان جميع مزاة في ناحية بلد ملوسة وجميع المدائن وكتامة وسطيف
بناحية مسالمة مما يلي ملوسة ، فعبى أبو عبد الله من معه ومشى إلى ناحية كتامة

(١) ع م : قال .

(٢) م : قد عزم .

وميلة وهم اجانة ولطاية وجيملة وملوسة وديهاجة^(١) وغشمان سجا^(٢) وأورسة^(٣) وأهل ميلة فقاتلوهم ، وقتل فارس من فرسان الجماعة وكان من أشدهم وافترق القتال ولم يصب أحد من الأولياء^(٤) فقويت قلوبهم إذ رأوا أنهم قاوموهم .

ثم عاودوهم من غد فقتل من الجماعة عدد كثير وسلم الأولياء وافترقوا ، وزادهم ذلك ثقة بالله عز وجل وبنصره ، وقويت قلوبهم وعاودوهم في اليوم [٦٣] الثالث في أول النهار . فأقام القتال بينهم إلى وقت صلاة الظهر واستحراً واشتد وغلب بعضهم على بعض . وفي ذلك اليوم بدت نجدة غزوية^(٥) وأبلى بلاء عظيماً وكان في الرجالة ؛ وجرح غزوية ابن يوسف الجرح الذي انقطع منه صوته . فلما فاء الفياء وزالت الشمس ضرب غزوية رجلاً كان أبلى في القتال من رجالة الجماعة فقتله وحمل

(١) في ح : دهاجة ، وقرأها الأستاذ طالبي « دهاجة » كما في م ع (L'Emirat Aghl- abide, p. 595) بينما ضبطها دي سلان على « دهاجة » - بالنون - في ترجمته للجزء السادس من العبر ١ : ٢٩١ كما في صورة الأرض : ٨٠ : وهم قوم من كتامة ينتسبون الى دهاجة (؟) ابن يسودة بن كتم .

(٢) كذا في ع ح ، وفي م : سنجار .

(٣) لم أستطع العثور على الوجه الصائب لهذا الاسم : ولعله « اورشية » الذين سيأتي ذكرهم بعد .

(٤) ع : اولياء الله .

(٥) كذا يكتب في نسخ الرسالة جميعاً حيثما ورد . وقرأه الأستاذ طالبي « عروبة »

(L'Emirat Aghlabide, p. 663) كما عند ابن الاثير وابن الابار وصاحب

الاستبصار وابن خلدون (الكامل ٨ : ٤٦ والحلة ١ : ١٩٥ والاستبصار : ٢٠٥ والعبر

٤ : ٣٣ ؛ وفي نسخة من الكامل : عروبة) ويكتبه ابن عذاري « غروية » (البيان

١ : ١٤٩) .

الاولياء واجتهدت الجماعة أن يستنقذوا جثة الرجل فلم يقدرُوا على ذلك ،
 وشدَّ الأولياء عليهم واستوت الهزيمة فيهم ، فطلبوهم يقتلون فيهم ويحرقون
 ديارهم ويغنمون أموالهم إلى أن حال الظلام دونهم ، ولم يتعرضوا لأمة^(١)
 ولا حرة ولا كشفوا عورة ، وانصرفوا إلى مناخهم قد امتلأت^(٢) من الغنائم
 أيديهم ، وتفرق ذلك الجمع فدخل من دخل منهم ميلة ، ورجع من رجع
 من القبائل إلى مكانه .

وأصبح أبو عبد الله والأولياء إلى عساكر سطيح وما والاها فقاتلوهم
 فهزمهم الله بين أيديهم وأمكنهم من ظهورهم فقاتلوهم قتلاً ذريعاً وغنموا
 أموالهم ؛ وعطفوا على مزاة في اليوم الرابع^(٣) فقاتلوهم فانهزموا من بين
 أيديهم واحتوى الأولياء على قيطونهم وجميع أموالهم وما كان لهم^(٤) بعد
 أن تبعوهم^(٥) بالقتل وأفنوهم وحازوا جميع أموالهم وما كان لهم . فبيعت
 الجمال يومئذ عشرين بعيراً بدينار وبيع الحمل بخمس بصلات ، وأما الغنم
 والأمتعة والأموال فما أطاقوا حملها^(٦) ولا كيف يسوقون أنعامهم ، وغنموا
 من الخيل ما لا يحصى عدده فصار إلى الأولياء من النعم والأموال ما لا يحصى
 عدده^(٧) ، وانصرفوا إلى تازروت وفرق الله [٦٤] جمع من تألب^(٨)

(١) م ح ع : لامرأة .

(٢) ح : ملئت .

(٣) في ح : الثالث ، وشطبت « الثالث » في غ وكتب فوقها : الرابع .

(٤) وما كان لهم : سقط من ع .

(٥) ح : اتبعوهم .

(٦) ح : حملهن .

(٧) فصار ... عدده : سقط من ح .

(٨) ع : ألب ؛ ح : ألب ؛ وفي هامش ع : اي جمع .

عليهم ، وقتل عامتهم على أيديهم وأورثهم أموالهم وأغنمهم أمتعتهم وخيلهم
وسلاحهم ، وأصابوا من أموال أهل المدائن من السروج واللجم المحلاة
والخيل والغنائم والخلع والأموال والسلاح والبنود والطبول ما لا يحصى عدده
كثرة (١) .

ذكر ابتناء أبي عبد الله بتازروت واتخاذها دار هجرة ومحاربتة القبائل منها

وابتني أبو عبد الله بتازروت قصرأ سكنه بنفسه وأقطع الأولياء دورأ
حوله ، وارتحل إليه المؤمنون من كل ناحية وبنوا وسكنوا وأوطنوا وقوي
أمرهم واستأمن كثير من القبائل إليهم . وحاربوا من عند منهم عليهم
ممن قرب مما لديهم ، وشنوا الغارات على من بعد منهم . فقل يوم إلا ولهم
فيه وقعة بموضع ، وحلول بساحة قوم . وسلّم أكثر الناس إليهم وأقبلوا
يسألون الدخول في الدعوة رغبة ورهبة ، وخلص جميع غشمان تازروت
وملوسة وهبيصة لأبي عبد الله . واجتمعت كلمتهم على الإيمان . وأطبق على
ذلك عامة اجانة . وكان رئيس المؤمنين فيهم يومئذ أبو يوسف ماكنون بن
ضبارة . وثبت (٢) أبو زاكي تمام بن معارك وهو ابن أخي أبي (٣) يوسف
وكان يومئذ شاباً فقرب (٤) من أبي عبد الله . فخاف فرح بن جيران على
نفسه وجماعة معه من رؤساء اجانة أن يغلب عليهم العامة فارتحلوا إلى ميعة .

(١) ح : كثيرة .

(٢) ع م : وانبت . ولا وجه لها هنا .

(٣) اي : سقطت من ح .

(٤) ع م : وقرب .

وكان ممن ارتحل منهم فرح بن جيران ويوسف بن محمد ووزرة بن نصر^(١) في جماعة منهم ، فلما صاروا إلى ميعة خلص [٦٥] لأبي عبد الله جميع اجانة . ولحق بميعة فحل بن نوح في جماعة من لطاية ، واستقام أمر باقيهم لأبي عبد الله ، فاتصلت طاعته وظهرت في هذه القبائل دعوته وعزاً فيها أمره .

وجمع فتح بن يحيى إليه من أطاعه من مسالته وغيرهم وأقام فيهم ، وكان الذين أطاعوه من مسالته^(٢) : أهل بيته ومن قاربهم^(٣) وتسبب^(٤) بأسبابهم ، وبنو عفيفيت لأنهم يذهبون إلى مذهب الاباضية قديماً : ليس في جميع كتامة من يذهب إلى ذلك غيرهم ، وهم نُجْدٌ من مسالته ، فكرهوا أمر أبي عبد الله ، وفارقه من مسالته : ازاية^(٥) - وهم أهل بيت أبي موسى هرون بن يونس - ومن تابعهم ، وصاروا إلى الدعوة ؛ فاتصل بأبي عبد الله أمره فحاربه فغلب عليه وقتل كثيراً ممن كان معه وهرب في جماعة من أهل بيته إلى ناحية سطيف ، ثم كتب إلى أبي عبد الله يسأله الأمان والدخول في أمره بعد أن سلّمت مسالته كلها لأبي عبد الله ، ولم يجد جنبا يلجأ إليه ، فأمر أبو عبد الله هرون بن يونس بالكتاب إليه بأمانه وقدمه ، فقدم عليه وأدخله أبو عبد الله إليه وآمنه ، وأمر أبا موسى أن يأخذ عليه العهد ويدعوه فجعل أبو موسى يمطله بذلك ويمتحنه ويغلظ عليه ويقول : قتلت جماعة من

(١) اضطرب هذا الاسم في النسخ فجاء على «وزرة بن نصر» في نسختي م ح (وكتب

مرة في ح : ابن نصر بالمعجمة) وجاء على «وزة بن نصر» في ع .

(٢) وغيرهم ... مسالته : سقط سهواً من ح .

(٣) ح : فاز بهم .

(٤) م ح : ويتسبب .

(٥) م : زاية ؛ ع : اذاية ، وكتب تحتها : «اسم قبيلة» .

الأولياء فجيء بديتهم ، وقيل إنه كره اتصاله بأبي عبد الله لمكانه من الرياسة وما سبق له من الذكر ولأنه مع ذلك مطاع في قومه وشديد في نفسه ونجد (١) بيده وفارس مشهور في قومه ، فخاف أن يعلو [٦٦] عليه أو يتمكن عند أبي عبد الله فيساويه ، واتصل ذلك بفتح بن يحيى عنه وخوف جانبته فهرب . وصار إلى عجيشة (٢) ، وجمع جمعاً كثيراً حوله منهم ومن غيرهم ، فاتصل بأبي عبد الله خبره فقصد بالعساكر نحوه ، ومرّ على سطيف ، فلم يعرض لمن فيها ، وتحصّن فتح بن يحيى ومن معه في قلعة منيعة بالموضع الذي عقدوا فيه يقال لها نوبو (٣) وتسمى أيضاً وشنوك (٤) وأحاطت به العساكر فيها فقاتلوهم عليها ، وكانوا يطرحون الصخرة العظيمة من فوقها فتقبل لها دوي كدوي الرعد ، فاذا رآها أبو عبد الله مقبلة غطّى وجهه بكمه لئلا يرى ما تصيب (٥) به الأولياء ، فلم يزالوا حتى افتتحوها وقتلوا أكثر من بها . وقتل فيها يومئذ تصولا بن يحيى أخو فتح بن يحيى . وهرب فتح . وغنم الأولياء منهم غنائم كثيرة ، وانقادت عجيشة وزواوة (٦) لأبي عبد الله وجميع

(١) ح : ونجدة .

(٢) كذا بالمعجمة في النسخ جميعاً حيثما وردت . وضبطها دي سلان في ترجمته للجزء

السادس من العبر ١ : ٢٨٢-٢٩١-٢٩٢ بالسین المهملة . كما في جمهرة ابن حزم :

٤٩٥ وهي قبيلة كبيرة من البربر البرانس : وانظر العبر ٤ : ٣٣ و ٦ : ١٤٨-١٤٥-٨٩ .

(٣) م : نوبوا : ج : توبر .

(٤) ع : وشنوك .

(٥) م ح ع : يصيب .

(٦) في النسخ جميعاً : رواوة - بالمهملة - والمعروف زواوة - بالزاي - وهي قبيلة

كبيرة من البربر البرنتسون الى زواوة بن سمجان بن يحيى بن ضري ابن زجيلك بن

مادغس بن بر . وقال ابن حزم أنهم من كتامة وايده في ذلك ابن خلدون مستدلاً

بتشيعهم - مثل كتامة - وباستيطانهم نواحي بجاية ما بين مواطن كتامة وصنهاجة .

كتامة مجرس^(١) ، وانصرف بالعساكر إلى تازروت .

ولحق فتح بن يحيى بافريقية إذ لم يجد موثلاً دونها فقدم على أبي العباس ابن ابراهيم بن أحمد^(٢) ، وهو يومئذ بتونس بعد خروج أبيه ابراهيم إلى صقلية^(٣) ، فوصله وأدناه وأنزله وأكرمه ، وسأله عن أخبار أبي عبد الله ، فضعف عنده أمره وقال : لو أنك أخرجت إليه عسكرياً لأخذته ، قال أبو العباس : أفليس قد اجتمعتم أنتم في عساكر عظيمة ، فلم تطيقوه ؟ قال : ليس أمرنا من أمرك بشيء ، نحن نقاتل بلا رأس^(٤) ولا كثيرة عدة ، ونقاتل من يعرفنا من أهل البلد ، ولو جاء^(٥) عسكري^(٦) من قبلك لكانت [٦٧] له هيبة في صدور الناس ويكون لهم حينئذ رأس وتأتي بالعدة التي ليست عندنا وبالرجال الذين لم يمارسهم أهل البلد ويقاثلونهم بقتال لا يعرفونه من الشباب والقنا وغير ذلك ، ولعسكر السلطان هيبة ، ولو دخل بلد كتامة

ع

= (انظر جمهرة ابن حزم : ٤٩٦ والعبر ٦ : ٩١ ، ١٢٨ ، ١٥١ والترجمة الفرنسية ١ : ١٧٣ ، ٢٥٥ ، ٢٩٨) .

(١) ح : محرس .

(٢) صاحب افريقية بعد والده ابراهيم بن احمد ، واسمه عبد الله ، وكانت مدة ولايته بعد أبيه تسعة أشهر وأحد عشر يوماً من حين تخلى له أبوه عن الإمارة الى الوقت الذي قتل فيه ليوم بقي من شعبان سنة ٢٩٠ (انظر اخباره في الحلة ١ : ١٧٤ والدرة : ٣٨ والبيان ١ : ١٣٣ ونهاية الارب ٢٢ : ٩٢ واعمال الاعلام ٢ : ٣٦) .

(٣) في العبر ٤ : ٣٣ أن امير افريقية اذ ذاك كان ابراهيم بن احمد ، وهذا الاختلاف بين قولي القاضي النعمان وابن خلدون قد يحدد لنا تاريخ هذه الحادثة في الربع الثالث من سنة ٢٨٩ وقد تولى الامارة ابو العباس فيها في نحو ١٨ رمضان منها .

(٤) م : رئيس .

(٥) م ع : قد جاء .

(٦) عسكري : سقطت من ح .

لانصرف إليه أكثر من صار إلى أبي عبد الله . وزين له ذلك ومنّاه إياه لما رجاه من الرجوع إلى بلده والعودة إلى أهله وولده ورياسته .

فأمسك عنه أبو العباس بعد أن أطمعه بما قال له ، وكان أبوه إبراهيم ابن أحمد قد أسرّ إليه أمر أبي عبد الله ونهاه عن محاربتة ، وقال له : كن من أمره على وفاء ، فان رأيت أنه قصد إليك فخل من بين يديه والحق بي إلى بلد الروم فليس لك به طاقة ، وهو صاحب قطع دولتنا ، فاعتمد أبو العباس على ذلك وردّ الغضب^(١) والقطائع ولزم الحمول والتواضع فعل منتظر لما كان^(٢) عهده أبوه إليه^(٣) وتقدم له فيه . فلما جاءه فتح بن يحيى بما جاءه^(٤) أصغى إليه ومال نحوه^(٥) وأمسك عنه إلى أن أتاه ابن موسى بن عياش ، فكان منه ما سندكر خبره في موضعه إن شاء الله .

واستولت أمور أبي عبد الله على عامة بلد كتامة وظهرت دعائه في كل ناحية منها وغلب أمره عليها واستحكم فيها ، ولم يبقَ فيها إلا من يدخل دعوته إما راغباً وإما راهباً أو مخذولاً قد أنكرها بقلبه وغلبت عليه شقوته فأصر على انكارها ، فتمسك بما هو عليه غير مدافع لأمر ولا متوثب على أحد من أهله ، بل قد صار كل من هذه حاله تحت أحكام الدين وأيدي [٦٨] المؤمنين ، يجري حكمهم عليهم وينفذ أمرهم فيهم ويحيط سلطانهم من ورأهم بعد أن كانت لأبي عبد الله في قبائل كتامة وقائع كثيرة يطول

(١) ح : الغضب .

(٢) كان : سقطت من م .

(٣) اليه : سقطت من ح .

(٤) ح : جاء .

(٥) سقط من نسخة ع هنا ما يقدر بورقتين .

ذكرها أقام بعد انهزام الجميع عنه نحواً من سنتين يوقعها بهم وينقص أطرافهم ويقتلهم ويغرم أموالهم حتى أجابوه وسلموا لأمره طائعين ومكرهين وراغبين وخائفين ، ولم يبقَ غير المدائن ومن فيها من أمراءها ومن انضم إليهم ، وصار عندهم من غلبت عليه الشقوة وسبق في علم الله حلول البلاء به من رؤساء القبائل ووجوه العشائر ممن أنف عن الدخول في الدعوة والوقوع تحت من كان يرى أنه واقع تحت أمره من العشيرة ، ومن خامره الخوف من مقدمات سوء فعله وزين له الشيطان التمادي على غيه وجهله ، وطوائف من القبائل ممن قارب المدائن وعاشر أهلها واستماهم أمراءها يدارونهم ويكاتبونهم ويتسللون إليهم في السرّ وهم على ظاهر الطاعة والوقوع تحت الدعوة في الجهر ، تركوا على حالهم مستورين كما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله من كان بالمدينة وحوها من المنافقين .

ذكر ما أجراه أبو عبد الله في كتابه من السياسة

التي ملكهم بها وانطاعوا له من أجلها (١)

كان أصل ما أجري عليه أمر أبي عبد الله ما أراد الله عز وجل من ظهور أمر أوليائه وإعزاز دينه وعلو كلمته ، فتسبب لذلك ما أجرينا ذكره من الأسباب التي لا تدرك إلا بحوله وقوته . فلما أظهر الله أمره [٦٩] وأعزّ نصره وفشت دعوة أبي عبد الله ، وأجابه ودخل أمره طبقات من الناس : منهم من أراد بذلك وجه الله عز وجل وطلب ثوابه وأخلص فيه له وآثر به ما عنده ، ومنهم من أراد بذلك الدين والدنيا ودرك حظه من الآخرة

(١) سقط العنوان من ح وترك في موضعه بياض .

والأولى ، ومنهم من دخل ذلك يبتغي به الفخر والشرف والذكر والرياسة ،
ومنهم من أراد به الكسب والفائدة ، ومنهم من دخله الحسد والمنافسة ،
ومنهم من صار إليه خوفاً وتقية ومداراة ، والوجوه^(١) يطول ذكرها يجمعها
أمران : أمر الدنيا وأمر الآخرة . وعلى ذلك كان أمر من مضى من السلف ،
فقد أخبرنا الله عز وجل عن قوم كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه
 وآله فقال ﴿ منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ﴾ (آل عمران :
 ١٥٢) وقال : ﴿ فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة
 من خلاق ومنهم من يقول^(٢) ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ﴾
 (البقرة : ٢٠٠ ، ٢٠١) .

فأيد الله عز وجل أبا عبد الله لما أراده من ظهور أوليائه في ذلك بتوفيقه
وأيده بتسديده فنظر أن أصل ما بنى عليه أمره وقطبه الذي عليه مداره :
الدين^(٣) وما يوجبه الحق فتصلح به أمور الخلق فاعتمد عليه وجعله قاعدة
أمره ، فلم يقدم أحداً ولا أخره ولا نوّه به ولا ذكره ولا أثاب ولا عاقب
ولا ترك ولا طالب ولا أقبل ولا أدبر ولا أسرّ ولا أظهر إلا ما يوجبه الدين
والصدق ويحقه الواجب والحق ، لا يقبل من أحد إلا ذلك ولا يشيب إلا به
ولا يعاقب إلاّ عليه ولا يعطي [٧٠] رخصة فيه . فاستعمل ذلك له أهل
كل طبقة لما أرادوه^(٤) وقصدوا إليه إما اعتقاداً ونية وإما رياء وسمعة .
وفي الرياء بالخير صلاح الظاهر . والله يجزي ويعاقب على الباطن . وكان

(١) ح : لوجوه .

(٢) ربنا آتنا ... من يقول : سقط من ح .

(٣) ح : مدار الدين .

(٤) ح : اراده .

بين الناس على ما يظهر منهم من ذلك ، لا يرضى منهم بغيره ولا يداهن فيه ، فمن اطلع منهم عليه قد خالف شيئاً منه عاقبه عقوبة مثله ولم يتغمد ذلك له ولم يتجاوز عنه فيه^(١) كائناً من كان ممن عرف بالدين والدخول في جملة المؤمنين [و] أقصاه ونبذه وطرده وأبعده وحرّم على المؤمنين أن يقربوه أو يدانوه أو يجالسوه أو يكلموه ، فيبقى المدة الطويلة والأيام والشهور الكثيرة مقصياً مهجوراً ومنبوذاً مقهوراً في عشيرته وأهله وخاصته وولده وجميع من رآه وعرفه حتى يخلص التوبة ويقدم الأعمال الصالحة ويمتحن المحنة الطويلة بقدر ما اقترف من ذنبه وأتاه من خطيئته ، فعند ذلك يبتدىء أحواله ويقربه الى قريب أعماله . ومن أصاب ما يوجب الحدّ أقيم عليه ، ومن أتى ما يوجب العقاب عوقب عليه ، ومن استحق مكاناً رفع اليه ، ومن قصر عنه اطرح به . فوزن الناس أعمالهم وحاسبوا أنفسهم وعلموا أنه لا يغفل عنهم ولا يتجاوز لهم ، فاستقامت^(٢) أمورهم وصلاح أحوالهم . ثم غلظ في العقوبات لمن يستحق التغليظ منهم فأدبهم بالسيف وعاقبهم بالخوف وجعل ذلك بأيديهم ولم يكله إلى غيرهم ولا سلط عليهم به سواهم ، فاذا [٧١] أراد قتل من يريد قتله منهم أمر به أخاه أو أباه أو أقرب الناس اليه فيرى ذلك طاعة منه ويكون أسهل عليه من أن يرى غيره يليه وأن يدخل في حال السخط وينحسم الطلب^(٣) عنه بتوليته إياه دون غيره ، فكان في ذلك صلاح من وجوه ، فاقتصر^(٤) عن الذنوب وتحمى عن قبائح العيوب عامة الناس خوفاً

(١) ح : يجاوز فيه .

(٢) م : فاستقامت لهم .

(٣) الى هنا ينتهي ما سقط من النسخة ع .

(٤) ح : فاقتصروا .

ورغبة وتقيّة ورهبة ، وأيقنوا أنه لا رخصة فيها ولا صفح عنها ، فأنحسرت
أطماعهم منها وانقطع الفساد والحياة وفشا الورع والدين^(١) والأمانة ، ولذلك
قال الأولون : السلطان سوق فما علم الناس أنه ينفق فيها أتوا به اليها ؛ وهذا
لا يكون الا بحسب ما ذكرناه من الرغبة والرغبة واليأس من الإدهان والرخصة ،
والله عز وجل أعلم بخلقه ، فلو علم جل وعز أنهم يصلحون على غير ذلك
لما جعل لهم ثواباً وعقاباً ، ولو علم أن الثواب يجزي من دون العقاب والعقاب
دون الثواب لما جعلهما معاً ، ولكنه عز وجل علم أن من طباع البشر التي
جبلوا عليها أنه لا يصلحهم الا الثواب والعقاب ؛ فلم ير الناس ولا انتهى
اليهم أن قوماً كانوا من صلاح الحال والاستقامة على مثل ما كان عليه
أصحاب أبي عبد الله : إن التجار يسافرون بالأموال الصامته والنعم الظاهرة
يمرّ بها الواحد والاثنان في الجبال والشعاري والفلوات والبراري ومواضع
الخلاء فيبيت حيث^(٢) أمسى ويسير حيث أحب واشتهى ، كأنما هو في بيته
أو سوقه يبيت آمناً^(٣) ويصبح سالماً ؛ وان الضالة لتضلّ كالغنم من رعائها
والدواب بسروجها [٧٢] ولحمها فتجول في البراري والعمران وبين الرجال
والنساء والولدان لا يلتفت منهم اليها ملتفت ولا يطمع فيها طامع ولا يرغب
فيها راغب ، تقيم كذلك الأيام والليالي حتى يأتي طالبها ويحضر صاحبها ؛
وكذلك تسقط اللقطة^(٤) فتقيم بموضعها المدة الطويلة والأيام والليالي الكثيرة
حتى يأتي أهلها ومن أضلها فيأخذها ؛ وتحامى الناس المعائب وتركوا الاختلاف

(١) ح : في الدين .

(٢) ع م : حيثما .

(٣) م ح : اميناً .

(٤) ح م : اللقطة .

في المذاهب وصاروا على أمر واحد يتسمون اخواناً ويتواصلون سرّاً واعلاناً ،
 إذا دعا الواحد منهم من لا يعرف اسمه أو أحب أن يكني عنه في دعائه اياه
 أو حديثه له قال : « يا أخانا » فكانت هجيراًهم وقولهم في حديثهم ودعواهم ،
 وإن تلاقى الرجلان منهم تصافحا وتعانقا وقبل كل واحد يد صاحبه لا
 يأنف في ذلك شريفهم عن مشروفهم ولا يرغب بنفسه فيه قويمهم عن ضعيفهم ،
 وكذلك كان أبو عبدالله يفعل لكل من دخل عليه وكذلك كان يدعو من
 يدعو به : « يا أخانا » وعنه أخذوا ذلك وبآدابه تأدبوا فيه .

ثم كان من نزاهته وصيانيته وعفته وأمانته فيهم ما علموه وعظم في أعينهم
 من أجله أنه أقام فيهم مدة طويلة لا يذكر امرأة ولا يلوي على ذكرها ،
 وعرضوا بذلك له وذكروه فلم يلتفت اليه حتى صارت اليه جارية بعد زمان
 طويل فاصطفاها لنفسه^(١) . ومن ذلك أنه لم يكن يقبل من أحد منهم لنفسه
 قليلاً ولا كثيراً ، وجهدوا في ذلك فلم يكن يفعله ولم يكن ينفق إلا ما [٧٣]
 أطلقه له مولاه وأتاه كتابه بأخذه ، وربما أبطأ ذلك عليه فيحتاج فيرجع الى
 بيع ما عنده في السرّ وانفاقه ، والأموالُ الكثيرة في يده وله مباحة . ومن
 ذلك أنه عاملهم بالوقار والتهيب فلم يُرَ فيهم ضاحكاً ولا مباحاً ولا يسمع
 يقول هجراً ولا عبثاً ولا باطلاً ، ولم يكن مع ذلك بالعبوس المنقبض ولا
 بالطلق المنبسط ولكنه كان متوسطاً بين الأمرين لا يبسطهم فيبسطهم ، ان
 نطق نطق بحق وصواب وحكمة ، وان صمت صمت بوقار وحلم وهيبة ،
 ولا ينقبض عنهم فيوحشهم وينفرهم ، وكان يشاورهم ويخليهم ويسرّ

(١) هي جارية يوسف الغاطشي التي اعطاه اياها ابراهيم بن احمد (انظر ما تقدم ص :

اليهم ويدنيهم على قدر مواضعهم واستحقاقهم ويقدم أهل الدين والسوابق الصالحة منهم .

وقسم كتابة أسباعاً وجعل لكل سُبُع منها عسكرياً وقدم عليه مقدماً وأطلق بكل موضع داعياً وسمى المقدمين والدعاة : « المشايخ » وان كان فيهم من لم يبلغ السن ، وأبقى أعمال المؤمنين وما أفاء الله من المغنم^(١) على وليّ المسلمين في أيدي المشايخ ، لم يكن يقبض من ذلك شيئاً ولا يصل إليه ولا يأتيه ولا يراه ، وكان في أيديهم إلى أن قدم المهدي عليه السلام فدفعوه إليه ، وكان ذلك الوجه مما استفسدهم وحسبوا أن ذلك كذلك يكون في أيديهم أبداً ، وإنما أراد به أبو عبد الله أن يطيب^(٢) بذلك نفوسهم ولم يكن له فيأخذه من أيديهم ورأى أن تركه عندهم بالأمانة أحوط عليه وأصلح لهم فصار ذلك لهم لما قُطِع عنهم كقطع العادة الثقيل قطعها المستكره^(٣) الانتقال عنها كما قال الشاعر^(٤) :

[٧٤] لا تُهنّي بعد اكرامك لي فشيدي عادة منزعة

وقال بعض المتقدمين : العادة طبيعة وقطعها ذنب . ولم يكن ذلك من سوء سياسة أبي عبد الله ، وإنما فسد الأمر فيه من قبيل فساد التمييز ممن أنكروه وفسد من^(٥) أجله ، فأما الذي فعله أبو عبد الله فيوجب ما قدّمنا ذكره . وإنما يلزم الخطأ من أحال الصواب وغيره لا من ابتدأه واخترعه .

(١) م : الغنم .

(٢) ح : تطيب .

(٣) ع ح : المستنكرة .

(٤) هو أبو الأسود الدؤلي (تاريخ ابن عساكر ٧ : ١١٤) .

(٥) من : سقطت من ع ح .

ومن ذلك أنه كان يمتحن أصحابه بالمحن الكبار فمن رضي محنته منهم رفعه بقدر استحقاقه فكانوا لذلك لا يستعظمون محنته^(١) ولا يرغبون عنها بل يسارعون إليها^(٢) ويؤثرونها ، فيعاهدتهم على الموت ويحملهم على التلف في وجه الدين فيجيبونه ويسارعون إليه . وكان يبعث منهم الرسل إلى المشرق قبل هجرة المهدي صلوات الله عليه ، وإلى سجلماسة بعد أن صار إليها ، وإلى النواحي البعيدة في الوجوه التي يريدونها ، فاذا اختار لذلك من يختاره وانتجب له من ينتجبه وأسر ذلك إليه لم يطلع أحداً عليه من أهل ولا ولد ، ولا يعرف أحد منهم حيث سار^(٣) ولا أين توجه فلا يزال مفقوداً عندهم حتى يأتيهم . وكان يبعث بالأموال العظيمة معهم فيحملونها ويتسترون ويمشون في حال الضعفاء وحجيج أطراف المغرب في الأطمار والأخلاق حتى يوصلوا ما يُبعث معهم إلى الإمام ، ثم يرجعون كذلك على مثل حالهم .

ولقد أدار رأياً لما فتح الله أكثر البلد عليه ، ولم يمكنه الوصول إلى سجلماسة^(٤) بنفسه دون أن [٧٥] يفتح افريقية ، وبلغه أن

(١) ح : محنته .

(٢) ح : إليه .

(٣) ع م : صار .

(٤) سجلماسة - بكسر اوله وثانيه وسكون اللام وبعد الالف سين مهملة - مدينة عظيمة على حدود المغرب الجنوبية الشرقية في منطقة تافيلالت ، وهي تقع على خط عرض ٣٤ / ٨٠ شمالاً وخط طول ٧ / ٣١ غرباً ، على بعد نحو مائتي ميل جنوب جنوب شرق فاس ، أسسها المدرار بن عبد الله سنة ١٤٠ وقد درست اليوم . (انظر : « Sidjilmasa » في Encyclopaedia of Islam IV, p. 404 بقلم جورج كولان ؛ وانظر في وصف القدماء لها : صورة الارض : ٩٠-٩٦ والاقاليم : ٢٠ ومسالك البكري : ١٤٨-١٥٠ والاستبصار : ٢٠٠ ووصف افريقية : ٣٦-٣٨ =

زيادة الله^(١) كتب إلى اليسع بن مدرار^(٢) صاحب سجلماسة بخبر المهدي وأنه قبّله^(٣) ، وخاف من أجل ذلك عليه ، فانتقى^(٤) مائة رجل من كتامة وعاهدهم أن يخرجوا إلى سجلماسة في زي المسافرين ، فاذا وصلوا إليها^(٥)

= ٥١ ومعجم البلدان ٣ : ١٩٢ ؛ وانظر أيضاً كتاب خريطة المغرب الاركيولوجية من اعداد احمد المكناسي ص : ١٧ والخريطة .

(١) هو زيادة الله بن ابي العباس عبد الله بن ابراهيم بن احمد آخر امراء الاغلبة بافريقية (اذا استثنينا تولى ابراهيم بن ابي الاغلب الشكلي) وفي ايامه تحطمت آخر قلاع المقاومة الاغلبية للدعوة العبيدية . وسيأتي الكثير من اخباره عند القاضي النعمان في هذه الرسالة ؛ وانظر في اخباره ايضاً : الحلة ١ : ١٧٥-١٧٨ ووفيات الاعيان ٢ : ٤٤٤ وتهذيب تاريخ دمشق ٥ : ٣٩٥ والدرة : ٤٠ والبيان ١ : ١٣٤ . ١٦٧ . ١٧٣ . ونهاية الارب ٢٢ : ٩٣-٩٦ واعمال الاعلام ٣ : ٣٧-٤٥ .

(٢) هو اليسع بن ميمون بن مدرار الملقب المنتصر بن اليسع بن سمغون بن مدلان المكناسي . وتلقب بالمنتصر على اسم جده . وقد تولى امر سجلماسة من سنة ٢٧٠ حتى سنة ٢٩٧ عندما احتل ابو عبد الله الشيعي سجلماسة وظفر به كما سيأتي (البيان ١ : ١٥٧) وبموت اليسع انتهى ملك بني مدرار الذي استمر ١٣٠ سنة بسجلماسة (الكامل ٨ : ٤٩) ؛ وانظر ايضاً في اخباره سيرة الحاجب جعفر : ١٢٤-١٣١ واعمال الاعلام ٣ : ١٤٥ .

(٣) تنفق المصادر على أن المهدي كان قد وصل الى سجلماسة هرباً من المراصد التي اقيمت له في الطرقات . بعد ان علم زيادة الله بدخوله بلاد المغرب وانه استطاع ان يتقرب من اليسع بن مدرار صاحب سجلماسة وينال مكانة عنده . لكن اليسع قبض عليه وحبسه وابنه القائم عندما جاءه كتاب من زيادة الله - وقيل من المكتفي - بانه الرجل الذي يدعو اليه ابو عبد الله الشيعي (انظر سيرة الحاجب جعفر ١١٩-١٣١ والكامل ٨ : ٣٩ والعبر ٤ : ٣٤ والاتعاظ : ٦٢ والحطط ١ : ٣٥٠ و ٢ : ١١ . وانظر ايضاً الاستبصار : ٢٠٢ و ٢٠٤ حيث يقول ان يهودياً وشي بالمهدي لدى ابن مدرار) وسيأتي المزيد من خبره في هذه الرسالة .

(٤) في هامش ح : انتقى اي اختار .

(٥) ح : اليه .

وثبوا على ابن مدرار فقتلوه وقاموا بأمر المهدي صلوات الله عليه ، على أن كل واحد جعل على نفسه أن يقوم بمائة من المقاتلة ، وعلموا أنه لا يكون بسجلماسة مثل هذا العدد ، فأعطوا صفقة أيمانهم وعاهدوا الله على ذلك ، وخرجوا حتى إذا كانوا بالقرب من تاهرت^(١) اشتهر أمرهم وعرفوا ولم يمكنهم النفوذ فانصرفوا ؛ فكانت فيهم هذه النيات العظيمة والبصائر العجيبة لما أديهم به وقومهم عليه بتوفيق الله عز وجل آياه وتسديده له لما أرادته تعالى من إتمام أمره وإظهار دينه .

ومن ذلك أنه كان يتعاهدهم بالوصايا والتذكيرة ويكرر عليهم المواعظ والحكمة فيجمعهم لذلك ويجلس لهم أكثر أيامه ، ويأمر من أطلقه من الدعاة بذلك ويرببه عليه . فكانت أيامهم أكثرها مشاهدٌ وسماعٌ ومواعظٌ ، فبين شاهد لذلك^(٢) راغب فيه وحاضر له يخشى النقص من التخلف عنه ، ولا بد أن يعلق بالشيء منه فينتفع به وأعمالهم مع ذلك على^(٣) مثل ذلك دارت

(١) تاهرت (Tahert) - بفتح الهاء وسكون الراء وتاء فوقها نقطتان - (ويقال لها ايضاً تيهرت) : كورة ومدينة بالجزائر تقع الكورة منهما على الحدود الشرقية لمقاطعة وهران الحالية ؛ وتتألف مدينة تاهرت من مدينتين متقابلتين احدهما تسمى تاهرت القديمة ، وقد بنيت عند موقع روماني ، وتسمى اليوم تيارت (Tiaret) وتقع على بعد ١٢٢ ميلاً الى الجنوب الشرقي من مستغانم ، والثانية تسمى تاهرت الجديدة وهي تقع على بعد ستة اميال الى الجنوب الغربي من تيارت (انظر : Algeria, II, p. 107 و « Tahert » في Encyclopaedia of Islam, IV, p. 610 بقلم مارسيه ؛ وانظر في وصف القدماء لها : مختصر البلدان لابن الفقيه : ٧٩ والبلدان : ١٠٥ ومسالك ابن خرداذبه : ٨٨ وصورة الأرض : ٨٦ ، ٩٣ وأقاليم الخوارزمي : ٢٠ ومسالك البكري : ٦٣ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٩ والاستبصار : ١٧٨ ووصف افريقية : ٦٠ ومعجم البلدان : ٢ : ٧ ، ٦٩) .

(٢) م ع : ذلك .

(٣) ولا بد ... على : سقط من ح .

تديناً وتصنعاً ، وعلى ذلك مضى سلف الأئمة سلام الله عليهم ، حتى لقد قال بعضهم - وحلف بالله - : لقد طلب العلم أول ما طلبه لغير وجه الله^(١) .

ومن ذلك^(٢) ما كانوا [٧٦] يرونه من أبي عبد الله من الاعراض عن الدنيا واطراحها وترك الاشتغال بالكسب فيها مع قنوعه في المطعم والمشرب والملبس والهيئة والمركب^(٣) ، فكانوا قد اقتدوا به وجعلوا كدّهم وجدّهم الانفاق في سبيل الله عز وجل والتعاون على ذلك والمواساة فيه إذ كان الأمر في ابتدائه ولا أموال في أيديهم إلا اليسير مما أفاءه الله عليهم بحسب ما كان عليه صدر السلف في ابتداء أمر رسول الله صلى الله عليه . فلم يكونوا لذلك يشتغلون بما جاوز الكفاف وستر العورة .

ومن ذلك ما كان يحضهم عليه ويذكر لهم فضله ويبين لهم ثوابه من التواصل بينهم والتوازر^(٤) والتعاون والترافد والتعاهد وإطعام الطعام وصلات الأرحام من أهل الدين وجملة المؤمنين . فكانوا إلى ذلك مسارعين وبه مغتبطين وعليه متعاونين ، لا يعد الواحد منهم لنفسه مالاً دون أخيه . ولا يرى الفضل والشرف^(٥) إلا فيما وصل إليه فأعان به . فلم تكن أمة من الأمم ولا أهل قرن من القرون على مثل ما كانوا عليه . وهم في ذلك على منازل بحسب نياتهم واجتهادهم : رجالهم ونساؤهم . ولهم في ذلك من الأخبار ما لو ذكر يجملته مفسراً لطلال وخرج عن حدّ هذا الكتاب .

(١) قارن بما في البيان ١ : ١٢٥-١٢٨ .

(٢) ومن ذلك : سقط من ح .

(٣) ع : والمركوب .

(٤) م ح : والتوازر . وسقطت لفظة « التعاون » من ع .

(٥) ع : ولا الشرف .

وقد ذكرنا - ونذكر - جماعة ممن شهر بذلك وأنفق ماله فيه وكانت له الأخبار العجيبة : فمما^(١) يحكى من ذلك عن كور بن بن قنبر^(٢) الهيصي فانه قيل إنه أنفق ماله كله في مواساة اخوانه وإطعامهم وسد خللهم ، وكان [٧٧] يقال انه يضمّ اليه كلّ جريح يجرح من المجاهدين فيأسو جرحه^(٣) ويداويه ويقوم عليه إلى أن يبرأ ويستقل ، فيصله بعد ذلك ويعطيه أو يموت فيكفنه ويواريه . وقيل انه ما زال يخرق ما عنده من الثياب لتعصيب جراح الجرحى حتى لم يبق له ثوب ولا لأحد من ولده ، وكانوا لا يصلون إلى الأسواق فيشترون ؛ واحتاج جماعة من الجرحى عنده ممن كان يقوم به ويغذيه ويداويه إلى عصائب لجراحهم فلم يجدها فأنفذ كل ما كان له ولبنيه ولأهل بيته من الثياب في ذلك . وقد أدخل ابنه يوماً على امرأة له وهي^(٤) عروس وعليها ثياب فسألها فيها وعوضها مالاّ منها وانزعها عنها فشققها عصائب وشدّ بها جراحات إخوانه ، مع ما كان يتجمل به هو وجماعة يطول الكتاب بذكرهم من إطعام^(٥) ضعفاء المؤمنين والقيام بهم ، ومن نساء كنّ يصنعن ذلك ويقمن عليه ابتغاء الأجر فيه^(٦) ، كامرأة يحيى بن يوسف المعروف بابن الاصمّ الاجاني - وكان^(٧) من أصحاب الحلواني الذي قدّمنا

(١) في النسخ جميعاً : فيما .

(٢) ح : كويرت بن قيس .

(٣) ح : جروحه .

(٤) ع م : وهو .

(٥) م : اطعامهم .

(٦) فيه : سقطت من ح .

(٧) وكان : سقطت من م .

ذكره ومات قبل دخول أبي عبد الله بزمان^(١) طويل - فلما^(٢) احتضر أخرج مالاً الى امرأته - وكانت حدثة^(٣) السن يومئذ وهو شيخ وكان قد أدبها وعلمها التشيع والولاية - فقال لها : ان هذا المال مال كنت أعددت^(٤) لما كنا نسمعه من الحلواني من أمر المهدي وانه يطاء بلدنا هذا^(٥) وكنت^(٦) أعددت هذا المال للنفقة في الجهاد بين يديه أو بين يدي داعيه . فليكن عندك بأمانة الله ، فان بلغت ذلك الزمان فأخرجيه وأنفقيه . ومات وتخلّف عليها بعده اخوه^(٧) ياسين بن يوسف . وعاشت إلى أن دخل أبو عبد الله ودُعِيَتْ وحسنت حالها فأخرجت [٧٨] اليه المال ودفعته إليه . وأخبرته بما كان من وصية زوجها إياها ، وكان لها مال فأنفقته في الجهاد ، وكانت تصنع بيدها الطعام للمجاهدين وضعفاء المؤمنين ولمن ينزل بأهلها منهم ، حتى إن يديها كانتا تدميان من الطحن وعلاج الطعام لهم . وغيرها ممن هو في مثل حالها من النساء يطول الكتاب بذكرهن . وكن يشهدن المجالس ويسمعن الحكمة وكان منهن عجائز يسمعن ذلك ممن قد بلغ حدّ الدعوة . منهن أم موسى ابنة^(٨) الحلواني الذي قدّمنا ذكره وغيرها من عجائز كتامة . وكن كذلك يخدمن المؤمنين ويعالجن المرضى ويأسون^(٩) الجرحى على نيات

(١) ح : بدهر .

(٢) ح غ : ولما .

(٣) ع م : حديثة .

(٤) ح : ما كنت أعددت الا....

(٥) هذا : سقطت من ح .

(٦) ع م : فكنت .

(٧) ح : اخاه .

(٨) ح : بنت .

(٩) ع : بأسين .

وبصائر : لما كنّ يسمعن من الذكر والحكمة وقومن عليه من الأدب والسياسة
هنّ ومن تقدّم ذكره من الرجال .

فكان أبو عبدالله سبباً من الخير سببه الله لهم وباباً من البركة فتحه الله^(١)
عليهم وسعادة ساقها إليهم وبصرهم به من الجهالة وهداهم^(٢) به من الضلالة
وأوسع به عليهم في النعمة .

ذكر افتتاح مدينة ميعة^(٣)

وكان بنو أبي خنزير من وجوه أهل ميعة وهم من العرب من ربيعة
ويعرفون بالسناجرة لأن أولهم من سنجار - مدينة من ديار ربيعة^(٤) - وكان
رئيسهم يومئذ حسن بن أحمد^(٥) ، فوصل إلى أبي عبد الله سرّاً ودعاه فأطلعه
على أمر المدينة . وكان أبو عبد الله حينئذ يحاربهم ، وقد انضم إليهم رؤساء
القبائل وعامة لطاية ، ويزحف بالعساكر إليهم فيكون بينهم [٧٩] القتال
الشديد وينصرف عنهم إلى تازروت ، وكان مع ذلك يحارب بقايا من طوائف
كتامة إلى أن غلب عليهم وسلموا لأمره .

(١) الله : ثبتت في ح ع .

(٢) م : وحماهم .

(٣) سقط العنوان من ح .

(٤) انظر البلدان : ١٠١ .

(٥) كان حسن بن أحمد بن أبي خنزير من قواد أبي عبد الله الشيعي ثم ولاء المهدي صقلية
سنة ٢٩٧ فثار الناس عليه في السنة التالية ؛ ثم جعله المهدي على رأس اسطول لمحاربة
ابن قرهب الناصر بصقلية فقتله ابن قرهب واحرق اسطوله (انظر الكامل ٨ : ٤٦ ،
٧١ ، ٤٩ والبيان ١ : ١٦٨ ، ١٧١ ونهاية الارب ٢٢ : ٢٤٥) .

فلما استقام لأبي عبد الله أمر كتامة وأداخ^(١) من عند عليه منهم جمعهم
 وزحف بهم إلى مدينة ميلة ، فأحاطت العساكر بهم من كل ناحية ونزلت
 عليها فخرج إليهم موسى بن عياش بمن معه ومن لجأ إليه من كتامة مثل فحل
 ابن نوح وفرح بن جيران ويوسف بن محمد^(٢) ووزرة بن نصر ، فقاتلهم
 قتالاً شديداً فقتل فحل بن نوح وغلب أبو عبد الله وأصحابه على أرباض
 ميلة ودخل جميع من فيها إلى الحصن فانحصروا به . فلما نظروا إلى ما لا قوام
 لهم به دعا موسى بن عياش حسن بن أحمد بن أبي خنزير . وقد كان علم
 بأنه قد دعا ، فأرسله إلى أبي عبد الله يسأله^(٣) الأمان ، فأمنهم أبو عبد الله
 في أنفسهم ما لم يحدثوا حدثاً . وفتحوا أبواب المدينة ودخل الأولياء وتسلل
 أبو ابراهيم ابن موسى بن عياش مع جماعة منهم في الليل فهربوا فوصلوا
 إلى افریقیة ، وقيل إن موسى^(٤) ومن معه من رؤساء كتامة أرسلوهم : فلما
 دخل الكتاميون قتلوا فرح بن جيران ويوسف بن محمد ووزرة بن نصر
 الاجانيين ، ويقال ان الذي سعى في قتلهم أبو زاكي لأن هؤلاء كانوا وجوه
 اجانة فخشى أن يعلو أمرهم عليه .

وأخرج أبو عبد الله موسى بن عياش واستوصى به خيراً . وولى أبو
 عبد الله على ميلة أبا يوسف ماكنون [٨٠] بن ضبارة الاجاني وهو عم
 أبي زاكي وانصرف إلى تازروت بالعساكر .

(١) في هامش ح : اداخ اي أذل . وفي هامش ع : خ : ودوخ .

(٢) في النسخ جميعاً : محمود . وقد مرّ قبل (ص : ١١٨) : محمد . وكذلك سوف
 يأتي : محمد .

(٣) م ع : يطلبه .

(٤) ح : موسى بن عياش .

وانتهى أبو ابراهيم ومن هرب معه إلى أبي العباس ابن ابراهيم بن أحمد^(١) - وهو يومئذ بمدينة تونس - ، فأخبروه بالخبر وضعفوا عنده أمر أبي عبد الله وسألوه في اخراج عسكر إليه معهم وضمنوا له أمره واجتمع في ذلك معهم فتح بن يحيى المسالي الذي كان قدم قبل ذلك إليه ، فأعلموه أن أكثر الناس لو أتاهم عسكر لقاموا معه ، فأمر بالحشود وببَدَل العطاء وجمع وجوه رجاله فأمر عليهم ابنه محمداً أبا عبد الله المعروف بأبي حوال^(٢) ، وكان فارساً شديداً بطلاً كميّاً ، ولم يكن أحول وإنما ذلك شيء لقب به لأنه كان ربما كسر عينه إذا أدمن النظر إلى الشيء ، فاجتمعت له عساكر كثيرة عظيمة .

واتصل الخبر بأبي عبد الله أن^(٣) موسى بن عياش هو الذي وجه ابنه لذلك . وأمر بأن يحتفظ به ، وجعل عليه الحرس ، ثم أمر بقتله لما صح ذلك عنده وقربت العساكر منه . فقتل صبراً في بني جلامه ، وألقي في مطمورة بها . وجمع أبو عبد الله إليه العساكر واستعد للقاء أبي حوال .

(١) في الكامل ٨ : ٣٤ والعبير ٤ : ٣٣ أنهم اتصلوا بابراهيم بن احمد ، وهذا خطأ لان ابا حوال هو ابن ابي العباس ابن ابراهيم بن احمد فهو حفيد ابراهيم بن احمد ؛ وانظر البيان ١ : ١٣٣ .

(٢) تسميه المصادر جميعاً - باستثناء ابن خلدون - : الاحول . وتصحف الاسم فيه الى ابي حوال .

(٣) م : وان .

ذكر خروج أبي حوال بالعساكر الى كتامة
وما كان من أمره في ذلك وانصرافه منه (١)

فاجتمع لمحمد هذا المعروف بأبي حوال ابن عبد الله أبي العباس ابن ابراهيم ابن أحمد اثنا عشر ألف رجل بين فارس وراجل تنقاهم واختارهم ، وأخرج إليه أبوه الأموال والخلع والسلاح والعدة ، فأسبغ عليهم العطاء وكسا وجوههم وحملهم وكسا في من [٨١] كسا وحمل : فتح بن يحيى وأبا ابراهيم ابن موسى بن عياش وأمر لهم بالسروج واللجم المحلاة في جماعة كانوا معهم من حماة كتامة ، وخرج بالعسكر (٢) من مدينة تونس في ذي القعدة من سنة تسع وثمانين ومائتين ، فكل من مرّ عليه من القبائل بذل لهم العطاء والخلع والحملان لوجوههم ، فسارعوا إليه وقصدوا نحوه وصار (٣) إلى سطيف فلم يصل إليها حتى زاد في عسكره مثله ، وتلقاه بنو عسلووجة أصحاب سطيف وبنو تميم أصحاب بلزمة في من معهم ومن حولهم ممن لم يدخل مع أبي عبد الله ، فصاروا في عساكر عظيمة . ومال بهم على من قد دخل في حزب أبي عبد الله من كتامة أهل مجرس فقتلهم قتلاً ذريعاً وانتهب أموالهم وسبى نساءهم وذراريهم ، ثم قصد قصد أبي عبد الله إلى تازروت .

واتصل الخبر بأبي عبد الله فبرز إليه في من معه . وكان أبو حوال منذ خرج من باغاية جعل (٤) يسير عساكره إذا سارت زحفاً بتعبئة كما يعي ، العساكر عند لقاء القتال . فاذا نزل لم يبت إلا في خندق يختفر حوله من

(١) موضع العنوان بياض في ح .

(٢) م : بالعساكر .

(٣) م : وسار .

(٤) م : يجعل .

وقت نزوله فلا تغرب الشمس إلا وقد تمّ ، قد رتب ذلك على رجال أوقفهم له بقياس معلوم بأذرع معدودة ورتب نزولهم على ترتيب معلوم ، فكل قوم قد علموا وعرفوا مكانهم ، فاذا أظلم الليل عليهم وقف الحرس على أبواب الخندق ، ودارت به الرجالة من داخله بالدرق^(١) ، والحيل تعسّ دون الرجالة في داخل الخندق ، ويخرج ألف فارس فتعسّ حوله إلى أن يصبح . فساروا على ذلك الترتيب ، [٨٢] وكان الزمان زمان شتاء .

وزحف أبو عبد الله إليه فالتقوا ببلد ملوسة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم أبو عبد الله وأصحابه آخر النهار واتّبعهم أبو حوال إلى قرب الليل فنزل وخندق ، فلما أصبح زحف إليهم وقد كانوا نزلوا بقربه فاقتتلوا فانهزم أيضاً أصحاب أبي عبد الله ، وجاء ثلج عظيم فحال فيما بينهم .

وانصرف أبو عبد الله وأصحابه إلى تازروت فلم يروا أنها تحصنتهم ، وأخذوا ما قدروا عليه من أموالهم وانضموا عليه بأجمعهم إلى ايكجان ، وارتفع الثلج ، وأتى أبو حوال إلى تازروت فأصابها خالية فأحرقها وهدم قصر أبي عبد الله الذي ابتناه بها ، ومضى حتى أتى إلى ميلة فأصاب أهلها أيضاً قد ارتحلوا منها وانضموا إلى ايكجان ، فنزل منها بالجانب بناحية دبور القبلة بقرب الحان الكبير^(٢) المعروف بموسى بن عياش على أنه يزحف إلى أبي عبد الله إلى ايكجان وخندق في مكانه . فلما أصبح استأذنه أبو ابراهيم

(١) في هامش ع : « الدرق ج درقة ، الدرقة الجنة » ، والدرقة ضرب من الترسه يتخذ من الجلود (اللسان) .

(٢) ع م : الجنان الكثير ؛ ح : الجنان الكبير ؛ وقد مر ذكر الحان الذي كان لفرجون موسى بن عياش (انظر ص : ٧٥) .

ابن موسى بن عياش في أن يمضي إلى كجارمة يستخرج أباه فيدفنه^(١) ، وكان ذلك بقرب ما قُتل ، فأذن له في ذلك ، ومضى في خيل كثيرة حتى أتى كجارمة - وهي من^(٢) بلد لطاية بالقرب من ميلة - فأصابها خالية قد ارتحل أهلها مع أبي عبد الله ، فهو على أن يستخرج جثة أبيه إذ أقبلت خيل ومعهم دواب من أهل كجارمة^(٣) يَحْتَمِلُونَ طعاماً لهم ، فواقعوا أبا إبراهيم ومن معه فقاتلوهم^(٤) [٨٣] فقتل أبو غفال ابن أبي إبراهيم ابن موسى بن عياش وكان فارساً شديداً ، واتصل الصراخ بالفريقين فأمدَّ كل قوم أصحابهم ، والتحم القتال بينهم وتكاثروا ، فلما قرب الليل وقعت الهزيمة على أصحاب أبي حوال ، فطلبهم الأولياء إلى أن قربوا من العسكر ودخل الليل عليهم فانصرفوا عنهم ، وبات أهل العسكر مع أبي حوال وقد^(٥) ماجوا ، فلما اعتكر الليل وقعت فيهم نفرة ، فاقتحموا الخندق وضربوا على وجوههم كل قوم منهم إلى مواضعهم ، وحاول أن يُصلح ذلك أبو حوال فلم يستطع ، فأمر برفع الثقل ، وأشعل المشاعل وسار في الليل وأخذ ناحية جيملة يريد افريقية ، فلم يصبح حتى خرج من حدِّ كتامة . واتصل الخبر بأصحاب أبي عبد الله فأتوا^(٦) مناخه فغنموا ما بقي فيه وانقطعت خيل منهم في طلبه فلم يلحقوا به ، وسار أبو حوال حتى وصل إلى أبيه بتونس .

(١) خالف ابن خلدون هنا القاضي النعمان إذ قال ان ابن موسى بن عياش خرج الى نواحي مسيلة (اقرأ : ميلة) « يتجسس الاخبار » (البر ٤ : ٣٤) .

(٢) ح : في .

(٣) كتبها هذه المرة في ح : لجارمة .

(٤) ح : فقاتلهم .

(٥) م : قد .

(٦) ح : واتى .

وتراجع كتابه إلى مواضعهم^(١) وأهل ميعة إلى مدينتهم .

وكان الحسن بن هرون قد اعتلّ فمات بايكجان ، رحمة الله عليه ،
وكان بيان بن صقلان السكتاني وأبو جعفر أحمد^(٢) بن سليم السكتاني
الذي كان يقال له الحرارة قد بلغا عند أبي عبد الله المبلغ الصالح وحسن
أثرهما ، فرغبا إليه مع جماعة من بني سكتان في المقام^(٣) بايكجان ، ورأى
أنه أشبه المواضع به فأقام وابتنى به قصراً وارتحل الناس إليه وصار دار هجرة
للمؤمنين .

[٨٤] وفرق أبو عبد الله الدعاة في القبائل وتجرّد بنفسه للمجالس ،
وكان يجلس في كل يوم للمؤمنين يحدّثهم ويشرح لهم ، وأمر الدعاة بذلك ،
فحسنت^(٤) نيات المؤمنين وزادت بصائرهم وصلحت أحوالهم .

وكان يرسل إلى افريقية قوماً يأتونه بالأخبار لا يقطع ذلك عنه^(٥) فقيل
كان لا يمر يوم إلاّ وعنده منها خبر ، فجاءه الخبر بموت ابراهيم بن أحمد ،
وجلس للناس ذلك اليوم ، واجتمع إليه المشايخ فرأوه مقارباً لم ينشرح ولا
تكلم^(٦) إلى وقت انصرافهم ، فلما خرجوا من عنده أقبل بعضهم على بعض ،

(١) ح : موضعهم ؛ واطاف في م بعد ذلك : « وحاول ان يصلح ذلك ابو حوال » وهو
تكرار ناشيء عن السهو .

(٢) ح : هو احمد .

(٣) ح : المكان .

(٤) م : فحسنت بذلك .

(٥) عنه : سقطت من ح .

(٦) ع ح : يتكلم .

قالوا : ما نراه إلاّ وقد أتاه أمر أهمه ، والواجب أن لا ننصرف^(١) حتى نعلم علم ذلك ، فان كانت لنا فيه حيلة استعملناها ، فوقفوا وردّوا بعضهم إليه فاستأذن عليه وذكر ذلك له ، فأمره بردهم فقال : بلغني ما أنكرتموه من انقباضي ، وما ذلك إلاّ لشيء اشتغل به صدري ، فقالوا : ما هو؟ أطلعنا عليه فلعله أن يكون عندنا حيلة فيه ، قال : الفاسق ابراهيم بن أحمد قد استأثر الله به فمات ؛ فحمدوا الله وشكروه واستبشروا بذلك وقالوا : ما^(٢) يغمك من هذا^(٣)؟ قال : لم يغمني ذلك ، ولكن هذا الفاسق ابنه لما أتاه موت ابراهيم أبيه زاد في الرياء وردّ على الناس جميع ما كان أبوه اغتصبهم إياه وعدل فيهم وتواضع لهم وجلس في المسجد الجامع لظلماتهم على حصير ، ونصب درة بين يديه كفعل القضاة يستميل بذلك قلوب [٨٥] العامة إليه^(٤) ، قالوا : فذلك أوهن له^(٥) قال : لا تقولوا ذلك ، كيف لكم بمن قابلكم بحصير ودرة يستميل بذلك قلوب العامة؟ ولكن خذوا^(٦) في أمركم واجتهدوا . فما زال يحذرهم ذلك ويقول لهم . حتى أتاه الخبر بقتل أبي العباس وبأن ابنه زيادة الله قد صار إلى مكانه وأنه هو الذي عمل في قتله وارتكب المحارم وعكف على الملاهي وشرب الخمر . فبشرهم بذلك وقال : قد زال عنكم ما كنتم تتوقعون . وهذا صاحبكم وآخر من يحاربكم ، وعنه يصير الأمر إليكم إن شاء الله تعالى .

(١) ح : نصرف .

(٢) م : وما .

(٣) قارن بما في الكامل ٨ : ٣٥ حيث يقول ان ابا عبد الله سرّ عندما بلغه خبر وفاة ابراهيم ابن احمد .

(٤) م : قلوب الناس اليه ؛ وقارن بما في البيان ١ : ١٣٣ .

(٥) ع : فقالوا ذلك أوهن له ؛ ح : فقالوا ذلك اهن له .

(٦) م : جدّوا .

ذكر رجوع المعروف بأبي حوال بالعسكر الثاني وانصرافه مهزوماً

ولما انصرف أبو حوال إلى أبيه وصف^(١) له ما كان^(٢) من ظهوره أولاً^(٣) وغلبته على البلد ، وأن انصرافه إنما كان لأمر عرض عن غير علة ، وقوى ذلك من قوله جميع من كان معه من كتامة وضعفوا من أمر أبي عبد الله عنده ؛ وأطمعه ذلك فجهز جيشاً ثانياً زاد في عدده على الجيش الأول ، وأكثر في عدته وقوته ، وأخرج مع أبي حوال ابنه ، فخرج به قاصداً ، وأخذ طريقه الأولى ، وانضمت أيضاً إليه القبائل ، وسار حتى نزل سطيف على مثل ما كان سيره في المرة الأولى من التعبية والتحفظ ، وزحف من سطيف ، وانتهى خبره إلى أبي عبد الله ، فزحف إليه من ايكجان بجميع من كان معه فنزل بتاسدست^(٤) من بلد لبيصة ، ونزل أبو حوال ببلد ملوسة .

فجرّد أبو عبد الله عامة الخيل التي معه فهدّمها إلى أبي حوال وأقام بتاسدست ، فلما أشرفت الخيل على أبي [٨٦] حوال خرج من خندقه^(٥) بجميع أصحابه ، فاقتتل القوم قتالاً شديداً والغلبة في كل ذلك على أبي حوال وأصحابه ، حتى أدخلهم أصحاب أبي عبد الله خندقهم ، وحال الليل بينهم فانصرفوا عنه ، فباتوا ، وأصبحوا إليهم من غد ، فاحتصر أبو حوال في

(١) ح : ووصف ؛ ع : فوصف .

(٢) أبو حوال كان : سقط من م .

(٣) تكررت لفظة « أولاً » في ح .

(٤) ح : بتاسدست وكذلك حيثما وردت في هذه النسخة ، وحافظت النسختان الاخرتان على « تاسدست » .

(٥) ح : خندق .

الخدق فلم يخرج إليهم ، ورأى أن أصحابه قد غلبوا ، فأقاموا عليهم يومهم إلى الليل وانصرفوا إلى أبي عبد الله فأخبروه بالخبر وقالوا له : من الرأي أن نرفع الساعة بجميع العساكر فنحيط بهم فانهم يهربون الليلة لا محالة ، فقال أبو عبد الله : ما أرى ذلك ، وان هربوا فإلى لعنة الله .

فلما جنَّ الليلُ رفع أبو حوال ثقَلته فقدمه بين يديه ، ثم أوقد المشاعل وكرَّ راجعاً إلى سطيْف . وكانت خيل كثيرة قد خرجت من عسكر أبي عبد الله إذ أيقنوا هروب أبي حوال ، فقتلوا جماعة من أصحابه وغنموا كثيراً مما كان معه ، وأصبح عسكر^(١) أبي عبد الله فغنموا جميع ما بقي في^(٢) مناخ أبي حوال ، وانصرفوا إلى ايكجان مع أبي عبد الله وانصرف أبو حوال بمن معه إلى سطيْف^(٣) .

ثم إن زيادة الله أبا مضر ابن عبد الله أبي العباس عمل - فيما يقال - في قتل أبيه ، وصانع على ذلك بعض الخدم ، وقيل بل الخدم فعلوا ذلك ليرضوه به^(٤) ، وكان زيادة الله يومئذ محبوساً مقيداً ، وكان سبب حبسه أن إبراهيم بن أحمد جده كان قد نقم عليه وهو معه ببلد الروم فساداً وزناً كان يرتكبه ، فأمر به فحبس في خباء [٨٧] ووكل به حرساً^(٥) .

(١) عسكر : سقطت من ح .

(٢) م : من .

(٣) انظر خبر ما آل إليه أمر أبي حوال في نهاية الارب ٢٢ : ٩٤ .

(٤) قال ابن الأبار والنويري ان الخدم الذين قتلوا ابا العباس انما كان زيادة الله وضعهم

عليه (الحلة ١ : ١٧٥ ونهاية الارب ٢٢ : ٩٣) بينما لم يشر ابن عذارى وابن الخطيب

الى سعي زيادة الله في قتل ابيه (البيان ١ : ١٣٤ واعمال الاعلام ٣ : ٣٧) .

(٥) هذا يخالف ما عند ابن عذارى من ان ابا العباس ابن ابراهيم هو الذي حبس زيادة الله

لانه بلغه انه يريد الثورة عليه (البيان ١ : ١٣٤) .

وكان ابراهيم لما احتضر استخلف على الناس الذين معه ابنه أبا الأغلب ودفع إليه خاتمه ، وكان أبو الأغلب رجلاً عفيفاً ليناً ، فلما مات ابراهيم خاف أن يكون أخوه أبو العباس يكره مكانه ، فدعا بزيادة الله فقال له : أبوك هذا هو الأمير وأنت أحق بهذا الأمر مني ، ودفع إليه خاتم ابراهيم وتبرأ مما جعل إليه^(١) . وتولى زيادة الله أمر العسكر وكان محاصراً لكستته قد أشرف على فتحها ، فانصرف زيادة الله بالجيش عنها إلى صقلية ، وأراد الخلاف على أبيه بها وفرق أموالاً كثيرة على وجوه العسكر ودعاهم إلى الخلاف معه^(٢) ، وذلك أنه علم من أبيه أنه سيعاقبه على ما كان منه ، فقال له من دعاه إلى ذلك : أولادنا وأهلونا بافريقية وان خالفنا معك لم نأمن عليهم العقوبة ، ولكن نحن معك بجماعتنا ، فاذا وصلنا إلى افريقية قمنا معك فأزلنا أباك ووليناك^(٣) . وكتب بعضهم إلى أبيه بالخبر . فلما انصرفوا^(٤)

(١) هذا يوافق ما في الدرر : ٣٩ ، ولكن هنا موضع للتوقف بسبب اختلاف المصادر ؛ فبينما يقول ابن الأبار ان ابراهيم ابن احمد قتل ابنه ابا عقال (الحلة ١ : ١٧٢) يقول ابن عذارى والنويري وابن الخطيب ان ابراهيم قتل ابنه المكني ابا الاغلب (البيان ١ : ١٣٤ ونهاية الارب ٢٢ : ٩٠ واعمال الاعلام ٣ : ٢٩) فاذا لم نقرض انه كان هناك ابن آخر لابراهيم يكنى أبا الأغلب ، فان ابن عذارى والنويري وابن الخطيب يخالفون ما جاء عند القاضي النعمان هنا من ناحية ويناقضون انفسهم لدى ذكرهم تولى زيادة الله الجيش بصقلية بدلاً من عمه ابي الأغلب من ناحية أخرى . هذا وقد وردت قصة تولى زيادة الله بدل عمه هناك بشكل آخر ، فقال النويري ان القواد ولوا زيادة الله عليهم لدى موت ابراهيم جده فقال لعمه أبي الأغلب : انت أحق بحق أخيك ، فلم يتقدم الى زيادة الله لانه « كان يحب السلامة » (نهاية الارب ٢٢ : ٨٨-٨٩) .

(٢) ح : معهم .

(٣) ع : ووليناك ؛ ح : وولينا .

(٤) ح : انصرفوا كلهم .

بالأسطول أمر أبو العباس بخيلٍ كثيرة وقوة قوية ، فكانت^(١) على البحر ، فلما نزل زيادة الله قبضوا عليه وأتوه^(٢) به فضربه بالعصا ضرباً وجيعاً وقيده وحبسه فلما عمل عليه أو عمل له دخل الخدم عليه الذين كانوا يدخلون إلى حرمه^(٣) ليلاً وهو نائم ، ويقال انه كان قد شرب وسكر فقتلوه في داخل قصره بمدينة تونس ليلة الأربعاء ليوم بقي من شعبان سنة تسعين ومائتين ، فكانت ولايته من اليوم الذي خرج أبوه إلى صقلية إلى الليلة التي قتل فيها سنة واحدة [٨٨] واثنين وخمسين يوماً .

ولما قتله الخدم أتوا إلى زيادة الله فأخبروه . وأتوا بحدّاد إليه ليقطع قيده ، وسلموا عليه بالامرة^(٤) فأبى من ذلك وخاف أن يكون دسيساً من أبيه عليه ، فمضوا وأتوه برأسه في الليل ، فلما رأى ذلك أمر بقطع قيده وخرج فجلس مجلس أبيه وضمّ أمواله ، وأصبح فأظهر الوجد^(٥) عليه وقتل الخدم الذين قتلوه وقبض على اخوته وعمومته فاعتقلهم . وكتب في ذلك اليوم كتاباً إلى أبي حوال على لسان أبيه يأمره بالانصراف إليه ، ليقوى أمره ويزيد من الرجال إليه . وأكد عليه في استعجال القدوم عليه . وذلك أن زيادة الله خاف مكانه ، ووجه بالكتابة مع فُرانق واستحثه وكتب معه إلى وجوه العساكر^(٦) بموت أبيه وبالقبض على أبي حوال إن هو تناقل عن

(١) ح : وكانت .

(٢) ع م : واتوا .

(٣) ع ح : حرمهم .

(٤) م : بالامارة .

(٥) ح : الوجل . ولا وجه لها هنا .

(٦) ح ع : العسكر .

القدوم ، وأمر الفرانق بدفعه^(١) إليهم إن رآه قد ثاقل ، فلما وصل الكتاب إلى^(٢) أبي حوال وافقه وقد كره المقام ، اذ علم أنه لا قوام له بأبي عبد الله ورأى غلبته عليه ، فدعا في ذلك الوقت بوجوه العسكر فأقرأهم الكتاب وأمرهم بالنهوض . فسرّ الناس بذلك لانصرافهم إلى مواضعهم^(٣) ، فسارعوا^(٤) إليه .

وانصرف ، فلما وصل إلى بلزمة اتصل به أمر أبيه وأخبره بذلك حي ابن تميم وقال له : ان أحببت المقام عندنا فنحن نحملك ونمنعك ، فلم يرد ذلك ، وسار فلما قرب من باغاية لقيه صالح بن الروحاني في عسكر ، فقبض عليه وكبله وحمله على البريد وتولى أمر العسكر^(٥) وجاء بكتاب زيادة الله في ذلك ، فانصرف به ، فوصلوا إلى [٨٩] تونس ، فقتل زيادة الله أخاه أبا حوال وعمومته واخوته في شهر رمضان سنة تسعين ومائتين ، وكان ذلك من صنع الله لأوليائه وما أراد من قطع دولة الظالمين ، فقتل بعضهم بعضاً ، وكان في ذلك وهن لهم وتضعيف لأمرهم^(٦) .

وكان أبو العباس يعنى بعلم الفتيا ويرى رأي أبي حنيفة ويذهب إليه وينتحل القول بخلق القرآن ، وكان ذلك مما ينقمه عليه العامة . فلما ولي زيادة

(١) ع م : بدفعها .

(٢) ح : على .

(٣) ح : موضعهم .

(٤) م : وسارعوا ، وفي هامشها : وساروا .

(٥) فقبض ... العسكر : سقط من ح ع .

(٦) ح : لامره .

الله أراد أن يستر ضيها فعزل الصديقي^(١) عن القضاء . وكان ممن يذهب إلى مذهب أبي حنيفة ، ووليّ حماس بن مروان^(٢) ، وكان يذهب إلى مذهب مالك ويسمى سنياً^(٣) ؛ وكتب في بنوده : نصر من الله ، للأمير زيادة الله ابن عبد الله القائم بسنة رسول الله . وهو على ما هو عليه من الخلاعة والمجانة والفساد^(٤) وارتكاب حرم أبيه ، فلم يلتفت العامة إلى ما رأته من ذلك ولا ولا أقبلت عليه ، وفشا عنه شرب الخمر بعينها ولم يكن قبله يُعرف بأفريقية شربها ، وأظهر الغناء والمعازف ، وجمع إليه^(٥) أهل اللهو والمتخشين والمضحكين ، وكان لا يقلع عن الشرب ولا يكاد أن يرى إلاً سكراناً^(٦) .

- (١) كذا في ع ح (كما يكتبه الخشني) وفي م : الصديقي (كما يكتبه النويري) . وهو محمد بن اسود المعروف بالصديقي : من رجال الحنفية بأفريقية ، ولآه ابراهيم بن احمد القضاء عند خروجه الى صقلية ثم وكل اليه ابو العباس ابنه الاحكام والنظر في العمال وجباة الاموال الى جانب قضاء القيروان ؛ وكان صلباً قوياً في قضائه شديداً على رجال السلطان رقيقاً بالضعفاء والمظلومين . وكان يظهر القول بخلق القرآن فكرهته العامة لذلك (انظر علماء افريقية للخشني : ١٩٤-٢٣٨ ونهاية الارب ٢٢ : ٩٢-٩٤) .
- (٢) هو ابو القاسم حماس بن مروان بن سماك الحمداني : فقيه وقاض مالكي كبير . وضعه ابن فرحون في الطبقة الرابعة من فقهاء افريقية . وهو معدود في اصحاب سحنون . وسمع بمصر من ابن عبد الحكم وغيره وتفقه بأفريقية بان عبدوس . قال : وكان صالحاً ثقة مأموناً ورعاً عدلاً في حكمه فقيه البدن بارعاً في الفقه . وكان الفقه اكبر شأنه . « وكانت وفاته سنة ٣٠٣ (انظر طبقات الفقهاء للشيرازي . الورقة : ٤٦ ب وعلماء افريقية للخشني : ٢٣٨ والديباج المذهب : ١٠٨ : وانظر البيان ١ : ١٣٦ . ١٧٣ ونهاية الارب ٢٢ : ٩٤) .

(٣) انظر الحديث عن فرح العامة والخاصة بتولية حماس القضاء في الديباج : ١٠٩ .

(٤) ح : في الفساد ؛ ع : وفساد .

(٥) اليه : سقطت من ح . وسقطت « اهل » من م .

(٦) ح : ولا يكاد الا ان يرى سكراناً .

واتخذ ندماء يتصافعون بين يديه ويفحشون في القول عنده ، ويأتون ما لا ينبغي أن يذكر فضلاً عن أن يعمل به ، وكانوا يتخذون له^(١) مثنائات الغم منفوخة مربوطة ويجعلها تحت بساطه فاذا دخل عليه الجليل من رجاله فجلس تقعقت تحته فيضحك^(٢) ويضحك أصحابه^(٣) في كثير من الرقاعة والعبث والمجانة [٩٠] والحلاعة^(٤) .

وكان يأتيه ويتصل^(٥) بأبي عبدالله أخباره فيه ، ويحدث بها^(٦) عنه رجاله ويقول : أبشروا فهذا صاحبكم وآخر من يحاربكم .

ثم انتقل زيادة الله من مدينة تونس إلى رقادة فنزلها ، وكان جده ابراهيم ابن أحمد إنما انتقل عنها لما خالف عليه أهل افريقية وعقدوا^(٧) بتونس فسار إليهم فهزمهم وافتتحها وأقام بها^(٨) ، فرأى زيادة الله أنها منقطعة عن القيروان^(٩) وخاف من أبي عبدالله أن يأتي إلى رقادة فينزل بها ، فارتحل إليها وابتنى سورها ولم يكن عليها سور أيام ابراهيم بن أحمد وإنما كان عليها خندق^(١٠) وأبواب وأقام بها .

(١) له : سقطت من ح .

(٢) ح : فتضحك .

(٣) أصحابه : سقطت من ح .

(٤) انظر ايضاً في انصراف زيادة الله الى اللهو البيان ١ : ١٤٣ .

(٥) اضطربت هذه العبارة في ح .

(٦) بها : سقطت من ح .

(٧) في النسخ جميعاً : وعقدوا .

(٨) انظر البيان ١ : ١٢٣ .

(٩) ح : التبران .

(١٠) ع : الخندق .

ذكر هجرة المهدي عليه السلام من دار قراره بالمشرق^(١)
ووصوله إلى سجلماسة^(٢)

ولما انتهت الامامة إلى المهدي (صلعم) وقبض الامام قبله الذي كان عهد فيها إليه وقد كان يقول له : انك ستهاجر بعدي هجرة بعيدة وتلقى محنة شديدة ، فلما قبضه الله تعالى إليه وقام المهدي بالامامة من بعده عليه السلام اشتهر ذكره وفشا خبره ودلّت عليه آياته وتبين للناس علامته وخاف المهدي بني العباس على نفسه ، وكانت له في ذلك أخبار يطول شرحها وذكرها ومحنٌ كما وعده الامام من قبله (صلعم) بها . فخرج^(٣) بنفسه وبالامام ابنه القائم من بعده معه ، وهو يومئذ غلام حدث السن والمهدي شاب عندما كمل ، حتى انتهى إلى مصر وأمل أن يقصد اليمن ، وكان قد تقدم بعض دعائه فقصد اليمن قبله وفسد [٩١] أمره^(٤) وأتى إلى أبي القاسم صاحب دعوة اليمن فأراد أن يستزله فوجده ثابتاً على أمره . فانصرف عنه إلى علي بن الفضل صاحبه ، - وكان في ناحية من اليمن - فاستماله وأفسده^(٥) .

(١) ح : من دار المشرق .

(٢) راجع في هذا الموضوع كتاب سيرة الحاجب جعفر : ١١١ وما بعدها .

(٣) كان خروج المهدي من المشرق سنة ٢٨٩ (المصدر السابق : ١١٢) .

(٤) هذا الداعي هو المسمى فيروز . وكان - بحسب قول جعفر حاجب المهدي - « داعي

الدعاة وأجلّ الناس عند الامام واعظهم منزلة (عنده) . والدعاة كلهم اولاد

ومن تحت يده وهو باب الابواب الى الأئمة » (سيرة الحاجب جعفر : ١١٠) وهو

الذي اخذ على ابي عبد الله الشيعي واخيه ابي العباس ورباهما وفتحهما ثم اتفدهما

عن الامام الى مصر واليمن (المصدر نفسه : ١٢١) . وقد تغير فيروز على المهدي

قبل خروجه من مصر . وخبره في اليمن مبسوط في المصدر نفسه : ١١٤ وما بعدها .

(٥) خبر ارتداد ابن الفضل في الحور العين : ١٩٩ وتاريخ عمارة اليمني : ١٦٨ وما بعدها

وغاية الاماني ١ : ١٩٥ وما بعدها ، وانظر سيرة الحاجب جعفر : ١١٥ .

فكان يقال في ذلك الوقت : أتى إلى عراقي يطلب أن يسخر منه فلم يمكنه ذلك فأتى اليماني فسخر^(١) منه ، فانسلخ علي بن الفضل من أمر الله وأمر أوليائه واستحلّ المحارم ورفض الظاهر ودعا الناس إلى الاباحات ، فلما اشتهر بذلك تبرأ منه ذلك الذي أفسده ، فكان كما قال عز وجل من شأن ابليس اللعين : ﴿ إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين ﴾ (الحشر : ١٦) فحارب أبا القاسم فكانت له أمور يطول ذكرها ، ومات على ذلك من غيه وضلاله ، نعوذ بالله من الخذلان والضلالة والحسران .

واتصل ما كان من ذلك بالامام فكره دخول اليمن على هذه الحال^(٢) وأقام بمصر مستتراً في زي التجار ، فأتت الكتب من بغداد إلى صاحب مصر بصفته والأمر بطلبه والقبض عليه ، وإلى العامل بها ، وكان بعض أهل خاصة ذلك العامل مؤمناً ولياً^(٣) فأسرع إلى المهدي بالخبر وأمره بالتستر^(٤) وتلطف^(٥) في أمره إلى أن خرج من مصر^(٦) ومعه ابنه القائم عليه السلام

(١) في النسخ جميعاً : يسحر ... فسحر .

(٢) الحال : سقطت من ح .

(٣) كان الخليفة العباسي آنذاك المكتفي بالله . وعامل مصر عيسى النوشري (وسيأتي شيء من اخباره مع زيادة الله فيما بعد) وكان الرجل الذي اخبر المهدي خبر الكتب الواردة من بغداد ابن المدبر الكاتب (انظر الكامل ٨ : ٣٧ والدرة : ٢٠ والاتعاظ : ٦٠ والخطط ١ : ٣٥٠) .

(٤) ح : بالستر .

(٥) ع ح : ولطف .

(٦) ذكر في بعض المصادر ان النوشري ظفر بالمهدي قبل خروجه من مصر ولكن المهدي انكر هويته وتلطف للنوشري وخوفه الله فيه فاطلقه لما لم يكن متيقناً منه مرتين =

وبعض عبيده ، ومعه أموال في الأحمال^(١) كثيرة ، فابتاع بها بضاعة وجعل الأموال معها في الأحمال^(١) ، وسار في رفقة في زيّ التجار حتى انتهى إلى ناحية الطاحونة^(٢) ، فخرج على الرفقة اللصوص فسلموا كثيراً من أهلها وذهب بعض ما كان [٩٢] للمهدي عليه السلام فيها ، وكان أعظم ما ذهب له كتب كانت فيها علم من علوم الأئمة (صلعم)^(٣) ، فلما خرج القائم بأمر الله تعالى إلى مصر في الغزاة الأولى التي غزاها^(٤) أخذ الذين قطعوا على الرفقة بردّ ما انتهبوا واسترجع الكتب بعينها ، وكان المهدي يقول : لو لم يكن هذه الغزاة الا لردّ هذه الكتب لكان ذلك فتحاً عظيماً . وسرّ باسترجاعها سروراً عجبياً .

وخرج يوم ذلك السلب مع المهدي أبو العباس محمد بن أحمد^(٥) بن زكريا أخو أبي عبد الله . وكان في من قدم مع المهدي عليه السلام . فلما انتهى إلى مدينة طرابلس فرّق من كان معه عنه وأرى الناس أنهم كانوا أصحاباً وتجاراً .

= وقيل : بل اعطاه مالا في السر ليطلقه (انظر صلة عريب : ٢٧ والكامل ٨ : ٣٨ والاستبصار : ٢٠٤ والدرّة : ٢٠ والعبر ٤ : ٣٤ والاتعاظ : ٦٠-٦١ والخطط ١ : ٣٥٠ و ٢ : ١١ : وانظر أيضاً سيرة الحاجب جعفر : ١١٣-١١٤) .

(١) م ع : الاجمال .

(٢) الطاحونة بلدة على الطريق العليا في الصحراء بين الاسكندرية وبرقة . على بعد ١٠٢ ميلاً من الاسكندرية (مسالك ابن خرداذبة : ٨٤ ووصف افريقية : ١٠٣ وانظر ايضاً البلدان : ٩٥) .

(٣) قارن بما في سيرة الحاجب جعفر : ١١٥ والعبر ٤ : ٣٤ .

(٤) كان ذلك سنة ٣٠١ (البيان ١ : ١٧١) .

(٥) ح : محمد بن محمد ؛ م : احمد بن محمد . وكلاهما خطأ والصواب ما جاء في النسخة ع : وانظر ص : ٥٩ من هذه الرسالة وسيرة الحاجب جعفر : ١٢١ .

وقدم أبو العباس إلى القيروان ببعض ما كان معه ، وأمره أن يلحق به إلى كتامة ، وكان قصده إليها ومعه بعض الكتاميين الذين كانوا ينفذون إليه فلما وصل أبو العباس إلى القيروان أصاب الكتب قد سبقت إلى زيادة الله بطلب المهدي وصفته لما أفلتهم من مصر ، فأمر زيادة الله بالسؤال عنه فأخبر بعض من كان في الرفقة معه أنه تخلف بطرابلس ، وذكروا أن أبا العباس من أصحابه ، فأخذ^(١) وقرّر فأنكر وقال : إنما أنا رجل تاجر ، فحبس ؛ واتصل الخبر بالمهدي وهو بطرابلس ، فصادفه رفقة خارجة إلى قسطنطينية^(٢) ، فخرج فيها . وأتى كتاب زيادة الله إلى عامل طرابلس بطلبه وصفته ، وقد كان استعطفه وأهدى إليه فكتب^(٣) بأنه قد خرج من عمله ونفذ إلى ناحية^(٤) [٩٣] قسطنطينية . ووصل المهدي إلى قسطنطينية فوافى بها عيداً ، وكانت في الرفقة التي هو فيها بها رجال من بلدان المغرب والزاب^(٥) وسجلماسة ، وكان قصده إلى أبي عبد الله ، فلما انتهى إليه أن أخا أبي عبد الله قد اعتقل وأنه علم أنه من أصحابه خاف إن قصده إلى أبي عبد الله أن يتحقق

(١) فأخذ : سقطت من ح .

(٢) في سيرة جعفر الحاجب : ١١٦ ان القافلة كانت تريد سجلماسة على طريق قسطنطينية .

(٣) ع ح : وكتب .

(٤) م : جهة .

(٥) الزاب : بلاد بالجزائر تقع على طرف الصحراء في سمت بلاد الجريد وتمتد على نحو ١٢٥ ميلاً من الشرق إلى الغرب وعلى ٣٠-٤٠ ميلاً من الشمال إلى الجنوب ، ويحدها من الشمال هضاب الاطلس الصحراوي وشط الحضنة ومن الجنوب الصحراء ، ومن مدنها المعروفة طينة وبسكرة والمسيلة (انظر « Zab » في *Encyclopaedia of Islam IV, p. 1118* بقلم إيفر ؛ وانظر الاستبصار : ١٧١ ومعجم البلدان ٢ :

ذلك عليه فيقتل^(١) ، فترك القصد إلى أبي عبد الله ، وقصد إلى سجلماسة .
ولما شهد عليه السلام صلاة العيد بقسطيلية دعا بعض عبيده فقال له :
ويحك ان نفسي والله حدثني أنني مطلوب فاذهب إلى مقدم الرفقة فاقرئه
سلامي وقل له : قد قضينا صلاة عيدنا^(٢) ونحن مسافرون وما قطعنا من^(٣)
طريقنا فهو خير ، فان رأيت أن ترحل بنا الساعة فافعل ، وكان إليه محسناً
يصله ويعطيه ، فلما جاء رسول إليه قال : والله ان هذا لشيء يشتد على
الناس ولكني ما أرى مراجعة أبي محمد فيما سأله . فضرب الطبل ورحل .
ورحل الناس ، فلما كان من غد وافى البريد من قبل زيادة الله الى والي^(٤)
قسطيلية بطلبه^(٥) ، فأصابه قد خرج من عمله ، وحماه الله تعالى منهم وصرف
عنه بأسهم لما أرادته عز وجل من تمام أمره وبلوغ الكتاب إلى أجله .

فسار حتى وصل^(٦) إلى سجلماسة . فأقام بها . وكل ذلك تلحظه
العيون في طريقه . وحيثما نزل وفي أي مدينة دخل ، ويقول كل من رآه
ممن له تميز وبصيرة : والله ما هذا تاجر وما هذا إلا سلطان [٩٤] أو ملك
من الملوك . وكذلك كان يقول فيه كثير ممن يراه من أهل سجلماسة . وكان
مما يدل عليه إفضاله على من يصحبه أو يأتيه وما أنزل الله عليه من المهابة
والجلالة^(٧) في عين من رآه .

(١) م : فيقتله .

(٢) م : العيد .

(٣) من : سقطت من ح .

(٤) ح : عامل .

(٥) ح م : يطلبه .

(٦) م : بلغ .

(٧) في م : وما انزل الله من المهابة عليه والجلالة له .

وكان صاحب سجل ماسة يومئذ اليسع بن مدرار ، وكان المهدي يصله ويهدي إليه ويواصله (١) فكان لذلك يوجب حقه وتعظيمه إلى أن أتاه كتاب زيادة الله لما اتصل به مصيره إليه يخبره أنه هو الذي يدعو أبو عبد الله إليه ، فغير ذلك منه عليه ، وسنذكر خبره إذا صرنا إليه إن شاء الله تعالى .

ذكر افتتاح مدينة سطيف

وكان صاحب أمر مدينة سطيف علي بن حفص ، ويعرف (٢) بابن عسلوجة - نسب إلى أمه - وكان من الأبطال المعدودين ، ولم يكن له بالناحية كلها نظير في النجدة والذكر ، وأخوه أبو حبيب مثله أو قريب منه ، وكان في من قام وقعد في أمر أبي عبد الله وأدار الخيلة في أخذه ، وزحف مع أبي حوال مرتين إليه ، وقد ذكرنا خبره ؛ ولم يُبق شيئاً قدر عليه إلاّ استفرغ جهده فيه (٣) .

فلما أخذ أبو عبد الله مدينة ميلة واستقام له أمر من بنواحيها من كتامة جمع جموعه وزحف إلى سطيف ، فنزل عليها بالعساكر ؛ وكان علي بن عسلوجة يواصل كثيراً من رجال كتامة ممن يقرب إليه ، فسار إليه جماعة من وجوههم وحماتهم ، فقاتل أبا عبد الله ، وكان يخرج بهم وبأهل سطيف إليه فيقاتله ويكون منه من البلاء في ذلك ما لم يشاهد (٤) [٩٥] من أحد

(١) ويواصله : سقطت من ع ح .

(٢) م : يعرف .

(٣) م : فيه مجهوده .

(٤) ح : يشهد .

غيره مثله : قيل إنه قتل في يوم واحد ثلاثة عشر فارساً في القتال لا يزيد الواحد منهم على ضربة واحدة ، فقال أبو عبد الله لما شاهد^(١) ذلك منه : هذا الملعون ممن قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَارِينَ ﴾ (الشعراء : ١٣٠) .

وأقام أبو عبد الله على سطيف أربعين يوماً^(٢) وهو يقاتله كذلك خارجاً منها . ثم انصرف أبو عبد الله إلى ايكجان فأقام بها شهراً^(٣) وجمع الأولياء وأوعب في جمعهم وزحف إلى سطيف في عساكر لا يحصى عددها حتى أحاط بها . وخرج إليه علي بن عسلوجة بجمعه فقاتله كما كان يقاتله في المرة الأولى خارجاً من المدينة ، إلى أن غلب عليه واحتصر في الحصن فمات هو وأخوه أبو حبيب جميعاً في أيام قليلة ، فلما ماتا انحلّ أمر سطيف .

وكان في من نزع إليها من الكتامين داود بن حياصة^(٤) اللهيصي ، وكان من فرسان لهيصة وخيارهم ووجوههم ، وكان جميلاً عفيفاً ذهنياً . قال أمره بعد ذلك إلى أن كان داعياً من الدعاء ، فرمّ أمر سطيف وكلمه اخوته وهم مع أبي عبد الله في أن يستأمن فقال : ان كنت استأمن على أمان أهل البلد كلهم فعلت ، فأخبر بذلك أبو عبد الله فأمنه ونزل إليه ، فأخذ الأمان لأهل سطيف منه خلا من استحق القتل عنده ، وانصرف إليهم ففتحوا أبوابها ودخل الأولياء إليها ، وقتل من استحق القتل بها وهدم سورها .

(١) ح : شهد .

(٢) يوماً : سقطت من ح .

(٣) ح : واقام شهراً .

(٤) في العبر ٤ : ٣٥ : ابن جائة .

وكان أهل علي بن عسلوجة دفنوه وأخاه لما ماتا وأخفوا مكانهما^(١) ، ولو
 ظهر عليهما لنُبشا [٩٦] وصلبا لما كان في أنفس الأولياء منهما وما صنعا
 فيهم .

وانصرف أبو عبد الله إلى ايكجان بجميع العساكر واستعمل عاملاً على
 مدينة سطيف .

ذكر إخراج زيادة الله إبراهيم بن حبشي لحرب^(٢) أبي عبد الله إلى بلد كتامة وأمهزامة

ولما اتصل بزيادة الله أخبار أبي عبد الله وظهوره على كتامة واجتماع
 أمرهم له وافتتاحه مدينتي^(٣) ميلة وسطيف ، ونزع إليه من كتامة جماعة
 من خاف على نفسه وممن قُتل وليه فحركوه في ذلك وخوفوه أنه إن لم
 يعاجل أبا عبد الله زاد أمره وجلّ ، فأخذ في الحشود وأوسع في العطاء
 فاجتمعت له عساكر عظيمة ، فقدم عليها إبراهيم بن حبشي^(٤) ، وكان من

(١) في م : وكان أهل علي بن عسلوجة وأخيه دفنوهما لما ماتا وأخفوا مكانهم ...

(٢) ح : إلى .

(٣) م : مدينة ؛ ح : مدينتين .

(٤) في الكامل ٨ : ٤٠ : إبراهيم بن حنيش ، وفي نسخة : حسن ، وفي أخرى : حبش ؛

وفي الاتعاظ : ٦٢ : إبراهيم بن حنيش ، وفي نسخة : جنبش ؛ وفي العبر ٣ : ٣٦٣

إبراهيم بن حبش وفي ٤ : ٣٥ : إبراهيم بن حبش . والاسم عند القاضي النعمان

متفق مع ما في البيان ١ : ١٣٧، ١٣٨ وزاد فيه : التميمي ؛ هذا وقد جاءت عند ابن

عذارى - حوادث سنة ٢٩٢ - تفصيلات لم ترد هنا عن أساليب أبي عبد الله في بث

الشجاعة في نفوس أصحابه وعن معركتهم مع ابن حبشي (البيان ١ : ١٣٨-١٣٩).

أهل بيته إلا أنه لم يكن من أهل الحرب ولا ممن كان له نكاية وكان الغالب عليه اللين ، فأخرج معه العسكر وحصله فبلغ أربعين ألفاً بين فارس وراجل . ولم يكن خرج لبني الاغلب مذ دخلوا افريقية عسكر اكثر منه عدداً ولا قوة ، وأخرج معه أحمالاً كثيرة من الاموال والخلع والسلاح ، ولم يدع أحداً من حماة رجاله ولا ممن نزع إليه من كتامة وأهل الزاب إلا أخرجه في ذلك العسكر ، وأمر ابن حبشي بأن يبذل العطاء لمن يمرّ به من القبائل ، ويستميل وجوههم بالحملان والخلع .

ودبّر أهل المواضع^(١) له بأن يأتي كتامة من غير الموضع الذي أتى منه أبو حوال ، فقصده إلى قسطنطينة^(٢) - وهي مدينة أولية في جبل وعر في طرف من بلد كتامة - [٩٧] فنزل فيها ، فأتاه من كتامة من يليها ، وحارب من قَرُب منها ممن عند عليه فقتلهم ، وتعاضم كتامة أمرهم وكثرتهم وما معهم من العدة . وفي ما بين هذا الموضع الذي نزلوا فيه وبين إيكجان - الموضع الذي به أبو عبد الله - أقل من مرحلتين ، إلا أنه في طرف من كتامة ، فتركه أبو عبد الله ولم يتقدّم إليه ، فأقام ابن حبشي بقسطنطينة ستة أشهر .

(١) ح : الموضع .

(٢) قسطنطينة (Constantine) (ويكتبها في النسخ أحياناً قسطنطينية، وأحياناً يعرفها بأل) : هي أم المدن بالناحية الشرقية الجزائرية اليوم ومركز الإدارة والتجارة والثقافة هنالك ، وتقع على بعد ٨٩ ميلاً إلى الجنوب الغربي من بونة . وهي مبنية على هضبة صخرية يبلغ ارتفاعها ٢١٨١ قدماً في بعض نواحيها ويحيط بها الوادي من جميع جهاتها كالعقد مستديراً حولها (Algeria II, pp. 70 ff. : وانظر صورة الارض : ٩١ ومسالك البكري : ٦٣ وصفة افريقية : ٦٧-٦٨ ومعجم البلدان ٤ : ٣٩٤).

وكان بطبنة^(١) شيب بن أبي الشداد^(٢) مقيماً في عسكره^(٣) فأمره زيادة الله بالمصير إلى ابن حبشي ، فأتاه بعسكره ، فيقال إنه اجتمع له بقسطنطينة نحو المائة ألف بين فارس وراجل ، فلما رأى إحجام أبي عبد الله زحف إليه بالعساكر التي معه كلها حتى انتهى إلى كبونة^(٤) من بلد اجانة ، فأخرج أبو عبد الله خيلاً انتقاها واختارها ليختبر نزول ابن حبشي أين ينزل ويقصد فوافته^(٥) بكبونة ، فلما تراءت له الخيل قصد إليها بنفسه فعل جاهل بالحرب ولم ينزل ولا نزل أحد من أصحابه ، والأثقال على الدواب والجمال ، فنشب القتال وكان القوم الذين لقوه من خيار فرسان كتامة ، فقامت الحرب فيما بينهم فاقتتلوا^(٦) قتالاً شديداً ، وأصحاب ابن حبشي لم ينزلوا ولا لهم معسكر ؛ واتصل أمر القتال بأبي عبد الله فزحف بالعساكر إليهم فوقعت

(١) طبنة (Tobna) (ويتصحف اسمها والنسبة اليه في النسخ أحياناً الى طبنة) - بضم اوله ثم السكون ونون مفتوحة - : مدينة كانت من اكبر مدن الزاب في الجزائر وقد اندثرت الآن وتقع خرائبها على بعد ثلاثة اميال جنوبي بركة شرقي شط الحضنة بين وادي بركة في الشمال ووادي بيثم في الجنوب (انظر «Tobna» في Encyclopaedia of Islam IV, p. 805 بقلم إيغر ؛ وانظر في وصفها : البلدان : ١٠٢ وصوره الارض : ٨٥ ومسالك البكري : ٥٠ والاستبصار : ١٧٢ ووصف افريقية : ٦٦، ٦٥ ومعجم البلدان ٤ : ٢١).

(٢) في البيان ١ : ١٣٨، ١٤٠ : ابن ابي شداد القمودي .

(٣) م : العسكر .

(٤) كذا كتبها حيثما وردت في نسختي ح ع ، وكتبها في م بالباء تارة وتارة بالياء ، وقد قرأها الأستاذ طالبي كيونة - بالياء - (L'Emirat Aghlabide, p. 648) وفي الكامل ٨ : ٤٠ : كرمة ؛ وفي البيان ١ : ١٣٨ : كيونة ، وفي نسخة : كيونة .

(٥) م : فوافوه .

(٦) م : فيما بين الفريقين واقتتلوا ...

الهزيمة على ابن حبشي وأصحابه وعُقر برذونه وجرح فلم ينجح إلا جواده^(١) ،
 واستوت الهزيمة وأسلموا جميع [٩٨] الأثقال والأموال وأخذوا طريق
 باغاية ، وطلبهم^(٢) الأولياء يومهم ذلك أجمع ومن غد يقتلون فيهم^(٣)
 ويغنمون أموالهم ، وقتل منهم ما لا يحصيه إلا الله تعالى وحده وغنم من
 أموالهم ما لا يحصى عدداً من أحمال الأموال والحلج والسلاح^(٤) والكراع
 سائر الناس .

ووصل ابن حبشي بمن نجا معه إلى باغاية وكتب إلى زيادة الله كتاباً
 بخطه يقول فيه : « كتبت إلى الأمير - أطال الله بقاءه - من مدينة باغاية
 وقد انهزم العسكر المنصور فلم ينج منه^(٥) إلا شزيمة يسيرة ، وذهب كل
 ما كان معه من الأموال والسلاح^(٦) وغير ذلك ، وقتل أكثر أهل العسكر
 المنصور » ، وجعل يخبر في كتابه بما كان من أمره ، فاذا ذكر العسكر قال :
 العسكر المنصور ، فكان ذلك مما رأى من ضعفه وسخفه . ثم لم ينتظر جواب
 زيادة الله أن يأتيه فانصرف إلى افريقية في بقية من بقي معه من أهلها ورجع
 كل من كان سلم إلى موضعه وانصرف شيب بمن بقي معه إلى طبنة . فاضطربت
 افريقية واستهال أهلها أمر أبي عبد الله ، وأخبرهم من وصل من الفل بما
 عاينوه ونالهم .

(١) ع ح : جودته ؛ ح : جوده .

(٢) ع ح : وطلبهم .

(٣) ع ح : منهم .

(٤) والسلاح : سقطت من ح .

(٥) ع ح : منهم .

(٦) ع ح : وذهب كل ما كان من المال معي والسلاح .

وكتب أبو عبد الله إلى سجلماسة إلى المهدي (صلعم) بما وهبه الله من ذلك الفتح وما غنمه من الأموال والغنائم وأرسل إليه ببعض ذلك مع رجال^(١) من قبله من كتامة^(٢) ، وكان أول فتح قدم على المهدي وكان ببركته وبركة أيام هجرته ، فسرّه ذلك^(٣) وحمد الله عليه .

ذكر افتتاح مدينة طبنة^(٤)

ثم إن أبا عبد الله [٩٩] نادى في الناس فاجتمعوا إليه - وكذلك كان حشده إنما هو بالنداء - فرحف بجمع عظيم إلى مدينة طبنة ، وقد كان قبل ذلك طرقها بعسكر بعد عسكر ، فانتهى إليها بجميع العساكر فأحاط بها من كل جهة ، ونظر من بها إلى أمر لا قوام لهم به ولا طاقة بالخروج إليه فاحتصروا ؛ وكان العامل عليها يومئذ حسن بن أحمد بن نافذ^(٥) المعروف

ع

(١) ع ح : رجاله .

(٢) ع : مع الكتامين ؛ ح : من الكتامين ؛ وقارن بما في الاتعاظ : ٦٢ والخطط ١ : ٣٥٠ ؛ وقال ابن عذاري في البيان ١ : ١٣٩ ان ابا عبد الله ارسل الى المهدي « بمال كثير » مع رسوله .

(٣) م : فسرّ بذلك .

(٤) يقول ابن عذاري ان طبنة أفتحت سنة ٢٩٣ ودخلها ابو عبد الله في آخر ذي الحجة من السنة (البيان ١ : ١٤١) ؛ وقد اورد ابن عذاري عن فتحها تفصيلات لم ترد هنا ؛ وقد اغفل القاضي النعمان ذكر الجيش الذي وجهه زيادة الله الى طبنة في السنة التالية في المحرم وكان على رأسه ابراهيم بن حبشي بن عمر ، وقد أشار اليه ابن عذاري ولم يذكر شيئاً من امره .

(٥) كذا ايضاً في البيان ١ : ١٤٠ ، وفي نسخة م من الافتتاح : نافز ، وعند النويري ان اسمه الحسن بن ناقد (المكتبة الصقلية : ٤٥٠) ؛ وقد ترجم له ابن البار في الحلة ٢ : ٣٨٦ باسم ابي المقارع ابن احمد بن نافذ ، وكلامه متابع نصاً تقريباً لنص الافتتاح من =

بأبي المقارع ، وبها شيب بن أبي الشداد^(١) المعروف بشيب الصغير على أئنة
العسكر الذي كان بها ، وفتح بن يحيى على عسكر جمعه من أهل بيته ومن
قبائل جميع البربر ، وقد كان جرحَ جائفة فأوهنته ، وبها على الخبر محمد
ابن قرهب ، وعلى العطاء يحيى بن القسري^(٢) فاحتصروا في المدينة وعلتوا
السور يقاتلون عنها ، فزحف إليهم الأولياء من كل جانب وقدموا إليهم
دبابة^(٣) ، فثقبوا برجاً من أبرجة السور فسقط ، وحمل الأولياء عليه فهرب
جميع العسكر والمقاتلة والمقدمين ، فدخلوا حصناً أولياً مبنياً بالحجارة مبنياً
في داخل المدينة ، واحتوى الأولياء على المدينة ، وعامتها تجار ، فأمنهم
أبو عبد الله ولم يصل إليهم إلا ما شغلت فيه العسكر .

واحتصر الذين صاروا إلى الحصن فيه وعلوه ونصبوا القتل عليه . وأمر
أبو المقارع بمنجنيق كان فيه أن يرفع عليه ، فلما رفع وأرادوا أن يرموا
به انكسر سهمه ، فنظروا إلى ما يصلحونه به فلم يجدوه ، فسلخوا جلد [١٠٠]
دابة ماتت لهم وقدوا منه قدماً وربطوا به السهم . ثم ذهبوا ليرموا به
فانكسرت خنزيرته فقال أبو المقارع : دعوه فهذا أمر الله الذي لا يدفع .
فقال له شيب صاحب العسكر : ما الحيلة يا أبا القاسم ؟ قال له أبو المقارع :

= حين طلب أبي المقارع الامان الى حين مقابلته لابي عبد الله فمرافقته اياه الى افریقیة .
وقد اضطرب النص في نسخة الحلة في عدة مواضع من هذه الترجمة فاصبح بالامكان
سد الثغرات فيها وتصحيح بعض المواطن منها من نص الافتتاح .

(١) يكتبه في ع باسقاط ال التعريف .

(٢) ع : القسر ؛ ح : اليسرى .

(٣) الدبابة : آلة تتخذ من جلود وخشب يدخل فيها الرجال ثم تدفع في اصل حصن
فينقبون وهم في جوفها ، سميت بذلك لانها تدفع فتدب (اللسان) . وجاء في هامش
ع : الدبابة آلة للحرب تدفع في اصل الحصن ... (ثم طمس) .

ذكر افتتاح بلزمة (١)

وكان أبو عبد الله قد خرج إلى بلزمة وأخرج إليها عساكره مرة بعد أخرى ، كل ذلك يقاتلونه ويدفعونه ، وكان يخرج إليهم العساكر في أوان زراعتهم (٢) فتأتي عليها ، فعل ذلك بهم ثلاث سنين حتى انقطع الطعام من أيديهم ، ثم زحف (٣) إليهم فحاصروهم ، ومات حي بن تميم محصوراً ، وأبلس (٤) أهل بلزمة ؛ وكان فيهم رجل من أهل مجانة (٥) يعرف بأبي عبد الله له لسان ، وكان يحملهم على العناد والاصرار ويصنع لهم المجانيق والعرادات (٦) وآلات الحروب ، فلما طال عليهم ذلك نزل إلى أبي عبد الله فقال له : ما حملك على ما صنعت ؟ فجعل يحتج عليه ، فأمر أبو عبد الله بقتله فقتل ، وهذه سبيل المعاند المحتج في الحرب والسيرة فيه ، فلو لم يجب قتال المشركين وأهل البغي حتى يحتج عليهم وتقوم الحجة للمحتج لم يكن قتال أبداً ، ولم يكن أيضاً يجب أن يقاتلوا ويقتلوا حتى يحتج عليهم واحداً واحداً ،

(١) افتتحت بلزمة سنة ٢٩٣ ودخلها أبو عبد الله في آخر ذي الحجة من السنة (البيان ١ : ١٤١) .

(٢) ع م : زرعتهم .

(٣) ع ح : وزحف .

(٤) ح : ويشس .

(٥) مجانة - بالفتح وتشديد الجيم وبعد الالف نون - مدينة قديمة بتونس تقع على بعد مرحلة واحدة من مرماجنة وعلى بعد اربع - وقيل خمس - مراحل من القيروان ؛ وقد افتتحها بسر بن ارطاة (انظر البلدان : ١٠١ وصورة الارض : ٨٤ ومسالك البكري : ١٤٥ والاستبصار : ١٦١ ووصف افريقية : ٨٧، ٨٨ ومعجم البلدان ٥ : ٥٦) .

(٦) العرادة شبه المنجنيق صغيرة (اللسان) .

ولكن السيرة أن يُدعوا ويناشدوا إن لم تكن الدعوة بلغتهم ، فان أجابوا وإلا قوتلوا .

وقاتل أهل بلزمة قتالاً شديداً ودافعوا مدافعة عظيمة ونصب أبو عبد الله عليهم الدبابات والأبرجة فأحرقوها ولم يصل إليهم إلا من^(١) شدة الجهد وغلبة الجوع عليهم ، فانه أقام عليهم حتى نفذ ما كان بأيديهم وأكلوا كل ما عندهم [١٠٣] من الحيوان ثم أكلوا جلودها ، ثم لما نفذ ذلك كله عادوا إلى درقهم فكانوا يقطعونها ويبلونها ويطبخونها ويأكلونها إلى أن غلب عليهم الجوع فاستأسروا . وافتتحها أبو عبد الله عنوة فقتل من بقي^(٢) بها من المقاتلة ولم يعرض لامرأة حرة وغنم العسكر ما وجدوا بها من الأثاث والأمتعة وغير ذلك ، وأمر أبو عبد الله بهدم سورها فهدم ، وانصرف إلى ايكجان .

ذكر وقعة دار ملول^(٣)

واتصلت بزيادة الله الأخبار بأخذ أبي عبد الله طبنة وبلزمة فعظم ذلك عليه وأخذ في حشد الناس وبذل الأموال ، فاجتمع له عسكر حصَّله عند العطاء فبلغ^(٤) اثني عشر ألفاً بين فارس وراجل ، فأوسع عليهم العطاء وحمل وكسا وجوههم وقوادهم وأمر عليهم هرون بن الطيبي^(٥) . وكان أخوه

(١) م : ع : عن .

(٢) بقي : سقطت من ح .

(٣) سقط العنوان من م .

(٤) م : عساكر حصلها ... فبلغت .

(٥) كذا ايضاً في الكامل ٨ : ٤١ وفي ع : هرون بن طيبي : م : هرون الطيبي كما في

العبر ٤ : ٣٥ واحدى نسخ الاتعاظ . وفي نص الاتعاظ : الطيبي (انظر ص : ٦٢) .

زيادة الله عامله^(١) على باغاية ، فأنفذه إليه وأمره بضبطها ، فوصل إليها وأقام بها ، وبعث معه زيادة الله بأحمال الأموال والخلع^(٢) ، وأمره بالعطاء لمن أتاه من القبائل ، فتسامع الناس به فأتوه فأعطاهم وأجزل لهم العطاء ، فاجتمعت له بباغاية عساكر كثيرة .

واتصل به أن أهل دار ملول^(٣) قد دخلوا في طاعة أبي عبد الله فخرج إليهم بجميع من كان معه فقتلهم وهدم حصنهم وانصرف ، فلما صار بفحص الرماح أشرف غزوية من جبل بلزمة ، وكان أبو عبد الله قد بعثه في ألف فارس إلى [١٠٤] ناحية بلزمة لما اتصلت به أخبار هرون بباغاية ، ولم يكن عند غزوية وأصحابه علمٌ من خروج هرون إلى دار ملول ، فلما رأوا العساكر^(٤) في فحص الرماح وقفوا وصفوا على الخيل ، ونظر إليهم هرون وأصحابه . فوقعت فيهم نفرة وتصايحوا : الجبل الجبل - يعنون أوراس^(٥) - نجعله خلف ظهورنا ، فان كان علينا أمرٌ تحصنا به وان كان لنا

(١) ع م : عاملاً له .

(٢) ع م : وخلق .

(٣) انظر في دار ملول : صورة الارض : ٨٥،٦٧ واحسن التقاسيم : ٢١٨ ووصف افريقية : ٦٦ .

(٤) م : العسكر .

(٥) اوراس : جبال في جنوب شرق الجزائر من جبال الاطلس الصحراوي كانت تسكنه قبائل هواره ومكناسة الذين كانوا يرون رأي الأباضية ، قال الادريسي : وهو كاللام منحني الاطراف وطوله نحو من ١٢ يوماً ومياهه كثيرة وعماراته متصلة وفي اهله نخوة وتسلط على من جاورهم من الناس (انظر تاريخ الجزائر لاحمد توفيق المدني : ١٦٣، ١٦٥ و « Awras » في Encyclopaedia of Islam I, p. 518 ، وانظر صورة الارض : ٨٤ ومسالك البكري : ٥٠ ، ١٤٤ ووصف افريقية : ٦٦، ٧٤-٧٥ ومعجم البلدان ١ : ٢٧٨) .

اتبعنا العدو بطول الفحص ؛ فما هو إلا أن عطفوا يريدون الجبل إذ صاح فيهم صائح : البلد البلد ، فقصد كل قوم إلى جهة بلدهم ، ونظر غزوية وأصحابه إلى الغبرة قد قامت ، والعسكر قد افرق ، فنشروا عليهم وهم خيل جريدة^(١) فما يحصى ما قُتل^(٢) منهم ، وقتل هرون صاحب العسكر وغنموا جميع ما كان معه ، وانصرفوا إلى أبي عبد الله بفتح لم ير مثله ، ومن الغنائم والأموال ما لا يحصى عدده ، ولم يصل إلى باغاية من أهل افريقية إلا أقلهم ، وقتل أكثرهم ، ولحق من كان من أهل القبائل بقبائلهم . وكتب زيادة الله عامل باغاية إلى زيادة الله بذلك وبقتل أخيه . فجاءه من ذلك غم عظيم .

ذكر افتتاح مدينة تيجس

وكان قد صار إلى أبي عبد الله جماعة من هوارة^(٣) ورأس الفحصين^(٤) من بني معاد^(٥) . وكان فيهم تشيع قديم ، كان منهم اسماعيل بن نصر المعادي^(٦) ولحق بالحلواني وأخذ عن أصحابه وأتى إلى أبي [١٠٥] عبد الله ودعا هو وجماعة من أهل بيته ، وجاء من أهل تلك الناحية جماعة إلى أبي عبد الله . وكان

(١) م : مجرد .

(٢) م : قتلوا .

(٣) في النسخ جميعاً : هوارة - بالمعجمة - حيثما وردت . وهوارة قبيلة كبيرة من البربر البتر (العبر ٦ : ١١٤ ، ١٣٩) .

(٤) ح : ورأس الفحصيني .

(٥) م ع : المعار ؛ وبنو معاد قوم من كتامة ينتسبون إلى معاد بن غرس بن كتم (العبر ٦ : ١٤٨ والترجمة الفرنسية ١ : ٢٩٢) .

(٦) في النسخ جميعاً : المعاري .

فيهم حمزة المزني^(١) وكان^(٢) فارساً جلدأً جسوراً ، فاجتمع مع قوم من أصحابه فأداروا^(٣) بينهم رأياً أن يخرجوا في جريدة خيل يغيرون على نواحي بلدهم حيث يعرفون ، واستأذن حمزة في ذلك أبا عبد الله فأذن له ، فأحجم عنه أصحابه وبدأ لهم ما عقدوا عليه معه وخافوا ، فمضى حمزة وحده مع غلام له متسللين ، فوافيا بفتح العرعار رفقة قدمت من القيروان إلى باغاية وفيها فرائق معه كتب^(٤) من زيادة الله ليلاً ، فهجما فيها وقتلا جماعة من أهلها وأخذوا ما أصابا مع من قتلاه من المال وما قدرا عليه من المتاع ، وقتل الفرائق في من قتلا وأخذوا^(٥) كتبه ، وقدموا على أبي عبد الله فسره ذلك ، وكان سروره بالكتب وعلم ما فيها أكثر . فلما نظر إلى ذلك أصحابه الذين كانوا تخلفوا عنه تسارعوا في ذلك ، فكانوا يضربون على نواحي باغاية إلى تيجس^(٦) .

وكان لزيادة الله بتيجس رابطة خمسمائة فارس مع عبد من عبيده

٤

(١) في هامش ع : اللزي .

(٢) ح : وكان فيهم .

(٣) م : واداروا .

(٤) ح : كيف ، وهو تصحيف .

(٥) ح : واخذ .

(٦) تيجس : مدينة قديمة بالجزائر من عمل باغاية ، بينها وبين بونة الساحلية ثلاث مراحل وبينها وبين باغاية ثلاث مراحل ايضاً (انظر البلدان : ١٠٢ و صورة الأرض : ٨٤ ، ٨٧ ومسالك البكري : ٥٣ ، ٦٣ و وصف افريقية : ٨٧) ، ويقول الاستاذان ديسل وتيسو ان نتائج الحفريات التي أجريت سنة ١٨٧٨ تبين ان تيجس هي موضع عين البرج اليوم ؛ وتقع عين البرج على البحيرة الطويلة ، على بعد ١٦ كيلومتراً من برج ابن زكري (Sigus) (انظر : L'Emirat Aghlabide, p. 664, n. 2 نقلاً عن : La Province Romaine d'Afrique II, و L'Afrique Byzantine I p. 219 .(pp. 420-422

يقال له « يحفور » ، وكان ابن ركاب رئيسها قد سأل ذلك فأعطيه ، فلما رأى ورأى أهل تيجس أن الغارات صارت^(١) تجاوز بلادهم وتضرب في نواحيهم وأن المدائن كلها التي تليها قد افتتحت خافوا على نفوسهم ، فكاتب ابن ركاب ابا عبد الله وسأله لإخراج عسكر إليه ليجد^(٢) السبيل به من أجل الرابطة التي عندهم ، فأنفذ إليه أبو عبد الله عسكراً قدّم عليه مكنداس^(٣) الجيمي ، فنزل عليهم فلم [١٠٦] تجسر خيل الرابطة^(٤) ان تخرج إليهم واحتصنوا^(٥) في الحصن وهو منيع ولم يمكن ابن ركاب فيهم شيء ، فأقام مكنداس أياماً وانصرف . ثم أرسل أبو عبد الله عسكراً ثانياً وقدم عليه يوسف بن سكلة^(٦) الغشمي فنزل على تيجس فحاصرها فصالحه أهلها على أن يدع العرض للرابطة التي عندهم وقالوا : هم أضيافنا ولا يمكننا أن نخيس بهم ، فأجابهم يوسف على ذلك ، وخرجت خيل الرابطة بجميع ما لها فنفذت إلى زيادة الله ، لم يتعرض لأحد^(٧) منهم في قليل ولا كثير ، ودخل الأولياء تيجس صلحاً فلم يعرضوا لأحد من أهلها بمكروه وانصرفوا ، ومضى إلى أبي عبد الله ابن ركاب وجماعة من وجوهها فدخلوا الدعوة وانصرفوا إلى بلادهم .

(١) ح : صدرت .

(٢) ح : يجد .

(٣) كذا في م دائماً ، وفي ح ع : مكنداس . وقراه الاستاذ طالي : مكنداس (L'Emirat Aghlabide, p. 664) .

(٤) ح : الرباطة .

(٥) ع : فاحتصروا ؛ ح : فاخترروا .

(٦) ح : ابن سكلب .

(٧) ح : احد .

ووصلت خيل الرابطة إلى زيادة الله وأخبروا بما كان من خبرهم وبما
 وفي لهم من الأمان ، وشاع ذلك في أهل افريقية وقد كان تشنع عندهم على
 أبي عبدالله وأصحابه الغدر^(١) والقتل وانهم يؤمنون الناس ثم يقتلونهم ويعطونهم
 العهود ثم يخفرونهم^(٢) ولا يفون^(٣) ، فأكذّب ما كان من فعلهم في الرابطة
 الذين كانوا بتيجس ما شنع من ذلك عليهم ، وأخبروا بذلك من أذاعه^(٤)
 فكانت من ذلك عن أبي عبدالله وأصحابه عند العامة بافريقية أخبار صالحة
 وسكنت أنفسهم إليهم [١٠٧] ومالت نحوهم قلوبهم بعد أن كانت القلوب
 منهم نافرة لما كانوا يصفون عنهم . واضطربت^(٥) افريقية وكثر خوض
 الناس بها ، وتوقعوا قدوم أبي عبدالله إليهم .

ذكر كتاب زيادة الله إلى البلدان بتسكينها وتهديتها

ما اتصل به أنه استفاض من الرعب فيها

ولما اتصلت الأخبار بزيادة الله عن البلدان بنواحي افريقية وما خامر
 أهلها من الخوف ووقع فيهم من الارجاج ، وخاف أن يفتق عليه من
 ذلك فتق ، أمر بكتاب فكتب نسخاً وبعث إلى^(٦) كل ناحية من نواحي
 افريقية بنسخة منها وأمر أن يقرأ^(٧) على المنابر ليهدىء به الناس . وكانت نسخته :

(١) ح : الغرور .

(٢) م : يخفرونهم .

(٣) ولا يفون : سقطت من ع ح .

(٤) ح : من اذاعوه .

(٥) م : فاضطربت .

(٦) م : في .

(٧) ع ح : تقرأ .

بسم الله الرحمن الرحيم ، من الأمير زيادة الله بن عبد الله ، الناصر لدين الله ، القائم بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله ، المجاهد لاعداء الله ، إلى جماعة المسلمين بمدينة كذا وبواديها : سلام عليكم ؛ فإن الأمير يحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله . أما بعد ، فإن الله تبارك وتعالى اسمه وعز جلاله إله قد تكفل بالفتح والإعزاز لأهل دينه والذابطين عن سنة رسوله على من ناوأهم والتمكين ممن انتصب لهم وعاداهم ممن شاقه ونصب له وبدل دينه وغير سنن أنبيائه ؛ وقد انتهى إليكم^(١) معشر المسلمين عن هذا الكافر الصنعاني المبدل لدين الله ، المحرف لكتابه ، المستحل [١٠٨] دماء المسلمين بغير حقها ، المبيح للفروج بخلاف حلها ، مرتكباً للمحارم فيها . الأكل أموالهم ، مستلباً لها ، ما قد عرفتموه فيما انتهى إليكم عنه . فانه أوى إلى كتامة برابر^(٢) اغتنام . وجهال طعام . فاستزلمهم واستهواهم واستغواهم ، فدعاهم إلى تبديل دين الله فأجابوه . وتحريف سنة رسول الله^(٣) صلى الله عليه وآله فأطاعوه ، لجهلهم بالدين والسنة . وما أراد الله عز وجل بهم من الشقوة والمحنة . ولأنهم بمنزلة الحمر^(٤) النافرة والأنعام السائمة ، فما زخرّف لهم قبلوه ، وما زين^(٥) لهم اتبعوه . وكل من كانت له^(٦) منهم مسكة^(٧) . أو علم شيئاً من الكتاب والسنة ، لم يجد غير الهرب

(١) اليكم : سقطت من ح .

(٢) م : بربر .

(٣) ع ح : رسوله .

(٤) ح : الحمر . وهو خطأ .

(٥) ع ح : زينته .

(٦) ح : لهم .

(٧) في هامش ع : اي العقل .

إلينا منه بدينه ، والمقام على حربه ، منتجزاً وعد الله في هلاكه وقطع شأفته ، كعادته في أمثاله . ومن أسير ما ظهر من كفره ، وانتشر من قبيح انتحاله وأمره ، وفشا عنه وعرف وأطبق عليه من اتبعه ، إظهاراً لعنة أبي بكر وعمر صاحبي رسول الله صلى الله عليه وآله وصهره وخليفته وضجيعيه ، وعثمان ذي النورين زوج ابنتيه ، وطلحة والزبير حواريه ، وجماعة من أخيار صحابته رحمة الله عليهم ، ويزعم أن علياً رحمة الله عليه كان يرى ذلك فيهم ، ويذهب إليه من أمرهم ، وقد برأه الله من ذلك بحسن الصحابة لهم ، وجميل العشرة أيام حياته وحياتهم ، واتفاقه معهم على ما أرضى الله عنهم ، ثم زعم الفاسق أن من لم يدن بذلك ويره ويقله^(١) ويعتقده ويتبرأ [١٠٩] من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السابقين فهو خارج من جملة المسلمين ، حلال^٢ دمه وماله وسبي ذراريه . ثم شرع شريعة غير شريعة الاسلام ، واستنّ سنة غير سنة محمد صلى الله عليه وآله كتبها وأسرّ أمرها وأخذ العهود والمواثيق على من عُطلعه عليها في كتمانها وترك التفوه بها وما يدل عليها لئلا تظهر إلى المسلمين فيستحلوا دماءهم^(٣) عليها . وافترض الله على كل امرئ دخل في أمره^(٤) ديناراً سمّاه «دينار الهجرة» ودرهماً زعم أنه درهم الفطرة ، وجعل لنفسه حقاً واجباً في أموال الأمة ، وهدم المساجد وقطع الصلاة واستخف بحرمة الدين وبان من جماعة المسلمين . وقد رأى الأمير زيادة الله بن عبد الله - رغبة في ثواب الله ربه - جهاد هذا^(٤) الفاسق بنفسه ، والقصد إليه بحماة رجاله وأنصار دولته ، وانتهاز

(١) ح : ويقوله .

(٢) ح ع : جهادهم .

(٣) امره : سقطت من م .

(٤) هذا : سقطت من ع ح .

الفرصة فيه قبل أن يسبق إليه ؛ فقد انتهى إلى الامير أن أمير المؤمنين المكتفي بالله ، أطال الله بقاءه ، لما انتهى إليه خبره أمر بإخراج العساكر إليه من قبله مادةً للأمير زيادةً الله بن عبد الله وتقويةً له ، والامير يرجو أن يظفره الله بالفاسق من دون ذلك ويجعل له سبباً للظفر به وفخره وثوابه ، ويجعل ذلك ما سره ويجمع ذكره مع فخره لأمر المؤمنين بحسن نيته ، والامير زيادةً الله بن عبد الله سهم من سهامه ، وشهاب من شهبه ، وما أظهره الله عز وجل عليه وأظفره به فهو منسوب إلى أمير المؤمنين [١١٠] وسبب من سببه . وقد انتهى إلى الامير ما انتشر قبلكم وفشا فيكم من الأشايع من ^(١) أقوال المرجفين وزخارف المشنعين وتهويل المهولين أمر اللعين الفاسق لما بلغهم انصراف الجيوش عنه وتغلبه على ما دنا وقرب منه ، وزاد في ذلك المرجف والمهول ، وشنع به الكذوب المبطل ، ولم يكن أكثر ما قالوه ولا بعض ما أرجفوا به وهولوه . ولا بد في الحروب من الكرات والاقدام . والهزائم والإحجام ، فقد قيل : الحرب سجال ، مرة لك ومرة عليك ، وقد انهزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير مشهد ، وأحجموا في غير موقف ، ثم كان العاقبة للمؤمنين كما وعدهم الله عز وجل في كتابه المبين . فليحسن بالله ظنكم ، ويطمئن بما وعدكم قلوبكم ، وليظهر من قلة اكثرائكم بأمر هذا الفاسق ما يكون دليلاً على ثقنتكم بربكم ، وانفروا إليه خفافاً وثقالاً كما أمركم الله ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم كما افترض الله عليكم ^(٢) ، وادفعوا عن اباحة مهجكم وانتهاك حريمكم . وأن لا تفتنوا في دينكم ، وكافحوا عنه من بدّله ، وتبرأوا ممن أحدث فيه وغيره ،

(١) ع ح : عن .

(٢) ع ح : كما افترض عليكم .

وفَقَّكُمْ اللهُ لما يحبه وما يرضاه^(١) ويزدلف به إليه ، والسلام عليكم ورحمة
الله وبركاته .

فقرئت هذه النسخة على منبر القيروان وقرئت في سائر البلدان ، فما
زاد الناس ذلك إلاَّ خوفاً وإرجافاً وتهاوناً بأمره واستخفافاً ، وجعلوا يذكرون
أحواله ويعددون [١١١] أفعاله وسفكه دم أبيه وإخوته وعمومته وارتكابه
المحارم وشربه الخمر واشتغاله باللهو والمعازف ، ويذكرون ويتفاوضون
فيما ينتهي إليهم ويتصل بهم عن أبي عبد الله وأصحابه من الورع والدين
والعفاف والأمانة والصيانة وإقبالهم على الصلاة والصيام وانتهائهم عن المحارم
وتخرجهم من المآثم ، فعاد ما شنعته عن أبي عبد الله وأصحابه منسوباً إليه ،
وما عدده عليهم معدداً عليه . واتصل ذلك به وأن الناس قد علموا أن ذلك
تمويه منه ومخرقة أراد بها قطع ما قيل فيه ، فعظم ذلك عليه واستعمل رسولاً
أظهر أنه جاء إليه من بغداد بخلع وأعلام وبسيوف وبدروع وبكتاب^(٢)
كتبه نسخاً وفرقها فقرئت أيضاً على المنابر . وكانت نسخة الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله أبي محمد الامام المكتفي بالله أمير
المؤمنين إلى أهل افريقية من المسلمين : سلام عليكم ؛ فإن أمير المؤمنين
يحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله
صلى الله عليه وعلى آله ؛ أما بعد ، فإن الله جعل الاسلام محجة هادية إلى
مرضاته ، وجنة واقية عن سخطه وغضبه^(٣) ، وعصمة^(٤) لمن لجأ إليه ،

(١) م : لما يحبه ويرضيه ؛ ح : لما يجب ويرضيه .

(٢) قارن بما في البيان ١ : ١٤٠—حوادث سنة ٢٩٣—حيث يقول ان الكتاب وصل فعلاً
من المكتفي .

(٣) وغضبه : سقطت من م ح .

(٤) ع : ومثابة ؛ ح : وعصمة ومثابة .

ووسيلة إلى النجاة لديه ، وجعل المسلمين إخوة أُلّف بين قلوبهم ، وأوجب
 التراقد والتعاون عليهم ، وجعل من فارق جماعتهم ، وخرج عن جملتهم ،
 ومرق عن ملتهم ، واختار غير دينهم ، منقطع [١١٢] العصمة ، برياً
 من الذمة ، مبدلاً بالكفر النعمة^(١) ، وألزمهم أن يكونوا يداً على من سواهم ،
 واعداء لمن عاداهم ، وإلباً على من بغاهم ، وحرباً لمن ناواهم ، وسلماً
 لمن والاهم^(٢) ، يجتمع على ذلك ألسنتهم وأهواؤهم ، ويتفق فيه أيديهم
 وآراؤهم ، حتى يكون عدو الله عدوهم المقصود بكيدهم ، المقهور بأيديهم ،
 المكبوب بتظاهرهم ، المغلوب بتوازرهم ، ولا يجدوا وليجة بينهم ، ولا
 سبيلاً إلى المخالفة بين قلوبهم ، فمن فعل ذلك فقد سلك الطريقة المثلى ،
 وتمسك بالعروة الوثقى ، واستحق خير الآخرة والأولى ، وجرى مع طاعة الله
 عز وجل وأمره ، ومن جانبه مخالفاً له ، حائداً^(٣) عنه ، ناكباً عن سبيله ،
 أوتغ^(٤) دينه ، وخان أمانته ، وختر عهده ، وباء بغضب من ربه ، وكان
 الحاطب على ظهره ، والجاني على نفسه ؛ يقول الله جل ذكره ﴿ لا تجد قوماً
 يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم
 أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾ (المجادلة : ٢٢) والله يؤيد من
 أحب بارشاده وبتوفيقه ، ويكل من برىء منه إلى نفسه واختياره ﴿ ومن
 يُضِلِّ اللهُ فما له من هادٍ ومن يَهْدِ اللهُ فما له من مُضِلٍّ أليس الله
 بعزير ذي انتقام ﴾ (الزمر : ٣٦ ، ٣٧) . وانتهى إلى أمير المؤمنين خير

(١) م : متبدلاً بالكفر والنعمة ؛ ع : متبدلاً بالكفر النعمة .

(٢) وسلماً لمن والاهم : سقطت من م .

(٣) م : عائداً .

(٤) الوتغ : الهلاك في الدنيا والدين .

عدو الله الخارجي الناجم بأطراف نواحي المغرب واستهوائه من استهواه من أشياع الضلال ، وأوباش الجهال ، والموضعين [١١٣] في الفتن ، وما هم معتقدوه من خلع ربقة الاسلام ، وتدرع جلباب الكفر ، وإظهار الشقاق والنفاق ، والمروق عن الدين والملة ، وبسط الايدي بالعظائم وسفك الدماء ، وانتهاك المحارم وارتكاب المآثم ، ما قد فشا من الفساد في ذلك الصقع بهم ، ووصل إلى أهله من معرفتهم ، وأن زيادة الله بن عبد الله أنفذ إليهم الجيوش عدة دفعات ، وأن هؤلاء الكفرة مقيمون على مناوآته والطمع في نواحيه ، مغترون بالمهلة التي جعلها الله حجة عليهم ، وأملى لهم ليزدادوا اثماً إلى آثمهم ، وليحملوا أوزارهم وأوزاراً مع أوزارهم ؛ وليس يخفى على أهل الحزم والرأي والنظر والتميز موقع الطاعة ومقدار فضلها وما تعود به على أهلها من صلاح الدين والدنيا ، والبدء والعقبى ، إذ كان الله جلّ ثناؤه قد جعل طاعة سلطانه وخلفائه في أرضه معقودة بطاعته وطاعة رسوله وفرضها على المؤمنين من عباده^(١) فقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم ﴾ (النساء : ٥٩) فالسعيد الوافر حظاً ، الرشيد أمراً ، الفائز يوماً ، من تمسك بحبلها ، وأوى إلى ظلها ، والشقي الخاسر ، ذو الجلد العائر ، من عند عنها ، وابتغى غير سبيلها ؛ وقد علمتم حال زيادة الله بن عبد الله من الموالاتة والابحلاص والمشايعة لأمير المؤمنين ، والانتهاج بسبيله ، والافتقار لأثره ، والعمل بعهده ، والوقوف عند أمره ، وحسن السيرة ، والرفق [١١٤] بالرعية ، وإقامة المعدلة^(٢) ، والذب عن الثغور التي هو بسبيلها ، ومقارعة المتطرقين لها ، والراغبين^(٣) بها ، والمحاولين

(١) من عباده : سقط من م .

(٢) ح : واقام المعدلة ؛ م : وافاضة العدل .

(٣) ع م : والباغين .

انتهاز الفرص فيها ، وما درج عليه سلفه من ذلك واحداً بعد واحد ، وان من كان مذهبه مذهب زيادة الله كانت وسيلته الوكيدة وقربته القريبة عند أمير المؤمنين ، وكان حقيقاً بالاجتباء له والاحسان إليه والسكون إلى ناحيته ؛ وأمير المؤمنين مرتضٍ لأمره ، حامدٌ لطريقته ، واثقٌ بمناصحته . معتمد عليه في الصقع الذي هو به ، وقد واجه من هؤلاء الكفرة وتجرد من أمرهم ما الله معينه عليه ، ومتوحد بالصنع فيه ، ومجري أمير المؤمنين على أفضل عاداته عنده^(١) في أمثاله ؛ وأمير المؤمنين على انفاذ الجيوش ومواصلة الامداد إليه معونة له ، وتقوية لأمره ، وشدأً على يديه . فيما هو بسبيله . ورأى أمير المؤمنين أن يكتب إليكم لتعلموا حال زيادة الله عنده . وموقعه من رأيه . وما يرعاه من حرمة . ويحافظ عليه من وسيلته بنفسه وسلفه . وتوثروا بالتمسك بطاعته ، وترك الخلاف عليه . والتصرف مع أمره ونهيه . ومكافئته^(٢) على محاربة أعداء الله الكفرة ومجاهدتهم^(٣) . وإجابة دعوته متى استدعاكم ، واللحوق إليه . وترك الثاقل عنه . والاجلال له . لترد كتبه بوصف ذلك منكم . والخبار به عنكم . فيحسن موقع شهادته لكم . وتحلوا محل الأولياء وأهل السمع والطاعة الذين يجب حيابتهم . ويركن إليهم [١١٥] ويعود عليكم من عوائد ذلك ما تغتبطون به وتحمدون اختياركم معه ، فاعلموا ذلك من رأي أمير المؤمنين . واعملوا به . وقفوا عنده . ولا تخالفوه إلى غيره ، وأجيبوا عن كتاب أمير المؤمنين بوصوله . وامثال ما حدث لكم منه ، إن شاء الله تعالى ، والسلام .

(١) عنده : سقطت من ح .

(٢) ع : ومكافئته .

(٣) م : ومحاربتهم .

فلما قرئت أيضاً نسخة هذا الكتاب على منبر مدينة القيروان وسائر البلدان زاد كلامهم في زيادة الله وأشانيهم عليه وقالوا : لم يحصل من أمره إلا على المخاريق ، وما عسى أن يصنع الرعية له ؟ إنما الرعية لمن غلب ، فإن كانت له قوة وعنده غناء فليقاتل ، فأما الرعية فما تعرف مدافعة ولا اعتادت محاربة . وجعل الناس يتكلمون بهذا ونحوه من الكلام في أسواقهم وشوارع سككهم^(١) وحاضرهم وباديهم علانية . واستدعى الجواب منهم في ذلك ، وأمر من يتقاضاه من^(٢) شيوخ القيروان وغيرهم من البلدان ، فسوفوه وثاقلوا عنه ولم يتفقوا عليه ، فأمسك عنهم فيه ، ولم يرَ فائدة فيما أبرمه من^(٣) ذلك وأداره ، بل رأى أنه صار سبباً إلى الشناعة وذريعة إلى كشف ما عند العامة ، فندم عليه وأسقط^(٤) في يديه .

ذكر خروج زيادة الله بالعساكر إلى مدينة الأربس وانصرافه منها

ولما نظر زيادة الله إلى اختلال البلد^(٥) عليه وكثرة الأشانيع فيه أظهر الخروج بنفسه إلى أبي عبد الله وتقدم في الاستعداد لآلات الحرب وشد السلاح والأموال ، فنادى في البلدان بتوسعة العطاء [١١٦] للرجال^(٦)

(١) كتب فوق هذه الكلمة في ع (وجاءت مصحفة) : اي الدكان .

(٢) من : سقطت من ع م .

(٣) ع ح : في .

(٤) م : وأسقط ما .

(٥) ح : اهل البلد .

(٦) م ح ع : للرجال .

والفرسان ، وأخرج الحشاد إلى الامصار والأجناد ، وتقدم إلى أهل بيته
وجميع خاصته ورجاله في الخروج معه ، فاجتمعت له عساكر عظيمة .
وتساربت الناس إليه لطلب العطاء ، وجعل يجلس في قبة برقادة يقال لها
« قبة العرض » وتُصَبُّ الدنانير بين يديه ويعترض أهل البلدان عليه ويعطيهم
العطاء ، فإذا مرَّ به من يرتضيه غَرَفَ غَرَفَةً من الدنانير بصحفة بين يديه
تسع نحواً من خمسين ديناراً فيعطيه إياها . واتصلت الأخبار عنه أنه يعطي
بالصحفة ، فأقبل إليه الناس من كل الجهات . ووافته الحشود . وقطع ذلك
خوض الناس فيه وارجافهم به . وكان أكثر ما يقولون : هذه ضربة الفيصل
تكون لمن تكون . وكان قواد أهل بيته قديماً يفخرون بالنجدة والسخاء .
ومن لم يكن ذلك فيه منهم نقصوه وأزروا به . فتهياً كل واحد منهم في
هيئة حسنة . وجمع حوله من عبيده ومواليه والمنقطعين إليه جماعةً قام
بما يحتاجون إليه بما له من حملان وهيئة وسلاح وغير ذلك . وأخرج زيادة
الله مصون ما كان في خزائنه من ذخائره وذخائر آبائه من العدة والحلي والخلع .
فأظهر ذلك وأعطى منه قواده ووجوه رجاله وأهل بيته . لكل واحد منهم
حسب ما رأى أنه يستحقه عنده ، فظهر لذلك زي لم ير مثله أهل ذلك
العصر ، وعمل بنوداً كباراً منقوشة لم يعمل قبل ذلك مثلها ، ومضارب [١١٧]
منقشة .

وأخرج إلى الأربس أول سنة خمس وتسعين ومائتين^(١) . وأخرج
معه من شيوخ أهل القيروان . فلما وصل إلى الأربس ولّى أبا العباس محمد

(١) ذكر ابن عذاري هذه الحادثة في حوادث سنة ٢٩٣ (البيان ١ : ١٣٨)

ابن عبد الله بن جيمال (١) القضاء ، وكان ممن يذهب إلى مذهب العراقيين (٢) ،
فسر ذلك (٣) أهل بيته ووجوه رجاله وذلك لما لم ير في مداراة أهل القيروان
فائدة ، وجعل له أن يرفع إليه من شاء من الخصوم من القيروان ومن سائر
البلدان ويولي من شاء الحكومة ، وقرببه وادناه ورفع من شأنه وأعرض
عن حماس (٤) ورفض به .

وأقام بمدينة الأربس وتوافرت بها العساكر على أن يتقدم بها إلى أبي
عبد الله ، وشاور في ذلك خاصة رجاله فقالوا له : هذا تغرير ، إن لقيته
بنفسك وجميع عدتك كان الفيصل وما ندري ما يكون من الأمر ، وقد
أوقع قبل هذا بغير عسكر فلم يضع ذلك المملكة إذ كنت ردها وفيها .
والذي نرى من الرأي أن تكون في دار ملكك ، فأننا لا نأمن أن يحدث
بعدك حدث ، وتبقي ها هنا عسكراً قوياً (٥) مع رجل من رجالك ، فان
قصد الشيعي موضعاً قصد فيه إليه وتكون أنت ردهاً له . فاستحسن ذلك
من رأيهم وقدم إبراهيم بن أبي الاغلب (٦) على العساكر ، وكانت له شجاعة

(١) فقيه حنفي نسب إليه الحشني وابن عذارى قلة العلم والغفلة ، وطعن الأخير في ورعه ،
وقال انه انما تولى القضاء بعناية ابن الصانع (الصانع) - وسيأتي خبره - (انظر علماء
افريقية للحشني : ١٩٦ ، ٢٣٩ والبيان ١ : ١٤٠ ، ١٤٣) .

(٢) يعني بالعراقيين الحنفية ، اتباع مذهب ابي حنيفة .

(٣) م : بذلك .

(٤) كتبه هذه المرة في ع ح «حماس» وهو تصحيف ، وقد مر ذكر القاضي حماس
ابن مروان وطرف من خبره ص : ١٤٧ .

(٥) قوياً : سقط من ع ح .

(٦) كذا ايضاً في مسالك البكري : ٤٦ والكامل ٨ : ٤٢ والعبر ٤ : ٣٥ ، وفي البيان ١ :
١٤٣ : ابراهيم بن احمد بن ابي عقال ، وهذا خلط ناتج عن تشابه الاسماء ، والمعروف
ان ابراهيم بن احمد بن محمد بن ابي عقال هو جد زيادة الله المذكور هنا .

وهو من وجوه أهل بيته ، وترك معه عامة العسكر وانصرف زيادة الله^(١) إلى رقادة في أهل بيته وخاصة رجاله .

فلما وصل شد أمر ابن جيمال ونادى مناديه بالقيروان أنه إذا تداعى الحصان إليه وإلى حماس كان على [١١٨] من دعا إليه أن يجيبه ؛ فمال الناس بالخصوم إليه ، فلما رأى ذلك حماس رفع ديوانه^(٢) وأغلق بابه وخلص القضاء لابن جيمال . ثم أخذ أهل القيروان بشراء الأخبية وضربها جهة باب سلم^(٣) والكون بها ليلاً ونهاراً بالسلاح والعدة . وكتب من كل محرس من محارسها عدة معلومة من شبابهم . فأخرجهم لذلك كرهاً ليذيع أن أهل القيروان تقدموا معه للحرب . وحشد أهل البلدان . وأقام برقادة وأقام ابن أبي الأغلب بالاربس .

ذكر افتتاح مدينة باغاية

واتصلت هذه الأخبار بأبي عبد الله على حقها وصدقها . وكان قد صار إليه جماعة من أهل باغاية منهم إبراهيم المعروف بابن المذيلي^(٤) وعبد الله بن الروم^(٥) وحمود القصير وغيرهم . فكاتبوا أهلها وحركوا أبا عبد الله على المصير إليها ، وأتوه بكتب من كاتبوه من أصحابهم فيها أنهم يريدون مجيئه وإن جاء سلموا لأمره . فرحف في عساكر كثيرة ؛ فلما قرب منها

(١) زيادة الله : سقط من ع ح .

(٢) انظر البيان ١ : ١٤٣ .

(٣) م : سلام .

(٤) م : المذيلي ؛ ح : المزيلي .

(٥) كذا في م ع ، وفي ح : عبد الله الردم .

اتصل بالعامل مكاتبه من فيها أصحابهم ، وخاف أن يقبضوا عليه ، فهرب إلى الأربس ، وخرج جماعة من وجوه أهل باغاية فتلقوا أبا عبد الله وسألوه الأمان فآمنهم ، ونزل عليها ودخل عسكره فتسوقوا بها وأقاموا أياماً ، واستعمل عليها أبا يوسف ماكنون بن ضبارة الاجاني عم أبي زاكي ، وترك معه بها رابطة ، وانصرف أبو عبد الله^(١) إلى إيكجان ، وأقام أبو يوسف بباغاية ومعه بها خمسمائة فارس . واتصل الخبر بزيادة الله واغتم ، ونحاض أهل افريقية فيه وكثرت الأشانيع .

وجمع زيادة الله إليه من يشاوره من رجاله فشاورهم في العمل [١١٩] في ذلك فقال له بعضهم : اكتب إلى ابن أبي الأغلب بالنزول على باغاية ومحاصرتهم^(٢) فلعلتهم يسلمون من بها إليه ؛ قال عبد الله^(٣) بن الصانع^(٤) ، وكان صاحب أمره وأمثلة رجاله : ما هذا وجه الرأي ، ولو نزل ابن أبي

(١) ابو عبد الله : سقطت من ع ح .

(٢) ع م : محاصراً بهم .

(٣) م : ابو عبد الله ، وهو خطأ .

(٤) يكتبه ابن الابار وابن عساكر وابن عذارى والنويري وابن الخطيب : ابن الصانع ، وقد تحققت من اسمه لدى ابن الابار بالرجوع الى صورة من النسخة الخطية من الحلة السيرة المحفوظة بمكتبة الاسكوريال (رقم : ١٦٥٨) ، الورقة : ٥٤ ب ؛ الا ان هذا الاسم في نسخ الافتتاح جميعاً هو « ابن الصانع » ، فأبقيته كما جاء فيها . وكان ابن الصانع هذا كاتباً لأبي مسلم منصور بن اسماعيل وواحداً من اصحاب زيادة الله قبل توليه السلطان ، وقد حبس معه في حبس والده ، وكان فيمن اشار عليه بقتل اعمامه ومنافسيه على السلطة ، فلما تولى زيادة الله الامارة قلده الوزارة والبريد فكان يعرف بصاحب البريد ؛ وكان شاعراً مجيداً ، وقد قتله زيادة الله سنة ٢٩٦ - كما سيأتي - (انظر الحلة ١ : ١٧٧ ، ١٨٩ وتهذيب ابن عساكر ٥ : ٣٩٥ والبيان ١ : ١٣٥ والصفحات التي تليها ونهاية الارب ٢٢ : ٩٤ واعمال الاعلام ٣ : ٣٧ ، ٣٨) .

الأغلب على باغاية لينفرن إليه^(١) أبو عبد الله في جميع كتامة ، فإن قاومه لم يؤمن عليه ، وإن تنحى من بين يديه كانت هزيمة ولم يؤمن أن يتبعه ، وإن اتبعه لم يؤمن أن ينحل العسكر ؛ ولكن الرأي مقام ابن أبي الأغلب مكانه ، فإن زحف الشيعي - يعني أبا عبد الله - إلى غير باغاية عاجله قبل أن يصل إلى الموضع الذي يريد إليه ، ولو فعل هذا قبل أن يصل إلى باغاية أو سبقه إليها لكان ذلك رأياً ، ولكن لما صار أهل باغاية معه وفيها عامله وعسكره وهي حصن حصين وهو منها بالقرب فليس لزحف ابن أبي الأغلب إليها وجه . قال ابن الشنيم^(٢) ، وكان أحد من ينادمه ويجري معه في العبث والحلاعة التي كان يجري فيها : وما باغاية - أعز الله الأمير - وممن أهل باغاية ؟ والله ما كانوا عليك إلا كلاً يرتقون^(٣) أموالك ويأخذون لأطفالهم الرضيع . ما نفعوك ولا قاتلوا عدوك ولا كان لهم غناء ولا معهم فائدة . أراحك الله منهم وحمل عنك مؤنتهم . وقد قلت الساعة^(٤) بيت شعر فإن رأى الأمير أن يأمر السند^(٥) أن يأخذوا عليه طريقة من الغناء ويريح نفسه من هذا الغم وهذا الشغل^(٦) الذي قد خامر قلبه فليفعل : [١٢٠] وذلك أنه كان^(٧) إذا جمعهم أحضر المائدة فأكلوا ثم أحضر النبيذ فشربوا . فإذا

(١) م : إليها .

(٢) كذا في م ع ، وفي ح : ابن الشنيم . وسوف يكتبه دائماً من بعد : ابن الشنيم .

(٣) ع م : يرتعون .

(٤) الساعة : سقطت من ح .

(٥) وردت هذه القصة عند ابن الاثير (الكامل ٨ : ٤٢) ووضع بدل « السند » لفظة « المغنين » ، ولعلمهم غلمان سنديون .

(٦) م : الثقل .

(٧) كان : سقطت من ح ع .

أخذ الشراب منهم خاطبهم بما يريد ، فكان هذا وقد شربوا أقداحاً واللهاة والمغنون في البعد منهم في المجلس بخارجه - قال زيادة الله : وما هذا البيت ؟ قال : نقوله للسند فيأخذون^(١) عليه فيكون الأمير يسمعه منهم غناء فهو أجود ، قال : افعل ؛ فقام إلى السند فقال لهم : غنوا وازمروا وحركوا ملاعبكم وقولوا بعد فراغ كل بيت تغنون به من كل قصيدة :

اشرب واسقينا من القرب يكفيننا^(٢)

واجعلوا له حلة^(٣) ، ففعلوا . فلما سمع ذلك زيادة الله ضحك وتناول كأساً فشربها وقال لابن الشنيم : القول ما^(٤) قلت يا عبد الله ، ومن دون القرب كفاية . قال : يا سيدي ، أوليس من القيروان هزمتنا عسكر مدلج^(٥) وقتلناه ؟ قال : نعم ، قال : فإين باغاية من القيروان ، وما يضطرك إلى استعجال الغم ؟ قال : لا شيء .

٤

(١) م ح : فيأخذوا .

(٢) في الكامل : من القرن ، وفي البيان ١ : ١٤٣ ان زيادة الله كان يقول لندمائه اذا فكر

في زوال ملكه وغلبة عدوه على اكثر مواضع عمله : « املا واسقني من القرن يكفيني » .

(٣) لعلها من تزاوين الغناء كالحننة والغنة والنعمة .

(٤) ع ح : كما .

(٥) هو مدلج بن زكريا ، اخرجته زيادة الله بن الاغلب الى الاربس على رأس جيش لمحاربة

ابي عبد الله الشيعي سنة ٢٩٣ ، فخالف على زيادة الله هو وصاحبه احمد بن مسرور

الحال يوم الاثنين لعشر خلون من جمادى الاخرى ووافيا بالعسكر مدينة القيروان

لثلاث عشرة ليلة خلت من الشهر نفسه ، فخرج اليهما الغوغاء من القيروان ودافعوهما ،

وكبا بمدلج فرسه فقتل من ساعته وصاب مع رفيق له على باب رقادة ؛ وقد كان

زيادة الله قصد الى قتال مدلج عندما اتاه الخبر بقتل العامة له فكتب بذلك كتاباً

قرىء بالقيروان واعمالها (انظر خبره وسبب خلافه مع زيادة الله في البيان ١ : ١٣٩ -

١٤٠) .

فلما نظر ابن الصانع ومن كان يتكلم في ذلك من طريق النظر والتدبير إعجاب زيادة الله بقول ابن الشنميم وقبوله منه هذا المحال وميله إليه ، أخذوا له في معناه وأقبلوا على شربهم^(١) إلى أن سكروا وتفرقوا ، وكان ذلك يستعمل عند كل حادث يطرأ عليهم من أبي عبد الله . وانهمك زيادة الله في الشرب والعزف والملاهي كأنه يفتن أيامه ويقضي شهواته ، غير أنه كان يمدّ ابن أبي الأغلب بالأموال والرجال ، وأمره بأسباع العطاء على عسكره وأن لا يتحرك من مكانه إلاّ لأمر مهم لا بد له منه ، وأقبل على لذاته^(٢) .

ذكر وقائع أبي [١٢١] عبد الله بمجانة ونواحيها مما يلي الأربس

ولما اتصل بأبي عبد الله ما عقده زيادة الله من إقامة العسكر بالأربس ، أراد أن يزوره . وكان خفاجة العبشي^(٣) عاملاً لزيادة الله على مجانة ، وكان من الفرسان المعدودين من أصحابه ، وكان قد تجذم ، وكانت معه رابطة بمجانة ، فأخرج أبو عبد الله خيلاً مجردة تنقاها نحو ألف فارس ، وقدم عليهم أبا مديني وأمرهم بالوصول إلى مجانة ، فأخذوا على باغاية وخرجوا منها يريدون مجانة ، فلما قربوا منها خرج عليهم خفاجة فيمن معه من الرابطة مع أهل مجانة فقاتلهم بقرب المدينة إلى أن حجز بينهم الليل . فدخل المدينة

(١) ح ع : شربهم .

(٢) زاد في م : وانهماكه .

(٣) كذا في م ح ؛ وفي ع : العبشمي ، ويقول الاستاذ طالبي ان في نسخته من الافتتاح : العبسي ، وقد قرأها هو : الحبشي (L'Emirat Aghlabide, p. 668) ؛ وفي البيان ١ : ١٤٠ العبسي ، وابن عذاري فيه بورخ هذه الوقائع بسنة ٢٩٣ .

ونزل الأولياء على وادي مجانة فباتوا ، فلما أصبحوا أتوا المدينة فاحتصر
خفاجة ولم يخرج إليهم ، فساروا إلى ناحية قلعة مجانة فانتهبوا تلك المنازل
وانصرفوا إلى أبي عبد الله بايكجان ، فأقام مدة ثم جرد خيلاً أيضاً وقدم
عليهم أبا مديني وأمره أن يقصد مجانة . فلما انتهوا إلى باغاية اتصل بهم
أن أهل مجانة تعلقوا إلى قلعة قسر^(١) فأخذ أبو مديني بالعسكر على تبستي^(٢)
ثم إلى ناحية مجانة ، وكان خفاجة بمجانة في الخيل التي معه بمجانة^(٣) . ورجال
مجانة على خيولهم ، فأخذ على جبل المطاحق وقصد ملزورة - بيتاً من نفزة^(٤) -
بقرب مجانة ، وكانوا على خيولهم ، ورفعوا الأموال والعيالات والضعفاء
إلى القلعة ، فاتصلت بهم الصيحة فخرج بمن معه فوافاهم أبو مديني بالجبل
فاقتلوا [١٢٢] قتالاً شديداً فقتل خفاجة العبشي وجماعة معه ولجأ الباكون

(١) كذا في ح ع ، وفي م : القلعة المعروفة بشر .

(٢) تبستي (وتكتب أيضاً تبساً وتبسة ، واخطأ النساخ أحياناً فقدموا الباء على التاء
وأبدلوا السين شيئاً معجماً في النسخ المختلفة) (Tebessa) - بالفتح ثم الكسر وتشديد
السين المهملة - : مدينة قديمة بالجزائر تقع على خط عرض ٢٥/٣٥ شمالاً وخط
طول ٥/٨ شرقاً ، وهي تبعد خمسة وخمسين ميلاً جنوب شرق العين البيضاء ،
ومائة ميل جنوب جنوب شرق بونة واثني عشر ميلاً غرب الحدود التونسية (Algeria
II, p. 104 و « Tebessa » في Encyclopaedia of Islam, IV, p. 712 بقلم
إيفر ؛ وانظر في وصفها مسالك البكري : ٤٩، ١٤٥ والاستبصار : ١٦٢ ووصف
افريقية : ٦٣ ومعجم البلدان ٢ : ١٣) .

(٣) بمجانة : سقطت من م .

(٤) عند ابن حزم وابن خلدون ان ملزوزة هم من البربر البتر - مثل نفزة - الا انهم من
ولد فاتن بن تمصيت بن ضري بن زجيك بن مادغس الابتر ، بينما نفزة من ولد
نفاون بن لوى الاكبر بن زجيك بن مادغس الابتر (جمهرة ابن حزم : ٤٩٦، ٤٩٧
والعبر ٦ : ٩١) .

إلى القلعة وقتل منهم دونها بشر كثير واجتزت رؤوسهم مع رأس خفاجة ،
وانصرف العسكر إلى أبي عبد الله فوصلوا إلى ايكجان^(١) .

ووقعت بين كزناية^(٢) وأهل قصر الافريقي^(٣) وقعة قتل فيها رجل
من وجوههم يقال له عبلو^(٤) ، وكان له أخ يقال له فوناس^(٥) ، فأتى إلى
أبي عبد الله يستنصره على أصحابه ووصف له عدتهم^(٦) ، فأمر بإخراج
عسكر قدّم عليه أبا جعفر السكتاني أحمد بن سليمان ، فوصلوا إلى قصر
الافريقي فقاتلهم فانهزموا بين يديه ، فاتبعهم بالقتل حتى وصلوا إلى
طبرشق^(٧) ، فانتهب منازل مكلاية^(٨) وبني عمر^(٩) وقتل منهم بشراً كثيراً ،

(١) م : ووصلوا اليه بايكجان .

(٢) في النسخ جميعاً كزناية (وتكتب أحياناً كزيانة او كربانة) ؛ وكزناية قبيلة معروفة
من مكلاية من نفزاو من البربر البتر (العبر ٦ : ١١٤ والترجمة الفرنسية ١ : ٢٢٧ ؛
وانظر ايضاً الاستبصار : ١٣٦) .

(٣) قصر الافريقي (وتكتب أحياناً في النسخ : قصر افريقي) : بلدة في شمال شرق
الجزائر الى الجنوب الغربي من منطقة سوق اهراس ، على مرحلة واحدة من تيفاش
(صورة الارض : ٨٧ ووصف افريقية : ٨٨ ؛ وانظر ايضاً مسالك البكري : ٥٣
وعنه اخذ ياقوت معلوماته في معجم البلدان ٤ : ٣٥٥ : وراجع الحاشية رقم : ٢
من الصفحة التالية) .

(٤) كتبها في ح ع بالالف (عبلوا) .

(٥) ع : فانوس .

(٦) ع : عزتهم ، وكذلك كتب فوق « عدتهم » في ح : « عزتهم » .

(٧) طبرشق (في النسخ جميعاً ، وكتبها في ح مرة : طبرشيق) : مدينة بالجزائر على بعد
خمسة اميال الى الشمال الشرقي من تيفاش في مقاطعة نوميدية الرومانية وكان اسمها
آنذاك Thubursicum Numidarum (انظر دراسة عنها في الحاشية من كتاب
L'Emirat Aghlabide, p. 669-670) .

(٨) كذا في النسخ جميعاً ؛ ومكلاية قوم من البربر البتر ينتسبون الى مكلاية بن يطوفت
ابن نفزاو (العبر ٦ : ٩١ والترجمة الفرنسية ١ : ١٧٢) .

(٩) ح : عمرو .

وانصرف إلى ايكجان .

وكان إسحاق بن أبي سلاسل^(١) عاملاً لزيادة الله على تيفاش^(٢) ، فلما رأى عسكر أبي عبد الله وصل إليه ولم يتحرك ابن أبي الأغلب من مكانه ، خاف أن يعود^(٣) عليه فلحق بأبي عبد الله وخلق تيفاش . واتصل الخبر بزيادة الله ، فندب إلى الخروج إليها جماعة ليوليهم إياها فتعافوا ، وذكر له رجل من أهلها يقال له حبيب بن ليفة ، فكتب إليه بالولاية وبعث إليه بصلة وخلعة فقبل وتولى أمر تيفاش .

وكان بها رجل من أهل مجانة يقال له عبد الله بن كليب^(٤) ، شيعي قديم التشيع ، وكان قد صار إلى أبي عبد الله ودعاه ، وكان يرسله إلى الناحية فيأتيه بالأخبار ، وكانت له أم بتيفاش ، فاستأذن أبا عبد الله [١٢٣] في أن يأتي بها إلى ايكجان فأذن له فأتى بها وبرجلين من أهل تيفاش من وجوه أهلها يقال لأحدهما محمد بن زنبور والثاني أبو زعبل^(٥) ، فدعاهما أبو عبد الله فأخبراه بأخبار البلد وسألاه توجيه عسكر ليأخذ تيفاش فبعث معهما عسكراً وقدم عليهم صولات بن القاسم^(٦) السكتاني ، وكان من الدعاة ، وكان عدة من خرج^(٧) معه خمسمائة فارس فاتصل الخبر بحبيب بن ليفة

(١) ح : ابن سلاسل ؛ ع : ابن أبي سلاسل ، واثبتنا ما في م .
(٢) تيفاش (Tipasa) : مدينة قديمة في شمال شرق الجزائر تقع على بعد نحو ٥٥ ميلاً إلى الجنوب من بونة (Algeria, II, p. 149) ؛ وانظر صورة الأرض : ٨٧ .

(٣) م : يعودوا .

(٤) ح : كلب ، وسيكتبه من بعد « كليب » كما في نسختي م ع .

(٥) م : زعبل .

(٦) في العبر ٤ : ٣٥ : صواب بن أبي القاسم .

(٧) م : ما اخرج .

فخرج هارباً إلى الأربس إلى ابن أبي الأغلب ، ووصل صولات إلى تيفاش فتلقاه أهلها واستأمنوا إليه فآمنهم ودخلها وأقام بها . ثم أتاه خلفون بن مهدي من أهل قلالة^(١) فسأله الدعوة فدعاه - وكان مقدم قلالة - وسأله الأمان لأهلها فآمنهم وأمره^(٢) أن يرفع منها رجالاً منهم مرابط بن عيسى وعبد الله ابن ميمون وإبراهيم بن البروج^(٣) الذي كان يضرب^(٤) السكة بها ، فمضى لذلك وبعث معه صولات واكليد بن سنبل في ثلاثمائة فارس ، وأقام صولات بتيفاش في مائتي^(٥) فارس . ثم أتى إلى صولات جابر بن موسى وفرح بن حبة^(٦) ويوسف بن أيوب من بني ورديم في جماعة منهم يسألونه الدعوة والأمان ، فدعاهم وآمنهم ؛ وأتاه من بني هراش^(٧) صولات بن بازل^(٨) وعدي بن ذكر^(٩) وحبيب بن بكر^(١٠) ومحمود بن حفص^(١١) فسألوه في^(١٢)

(١) قلالة (Guelma) : مدينة قديمة بالجزائر كانت تسمى في القديم (Calama) وهي تقع في شمال شرق الجزائر ، على بعد ٣٢ ميلاً إلى الجنوب الغربي من بونة (Algeria, II, p. 76) وتاريخ الجزائر : ٢٣٠ ؛ وانظر وصف افريقية : ٦٣-٦٨ .

(٢) ع م : فأمره .

(٣) ح : إبراهيم البروج ؛ ع : إبراهيم بن الروح ، وأثبتنا ما في م .

(٤) ع م : يضرب له .

(٥) ح : مائة ، وهو خطأ .

(٦) م : حبة .

(٧) م : هراس وكتبها فيما بعد : فراش .

(٨) ح : نازل .

(٩) م : ذكور .

(١٠) م : بكور .

(١١) ح : محمود بن حفص ؛ م : محمود بن خوض ، وأثبتنا ما في ع .

(١٢) في : سقطت من ع ح .

مثل ذلك ففعله لهم وأمر جميعهم برفع بيوتاتهم إلى ايكجان ، واستقام له أمر الناحية .

واتصل بابراهيم بن أبي الأغب أنه لم يبق بتيفاش غير مائتي فارس [١٢٤] فرحف إليها في اثني عشر ألف فارس وما لا يحصى من الرجالة ، وكان الذي حركه على ذلك حبيب بن ليفة وجماعة ، فلم يشعر صولات ومن معه من الأولياء بتيفاش حتى أظلمت العساكر ، فأمرهم صولات بالخروج من المدينة ، وخاف من أهلها ، فخرجوا غير نفر قليل منهم لم يكن لهم دواب فأقاموا بالمدينة ، ووقف صولات بمن معه على باب المدينة حتى وافتهم طلائع ابن أبي الأغب فقاتلوهم فهزموا الطلائع حتى ألحقوهم بمعظم العسكر وقتلوا منهم جماعة ثم انصرفوا وقدموا ضعفاء الخيل أمامهم وأمسك الباقون ساقاتهم حتى أتوا^(١) المدينة فجاوزوها . ولما وصل عسكر ابن أبي الأغب المدينة^(٢) أقام ولم يطلب الأولياء ، ومضى صولات بمن معه إلى قلعة فاجتمع مع واكليد ومن معه من الخيل التي وجهه بها^(٣) ، وأرسلوا إلى أبي عبد الله بالخبر ، فأمرهم بالانصراف فانصرفوا^(٤) إلى ايكجان . ودخل عسكر ابن أبي الأغب إلى تيفاش فقتلوا من كان بها ممن بقي من الأولياء وقتلوا عبد الله ابن كليب فيمن قتلوا ، قتله حبيب بن ليفة ، فلما وصل أبو عبد الله إلى رقادة أته أم عبد الله بن كليب ، وكانت مؤمنة سالحة ، فقالت له : اقدني بابني من حبيب بن ليفة ، فأمر بدفعه إليها فقالت : ما أريد أن أقتله بسيف ولا

(١) م : بلغوا .

(٢) ح : ولما اتصل ... الى المدينة .

(٣) ع ح : من الخيل التي كان وجهه بها .

(٤) فانصرفوا : سقطت من م .

رمح ولكن يقيد ويغتلل ويترك حتى يموت ففعل ذلك به لها . ثم أتى إلى أبي عبد الله منصور بن خليل الأوربي^(١) [١٢٥] فذكر^(٢) أن أوربة^(٣) قتلوا أباه وناقفوا ، وكان أبوه قد دعا قبله^(٤) وقدم عليهم ، فأمر أبو عبد الله بإخراج عسكر وقدم على كل قبيلة فيه رجلاً منهم ، فخرجوا مع منصور حتى أتوا بونة فنزلوا على مجاز المراكب وقسموا العسكر على ثلاثة أثلاث فأخذ الثلث على ساحل البحر والثلث على سنديني وإيران^(٥) والثلث في وسط الفحص ، وشنوا الغارات على أوربة فقتلوا كل من مروا به وغنموا أموالهم واجتمعوا بباب زانة وانصرفوا بالغنائم إلى ايكجان .

ذكر وقعة دار مدين

وخرج أبو عبد الله بنفسه في احتفال من العساكر فوصل إلى باغاية وسار حتى أتى مسكيانة^(٦) ، ثم مال إلى تبسى وخرج منها فأتى ميدرة^(٧) ،

(١) ح : الاورابي ؛ م : الاوزي ، والنسبة الى اوربة ، وستأتي .

(٢) م : يذكر .

(٣) اوربة (ويخطئ كاتب ح احياناً فيكتبها بالياء) : قبيلة كبيرة من البربر البرانس ينتسبون الى اوربة بن برنس بن بر (جمهرة ابن حزم : ٤٩٥ والعبر ٦ : ٨٩ ، ١٤٥) .

(٤) قبله : سقطت من ع م .

(٥) كذا في ح ، وفي ع : سنديني وايزان ؛ وفي م : سد بني دايروان .

(٦) مسكيانة (Meskiana) : بلدة في شرق الجزائر تقع على بعد ٩٤ ميلاً الى الجنوب الشرقي من العين البيضاء (Algeria, II, p. 322) ؛ وانظر : صورة الارض : ٨٤ : ٨٤ ومسالك البكري : ٥٠ ووصف افريقية : ٨٨) .

(٧) ميدرة : بلدة قديمة في غرب تونس تعرف اليوم باسم حيدرة (Haidra) . وكانت قديماً تسمى Ammaedora ، وهي تقع على بعد نحو خمسين ميلاً الى الشمال الشرقي من تبسى قريباً من الحدود الجزائرية (Tunisia, p. 431) وكتبها في الكامل ٨ : ٤٣ : مدبرة ، وفي نسخ الكامل ايضاً : مدبرة ، مدرة ، بربرة .

وهي حصن حصين ، فأصاب بها بقايا أهل قصر الافريقي وأهل مجانة والقلعة وتبسي ومرماجنة وأخلاقاً من الناس قد أووا إليها وتحصنوا بها فنزل عليها وأصابته علة شديدة من الحصاة التي كانت تعتريه ، فاشتغل بنفسه ، وأغلق أهل ميدرة أبوابهم ووقفوا على السور ، فأحاط بهم العساكر^(١) من كل جانب يسألون الأمان ، فأعطاهم الأمان بعض العسكر من قبل نفسه ، ففتحوا لهم الباب ، فلما دخلوا عليهم وتوسطوا المدينة وضعوا السيوف على من فيها وانتهبوها ، فبلغ ذلك أبا عبد الله فاغتم لذلك وخرج بنفسه وهو لما به ، فاجتمع المشايخ إليه مما وجدوه ، فخلص كل ما قدر عليه واستنقذ كل من لحقه ورد ما قدر عليه مما وجدته [١٢٦] بأيدي العسكر . واغتم لذلك غمماً شديداً ، وطلب من فعل ذلك فلم يوجد . واتصل خبر ميدرة بزيادة الله وتشنت منه على أبي عبد الله وأصحابه شناعات من الغدر وترك الوفاء بالعهد^(٢) .

وارتحل أبو عبد الله من ميدرة فنزل على قصرين^(٣) من قمودة^(٤) واحتصر أهلها وسألوه الأمان فأمنهم وأمرهم أن لا يفتحوا باب مدينتهم لما كان من

(١) ع ح : العسكر بهم .

(٢) ح : وترك العهد والوفاء ؛ ع وترك الوفاء والعهد ، واثبتنا ما في م .

(٣) قصرين (Kasserine) : مدينة في غرب تونس كانت تسمى قديماً Cillium وهي تقع الى الجنوب الشرقي من مدينة تبسي والى الشمال من قفصة (انظر : Tunisia, p. 428, 429 ؛ ووصف افريقية : ٦٣، ٦٨) .

(٤) قمودة (Gamouda) : اقليم بتونس يقع الى الشمال الشرقي من جبل سيدي عيش وتقع قفصة على حدوده (Tunisia, p. 38) وانظر البلدان : ١٠١ وصورة الارض : ٩٢ ووصف افريقية : ٧٤) ؛ وتصحف الاسم في ع الى خمودة مرة والى قبودة مرة اخرى .

أمر ميدرة ؛ فكانوا يبايعون^(١) العسكر من فوق الحصن . وأظهر أبو عبد الله الغضب على أصحابه وإنكار ما كان منهم إلى أهل ميدرة ، وكثر اغتمامه به^(٢) واتصل به ما كان من الكلام في ذلك بافريقية وبأن زيادة الله كتب بذلك كُتُباً^(٣) فقرئت على المنابر ، فجمع مشايخ كتامة وعرفهم ذلك وبكتهم به ، فاعتذروا إليه من ذلك بأنهم لم يعلموا من فعل ذلك ، وأنهم قد بذلوا مجهودهم^(٤) في رد ما قدروا عليه ، وأنهم قد قتلوا جماعة ممن أصابوا النهب في يديه ممن علموا أنه تعدى فيه . واسترضوه مما نقمه من ذلك عليهم . فرضي عنهم .

واتصلت الأخبار^(٥) بابن أبي الأغب أن أبا عبد الله يريد أن يضرب على زيادة الله برقادة وأنه انتهى إلى القصرين . ولم يكن مع زيادة الله عسكر كثير . فخرج ابن أبي الأغب من الأربس بجميع عساكره فنزل دار مدين . فاتصل بأبي عبد الله ذلك وهو بالقصرين . فأمر بإخراج ألفي فارس إلى ناحية دار مدين^(٦) لاختبار أمر ابن أبي الأغب فانتهوا إليها فوافوه بها وناشبهوه القتال . فقتل جماعة من الأولياء . واستبطأ أبو عبد الله خبرهم فركب في جميع العساكر يريد إليهم . فوافاه رسولهم يخبره [١٢٧] بأنهم قد ناشبوا القتال فعبى العساكر وسار نحوهم فبينما هو يسير إذ وافاهم وقد

(١) م : يعاقون ، وهو تصحيف .

(٢) به : سقطت من م .

(٣) ح : كتب كتاباً .

(٤) م : المجهود .

(٥) م : واتصل الخبر .

(٦) فاتصل ... دار مدين : سقط سهواً من م .

انهزموا متفرقين في الوعر والشعراء^(١) وقد قرب الليل ، فلما رأوه كروا
 وكرت معهم الطلائع^(٢) فانهزم ابن أبي الأغب إلى بين أيديهم فقتلوا جماعة
 من أصحابه ، وحجز بينهم الليل ، وانصرف أبو عبد الله إلى القصرين
 وانصرف ابن أبي الأغب إلى دار مدين . وكتب إلى زيادة الله بالخبر وأنه
 قد هزم أبا^(٣) عبد الله وقتل عسكره وزاد في القول ، فزاد في ذلك زيادة الله
 وكتب السجلات إلى البلدان بذلك فقرئت على المنابر ، وكان ذلك قد هدأ
 من الشناعة عليه وقطع كثيراً من قول الناس فيه ، وانصرف أبو عبد الله
 إلى ايكجان .

وعاد ابن أبي الأغب إلى الأربس فسار^(٤) إليه بنو وشنو^(٥) وبنو
 صدغايان^(٦) من بني هراش بعد أن كانوا دخلوا طاعة أبي عبد الله . واتصل
 ذلك بأبي عبد الله فأخرج إليه^(٧) عسكراً وقدم عليهم غزوية بن يوسف وأبا

(١) كذا في ع وكتب فوقها في ح : والشعث ؛ وفي ع : والصحراء .

(٢) ع م : الطوالع .

(٣) م : قد انهزم ابو عبد الله .

(٤) ح ع : فصار .

(٥) كذا في ح ع ، وكتبها في م مرة « واشوئش » ومرة « ويس » ؛ وذكر الادريسي
 بني واسنو وقال انهم من البربر المصامدة ، فلعلمهم المقصودون هنا (انظر وصف
 افريقية : ٤٠) .

(٦) كذا في ح ع ، وكتبها في م : صدغايانان ؛ وبنو صدغايان من كتامة وكانوا يستوطنون
 جزيرة جربة التي تقع الى الجنوب الشرقي من قابس بتونس ؛ (المكتبة الصقلية : ٤٦٢ ،
 ٤٩٥) ؛ وقد كتب ابن خلدون الاسم : بنو صدغيان باسقاط الالف الاولى
 وقرأه الأستاذ طالبي : صدغايان بالمهملة (انظر L'Emirat Aghlabide, p. 675) .

(٧) ع : اليهم .

مكدول^(١) فسارا^(٢) بالعسكر حتى وصلا إلى قصر الافريقي فأصاباه^(٣) خالياً ، فانتهايا إلى طبرشق فباتا بها وبنو وشنو بقربهم فكمنوا دونهم ولم يوقدوا ناراً ثم صبحوهم مع الصباح فقتلوهم إلا من شدّ منهم ، ثم صاروا إلى بني صدغايان فقتلوهم^(٤) قتلاً ذريعاً وأحرقوا منازلهم وغنموا أموالهم وانصرفوا إلى المناخ الذي كانوا فيه فنزلوا به .

وكان ابن أبي الأغلب قد خرج يريد قتل بني ورديم لدخولهم في طاعة [١٢٨] أبي عبد الله . واتصل خبر خروجه بأبي عبد الله . فأرسل إلى غزوية وأبي مكدول ينذرهما به ، فأتاها رسولاه^(٥) وقد قرب ابن أبي الأغلب منهما وليس فيما بينه وبينهم إلا مقيل . ولم يعلم بعضهم ببعض حتى جاءهم رسول أبي عبد الله فقاموا من وقتهم^(٦) فمشوا نهارهم وليلهم حتى نزلوا قالمة ، فأرسل أبو عبد الله خمسمائة فارس إلى ناحية بني ورديم وأمرهم بأن يأتوهم فإن أصابوهم قد ناصبوا ابن أبي الأغلب أعانوهم . وإن أصابوهم استسلموا إليه انصرفوا عنهم . فوافوا غزوية ومن معه جماعة بقالمة وانصرف غزوية وأبو مكدول بمن معهما إلى ايكجان . وسارت الخمسمائة فارس إلى حيث وجههم أبو عبد الله وانصرف معهم جماعة من أصحاب غزوية بن يوسف فأتوا إلى جبل بانورات^(٧) ونزلوا عليه فآلفوا

(١) كذا في م ع ح ، وفي العبر ٤ : ٣٥ : ابو مكدولة الجيلي .

(٢) ح : فسلا .

(٣) م : فأصابا القصر .

(٤) الا ... فقتلوهم : سقط من ح ع .

(٥) م : رسول أبي عبد الله .

(٦) م : من وقتهم ذلك .

(٧) كذا في نسختي ح م ، وفي النسخة ع : بامرارت .

عسكر ابن أبي الأغب قد نزل بجبل الساطور^(١) وبنو ورديم بين الجبلين .
 وكان عسكر ابن أبي الأغب عسكراً ثقيلاً كثير العدد والمقدم عليه^(٢) ابن
 الهمداني ، فلما أصبحوا زحفوا إلى بني ورديم ووقفت الخمسمائة فارس
 مع راجلها ومن زاد إليها^(٣) من عسكر غزوية على الجبل ينظرون ما يكون
 من بني ورديم كما أمرهم أبو عبد الله ، وعلم بنو ورديم بمكانهم فقويت
 قلوبهم وخافوا ان سلموا لعسكر ابن أبي الأغب أن يأتيهم من أبي عبد الله
 ما يكرهونه^(٤) ، فناصروا عسكر ابن أبي الأغب فهزموه وقتلوا جماعة
 منه ، ونزلت خيل أبي عبد الله فأعانوهم^(٥) وأقاموا عندهم أياماً ثم انصرفوا
 إلى أبي عبد الله .

ثم نافق [١٢٩] إلى ابن أبي الأغب بنو ماجن من هوارة كادران^(٦) ،
 فاتصل خبرهم^(٧) بأبي عبد الله فأخرج إليهم عسكراً من جيمنة واجانة
 وقدم على الجيميلين أبا مكحول وعلى الاجانيين أبا يوسف ماكنون بن ضبارة ،
 فوصل العسكر إليهم فقتلوهم وغنموا أموالهم .

(١) ح : الساطورد .

(٢) م : عليهم .

(٣) م : اليهم .

(٤) ع ح : يكرهون .

(٥) م : فعاونوهم .

(٦) كذا في ح ع ، وفي م : كادراب .

(٧) م : واتصل الخبر .

ذكر افتتاح قسطنطينة وقصة

ثم ان أبا عبد الله جمع الأولياء واحتفل في عساكر عظيمة وخرج يريد قسطنطينة ، فلما انتهى إلى باغاية وافاه بها يحيى بن سليمان عامل طبنة يخبره عن رجال من الأولياء كان أبو عبد الله أرسلهم بأموال^(١) إلى المهدي عليه السلام ، إلى سجلماسة . فأوصلوها وانصرفوا إليه بالجواب وهم أربعة عشر رجلاً . فلما أن جاوزوها قطع عليهم الطريق جماعة من زناتة^(٢) . فلما رأوهم قد أقبلوا إليهم في جمع عظيم اجتمعوا ودفنوا الكتب التي كانت معهم في موضع وقالوا : إن عاش منا أحد استخرجها . ووقفوا للقوم حتى أتوهم فقاتلوهم . فلم يزالوا يقاتلونهم ويقتلون منهم ويقتل منهم الواحد بعد الواحد حتى صرعوا عن آخرهم . واحتمل زناتة قتلاهم وانصرفوا وتركوهم مجدلين ، فأصابهم مطر وابل فدخل الماء جراح^(٣) رجل منهم . وكان فيه رمق ، فتحايا وقام بقوة النفس^(٤) . فلم يزل يسير حتى انتهى إلى طبنة فأخبر يحيى بن سليمان الخبر ووصف له موضع الكتب . فلما فرغ من ذلك مات رحمة الله عليه وعلى أصحابه لما أراد الله عز وجل من إبلاغ رسالة وليه ؛ وكان قد كتب إلى أبي عبد الله في تلك الكتب بأمور مهمة ، فمضى يحيى بن سليمان إلى المكان الذي وصف له الرجل فأصاب القوم مصرعين فدفنهم واستخرج الكتب فوافى بها أبا عبد الله [١٣٠] بباغاية ، فعظم

(١) م : بالاموال .

(٢) زناتة : قبيلة كبيرة من البربر البتر يتسبون الى زانا بن يحيى بن ضري بن زجيك بن مادغس (جمهرة ابن حزم : ٤٩٦ والعبر ٦ : ٩١) .

(٣) ع ح : في جراح .

(٤) ع م : نفسه .

أمر قتلهم ، وكانوا من أخيار^(١) المؤمنين ، فأزمع على الانصراف إلى زناتة والإيقاع بهم ، وجمع المشايخ وشاورهم في ذلك فقالوا : البلد بعيد ، وهذا العسكر منا بالقرب ولا نأمن أن يخالفنا إلى بلدنا ، وأمرُ زناتة لا يفوتنا إن شاء الله ، ومن قتل منا فهو في الجنة وقد قضى نحبه على طاعة ربه ؛ وعزّوه عنهم وهوتوا عليه أمرهم واغتبط بوصول كتاب المهدي إليه وحمد الله تعالى إذ لم يطلع زناتة على ما فيه .

وسار بالعساكر^(٢) إلى قسطنطينية^(٣) ، فخرجوا إليه فقاتلوه^(٤) ساعة من النهار قتالاً خفيفاً ثم استسلموا إليه وسألوه الأمان فأمنهم ، وأصاب الأولياء منهم في وقت القتال قبل الأمان غنائم كثيرة ، وأخذ أبو عبد الله ما كان بها من الأموال لزيادة الله ولرجاله وسار فنزل على قفصة فسألوه الأمان فأمنهم ، وأخذ أيضاً ما كان لزيادة الله من الأموال عندهم . وانصرف فأتى إلى باغاية فخلف بها أبا مكدول في خمسمائة فارس ، وحضر محمد ابن غزوية بها فتخلف عليه أبوه غزوية^(٥) وتخلف معه خمسون فارساً من ملوسة ، ومضى أبو عبد الله بالعساكر حتى وصل إلى ايكجان .

وكان ابن أبي الأغلب قد خاف أن يكون أبو عبد الله أراد افريقية لما توجه^(٦) إلى قسطنطينية ، وكان متوقفاً لذلك عازماً على أنه إن بلغه ذلك

(١) ح : اخيار ؛ م : اكابر .

(٢) م : بالعسكر .

(٣) ارخ ابن عذاري دخول ابي عبد الله الى قسطنطينية بسنة ٢٩٦ (البيان ١ : ١٤٥) ؛ وفي روايته لهذه الحادثة تفصيلات لم ترد عند القاضي النعمان .

(٤) ح : فقاتلوا .

(٥) م : ابوا غزوية ، وهو خطأ .

(٦) م : وصل .

سار إلى افريقية . فلما بلغه رجوعه إلى ايكجان ، وأنه لم يبقَ بباغاية إلاّ خمسمائة فارس ، زحف بجميع عساكره من الأربس حتى نزل على باغاية . وأرسل أبو مكدول رسلاً [١٣١] إلى أبي عبد الله ، فلما وصلوا إليه أمر في الوقت بضرب الطبول وتصايح كتامة ففاضوا من كل جانب وعلوا السهل والوعر مبادرين إلى باغاية ، فلما رأى ذلك أبو عبد الله سبقهم إلى [بني] سكتان^(١) ، فجلس الناس^(٢) وتخير اثني عشر ألف فارس وقدم عليهم أبا مديني وقال له : إن لحقت القوم بباغاية فقاتلوك دونها فاحمل نفسك^(٣) عليهم ولو حملتها على الأسنة ولا يردك راد عن الوصول إلى باغاية . وإن أصبتهم قد انصرفوا أو قاتلتهم فأنهزموا فلا تجاوز فج العرعار . فمضى أبو مديني نحو باغاية . وانصرف أبو عبد الله بالجمع^(٤) إلى ايكجان .

وكان بباغاية يومئذ جماعة من أهلها . وكان بها حارث المدغري^(٥) في ثلاثمائة فارس من مدغرة ، فلما نزل بهم ابن أبي الأغب خرجوا إليه فقاتلوه^(٦) قتالاً شديداً . وكان لغزوية ذلك اليوم مقام عجيب . وقاتل حارث المدغري قتالاً شديداً ، فقال له ابن أبي الأغب : يا حارث ، أخذك الله بإحساننا إليك ، وكان قد وصله زيادة الله وأحسن إليه ، فقال حارث : إحسان أبي عبد الله إلي أكثر من إحسانكم : بصّرني من العمى واستنقذني

(١) بني : زيادة ليست في الأصول ؛ ع : سكتات .

(٢) ح : فجلس الناس .

(٣) م : بنفسك .

(٤) بالجمع : سقطت من م .

(٥) كذا في ح ع ، وفي م : المدغري .

(٦) ع : وقاتلوهم ؛ ح : وقاتلوا .

من الجهل . وكان من الأولياء يومئذ بباغاية رجاء بن أبي قنة^(١) ، فقاتل قتالاً شديداً وأبلى بلاءً عظيماً . ونظر أصحاب ابن أبي الأغب من قيام الأولياء بباغاية على قلة عددهم ما علموا أنه لا طاقة لهم بهم وخافوا من مجيء المدد إليهم فماجوا ، وكان القتال ذلك اليوم من أول النهار إلى آخره ، فلما قرب المساء انهزم أصحاب ابن أبي الأغب فلم يتبعهم الأولياء لقتلهم^(٢) وكان مناخ عسكرهم بالقربات^(٣) فباتوا به .

وبات أبو مديني تلك [١٣٢] الليلة بكرشة^(٤) ، فلما أصبح عبأ العساكر وزحف بها ، فلما قربوا من باغاية خرج إليهم من بها فمشوا كذلك على تعبثتهم نحو مناخ ابن أبي الأغب فأصابوهم قد رحلوا^(٥) من الليل ووجدوا بقايا من العسكر وأمتعة فقتلوا من وجدوه وانتهبوا ما أصابوه واتبعوا العسكر حتى انتهوا إلى فج العرعار ، فوقف أبو مديني وقال : هذا المكان^(٦) الذي حده لنا الشيخ وأمرنا أن لا نتجاوزه ، ولانصرف إلى باغاية ولحق ابن أبي الأغب بالأربس ، وانصرف أبو مديني إلى ايكجان بالعساكر التي قدم بها وانصرف معه أبو مكدول وغزوية ، وأقام أبو يوسف بباغاية بالحيل التي كانت معه .

(١) كذا في ح ع م ، وفي العبر ٤ : ٣٥ : ابن أبي قنة .

(٢) ح : لقتلهم .

(٣) م : بالقربان .

(٤) ح : بكريشة .

(٥) ع ح : فاصابوه قد رحل .

(٦) المكان : سقط من ح ع .

ذكر افتتاح مدينة الاربس وانهزام ابن أبي الأغب

ولما دخل فصل الربيع وطاب الزمان ، جمع أبو عبد الله العساكر واحتفل واستعد ثم زحف يريد ابن أبي الأغب بالاربس ، فخرج من ايكجان في (١) أول جمادى الأخرى من (٢) سنة ست وتسعين ومائتين ، فنزل مدينة باغاية وعرض من معه وحصلهم فبلغوا مائتي ألف بين (٣) فارس وراجل (٤) وكان زيادة الله قد حشد وبذل العطاء وأوعب وأرسل إلى ابن أبي الأغب عساكر فاجتمع بالاربس من العساكر ما لا يحصي عدده إلا الله . وسار أبو عبد الله من باغاية حتى انتهى إلى مسكيانة ، فأخذ مع الوادي حتى خرج إلى وادي مجانة (٥) ، ثم خرج على مرماجنة (٦) إلى وادي الرمل (٧) فنزل

(١) في : سقطت من ح .

(٢) من : سقطت من ح ع .

(٣) بني : سقطت من م .

(٤) في اعمال الاعلام ٣ : ٤٢ ان عدد الفرسان والرجالة لدى ابي عبد الله بلغ مائة الف رجل .

(٥) يرى الاستاذ طالبي ان وادي مجانة هو ما يسمى اليوم وادي حرحرير (O. Horrihrir) الذي ينبع من جنوب مجانة .

(٦) تقع مرماجنة قرب بلدة تالابن حيدرة وسببية ، ولهذا يرى الأستاذ طالبي ان يقرأ « وادي مرماجنة » وهو المعروف اليوم باسم وادي سراط (O. Serrath) لان الوادي - لا البلد - يقع على الطريق التي سلكها ابو عبد الله .

(٧) وادي الرمل : على حوالي عشرة كيلومترات الى الجنوب من مدينة الكاف ، ويقول البكري (١٤٩) انه على بعد اربعين ميلاً من القيروان . ولا يزال معروفاً بهذا الاسم الى اليوم (انظر ص ٦٧٧ - ٦٧٨ من كتاب الطالبي حول ما أوردته في الحاشية رقم ٥ - ٧) .

عليه ، وأخرج خيلاً إلى منيولة يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الأخرى فانتهبوا منيولة [١٣٣] ، ثم أصبح من غدٍ يوم الجمعة فأخرج خيلاً إلى شقبنارية^(١) فوافتها قبل نصف النهار فقاتلوهم إلى وقت العصر ثم نزلوا إليهم على الأمان فأتوا برجال من وجوههم إلى أبي عبد الله . وكان أبو عبد الله قد أخرج ذلك اليوم جرائد الخيل فضربت جريدة منها إلى بني جودان ، فوافتها خيل كثيرة لابن أبي الأغلب ، فقاتلوهم . فأسر رجل من الكتامين فأتوا به إلى^(٢) ابن أبي الأغلب وعنده محبوب بن عبدون فسأله فيه فأبى ابن أبي الأغلب عليه إلا أن يقتله ، فغضب محبوب وقام عنه وأمر ابن أبي الأغلب بقتل الرجل فقتل .

ثم أصبح أبو عبد الله يوم السبت لست بقين من جمادى الأخرى^(٣) فميز العساكر وعبأ بها ، فجعل في الميمنة بني نبطاش^(٤) وفي الميسرة بني

ع

(١) شقبنارية (Sicca Venera) : هو الاسم القديم لمدينة الكاف التونسية التي تقع على بعد ٢٢ ميلاً إلى الجنوب الغربي من سوق العربة وعلى بعد ٤٢ ميلاً إلى الجنوب الشرقي من سوق اهراس بالجزائر في الجبال بين وادي ملاق وتسا (Tunisia, pp. 127, 215) .

(٢) إلى : سقطت من م ع .

(٣) هذا التاريخ موافق لما عند ابن الأبار في الحلة ١ : ١٧٥ والذواداري في الدرّة : ٤٠ وابن عذارى في البيان ١ : ١٤٦ ؛ وفي الكامل ٨ : ٤٥ : أواخر جمادى الآخرة ؛ وقريب من هذا ما جاء في الاتعاظ : ٦٣ من أن تاريخ افتتاح الأربس كان في آخر جمادى الآخرة ؛ أما عند النويري فالتاريخ أقل تحديداً : وهو جمادى الآخرة سنة ٢٩٦ (نهاية الأرب ٢٢ : ٩٤) ولم يذكر البكري وابن خلدون أي تحديد يضاف إلى سنة ٢٩٦ (مسالك البكري : ٤٦ والعبر ٤ : ٣٦) .

(٤) هذا ما في النسخة ح ؛ وفي ع : نبطاش ، وفي م : ميطاش ، وفي نسخة الاستاذ طالي : يعطاش (L'Emirat Aghlabide, p. 679) .

بناوة^(١) وفي القلب ملوسة ومسالمة ، وانتقى عشرة آلاف فارس من الدعاة ووجوه القبائل وأهل النكاية فجعلهم معه وزحف إلى الأربس فأصاب ابن أبي الأغلّب قد عبأ عساكره ، فالتحم القتال ، ووقف أبو عبد الله بالعشرة^(٢) آلاف فارس على كدية^(٣) مطلة على المدينة ، وانتشر القتال في الفحص ، وأخذ الناس بعضهم بعضاً ، وكانت معارك عظيمة ومواقفة^(٤) شديدة ، وقتل من الفريقين خلق كثير^(٥) ، وأقام القتال بينهم من أول النهار إلى وقت صلاة العصر ، وكلح أصحاب ابن أبي الأغلّب ولم يكن بقي بافريقية ونواحيها وأطرافها من عربها وبربرها ورجال زيادة الله أحد مذكور إلاً وكان مع ابن أبي الأغلّب .

فنظر أبو عبد الله إليهم قد شقوا على أصحابه ، وأحسّ من أصحابه بعض الفشل ، وخاف عليهم الهزيمة ، فقال لمن حوله من المشايخ : انتقوا^(٦) من الرجال من قدرتم عليه من خيارهم^(٧) وابعثوهم^(٨) يأخذون^(٩) في هذه المسيلة ، مسيلة تعرف بالمغارة^(١٠) [١٣٤] ويسترون فيها حتى يضربوا في الحيل ،

(١) كذا في نسختي ح م ، وفي نسخة ع - كما عند الاستاذ طالبي - بناوة .

(٢) ح ع : بعشرة .

(٣) الكدية : الأرض الغليظة أو الصعبة أو المرتفعة (التاج) .

(٤) م : ومواقفة .

(٥) م : عظيم .

(٦) ح ع : تنقوا .

(٧) م : خياركم .

(٨) وابعثوهم : سقطت من م .

(٩) م : وامر أن يأخذوا .

(١٠) ح : بالمضارة ؛ ع : بالضارة .

فلعلهم أن يحركوهم^(١) فانتقوا من الرجالة خمسمائة وخمسة وسبعين رجلاً^(٢) من أشد من قدروا عليه ، فتعروا عراة وأخذ كل واحد منهم رحين ودرقة ومشوا في تلك المسيلة . واتفق أن كان ابن أبي الأغب قد رأى مثل ذلك الرأي ودبر مثل ذلك التدبير وأخرج رجالة من قبله في تلك المسيلة ، فوافق^(٣) بعضهم بعضاً في موضع يعرف بالغرة البيضاء بقرب جنان لوز على طريق الأربس إلى شقبنارية ، فوافق أول رجل طلع من الكتامين أول رجل طلع من أصحاب^(٤) ابن أبي الأغب ، فتقايسا بالرماح ، وحمل كل واحد منهما على صاحبه ، فقتل الكتامي الخارج إليه من أصحاب ابن أبي الأغب ، وحمل أصحابه على رجالة ابن أبي الأغب فانهزموا وقامت الصيحة فيهم ، فانهزمت عساكر ابن أبي الأغب وداخلت خيلها رجالة أبي عبد الله وحمّلت خيله عليهم فولوا منهزمين وقصد كل قوم منهم إلى جهة بلدهم وأخذ ابن أبي الأغب ومن معه من رجال زيادة الله وأهل إفريقية على جبل الحراقين ، وأخذ لواتة^(٥) وكزناية ومكلاثة على طريق جثيرمس^(٦) ، وأخذ عامة العبيد وخليط الناس من أهل إفريقية طريق القيروان ، وأخذ

(١) في الكامل ٨ : ٤٥ ان ابا عبد الله امر من اختير له من رجاله « أن يأتوا عسكر زيادة الله من الخلف » .

(٢) في الكامل ان مشايخ كتامة اختاروا ستمائة رجل .

(٣) م : فوافق .

(٤) م : فوافق ان اول رجل .. لقي رجلاً طلع من أصحاب ...

(٥) لواتة : قبيلة كبيرة من البربر البتر ينتسبون الى لوى الاصغر بن لوى الاكبر بن زجيك بن مادغس الابتر (انظر جمهرة ابن حزم : ٤٩٨ والعبر ٦ : ٩١ ، ١١٦) .

(٦) ورد هذا الاسم على اشكال مختلفة في النسخ ، ففي النسخة ح : حشيرمس ، وفي النسخة ع : حيرمر ، وأثبتنا ما في م .

محبوب بن عبدون مع هواره ونفزة على بني بشير ، واتبعهم الأولياء بكل ناحية يقتلونهم ويأسرونهم ويغنمون ما معهم ، وقصد قوم^(١) منهم إلى المدينة فقتلوا بها من وجدوه وانتهبوا ما قدروا عليه إلى أن غربت الشمس ودخل الليل ، فانصرفوا إلى مناخهم فباتوا فيه . وأصبح أبو عبد الله فأمر بقصد مدينة الأربس ، وذلك [١٣٥] أن أهلها أضرموا ناراً وأصروا مع ابن أبي الأغلب ، فدخلها الأولياء بالسيف فقتلوا بها من الخلق ما لا يحصى^(٢) وانتهبوا ما بها وأقاموا يوم الأحد ، وانصرف أبو عبد الله بجميع العساكر يوم الاثنين ، فأخذ على دقة^(٣) يريد إلى قمودة والناس يقولون : يريد إلى^(٤) قسطيلية .

ذكر هروب زيادة الله من رقادة

ووصل خبر الهزيمة إلى زيادة الله يوم الأحد بعد صلاة الظهر ، وكان

(١) ع ح : كل قوم .

(٢) حدد البكري وابن عذاري عدد الذين قتلوا داخل مسجد الأربس يوم دخول أبي عبد الله برجاله إليها من وقت صلاة العصر إلى آخر الليل بثلاثين ألف شخص ، وقالوا : حتى كانت تسيل الدماء من ابواب المسجد كسيلان الماء بوابل الغيث (مسالك البكري : ٤٦ والبيان ١ : ١٤٦ - ١٤٧) ، أما ابن الأثير فقال ان عدد القتلى بلغ أكثر من ثلاثة آلاف قتيل (الكامل ٨ : ٤٥) . ولم يعين ياقوت العدد بل قال انه قتل « الألوفا » داخل المسجد . (معجم البلدان ١ : ١٣٦) .

(٣) دقة (Dougga) : مدينة قديمة بتونس كان اسمها قديماً (Thugga) ولم يبق منها اليوم الا بعض الآثار القرطاجنية والرومانية ، وهي تقع على تل مرتفع على بعد ثلاثة أميال إلى الجنوب الغربي من مدينة طبرسق (Tunisia, pp. 226, 432) .

(٤) إلى : سقطت من م ح

قد علم وأيقن أنه لا يقوم له أمر إن انهزم عسكر الأربس لأنه آخر ما قدر عليه من الحيلة واستفراغ المجهود . وكان قد تقدم في شد جميع أمتعته واستعد للهرب ، فلما أتاه خبر الهزيمة ، أظهر أنه جاءه الفتح^(١) ، وأرسل إلى السجن فجاء برجال منه ف ضرب أعناقهم واجتز رؤوسهم وأمر أن يطاف بها بالقيروان وبالقصر القديم ، وأخذ في ضم حوائجه ورفع ثقله وأمواله . وأرسل إلى خاصة رجاله وأهل بيته فأندرهم بالخروج معه وعرفهم ما جاءه من الخبر ، فأشار عليه ابن الصانع بالمقام وقال له : العساكر تجتمع إليك ، فأظهر العطاء يأتك الناس ، وليس يجسر^(٢) الشيعي أن يقتحم عليك ، فلا تدع ملكك ، فقد حارب زيادة الله جدك افریقیة كلها وقد اجتمع عليه^(٣) أهلها من القصر القديم^(٤) اثني عشرة سنة ، وأنت في قوة من أهل بيتك وخاصتك ، فلا تفرق جماعتك ، ولا تخسر ملكك ، وثبت لهم^(٥) ، فلم يقبل منه ، فألح عليه في ذلك ، فقال زيادة الله : هذا تصديق ما قيل فيك أنك كاتب الشيعي فأردت أن تمكنه مني ، فاعتذر إليه وتبرأ مما قيل فيه ، وأمسك عنه .

(١) راجع البيان ١ : ١٤٧ ففيه زيادات لم ترد هنا .

(٢) م : يجبس . ولا وجه لها هنا .

(٣) عليه : سقطت من ح .

(٤) القصر القديم : مدينة على ثلاثة - او اربعة - اميال قبلي القيروان ، سماها ياقوت

قصر القيروان ، وقد بناها ابراهيم بن الاغلب بن سالم بن عقال التميمي سنة ١٨٤ او

١٨٥ ، وصارت منذ ذلك الحين دار الامراء من بني الاغلب الى ان انتقلوا سنة ٢٦٣

الى عاصمتهم الجديدة : رقادة (انظر البيان ١ : ٩٢ ، ١١٧ ومسالك البكري : ٢٧ ،

٢٨ ومعجم البلدان ٢ : ٥٥ و ٤ : ٣٦٢ .

(٥) لهم : سقطت من ع م .

وأخذ زيادة الله في شد [١٣٦] الأموال ونفيس الخلع والجوهر والسلاح وما خف من الأمتعة ووَاعَدَ من حضره^(١) من رجاله الليل، وانصرف كل واحد منهم يحمل ما يريد حملة، وخافوا على أنفسهم القتل ان تخلفوا بعده، وحمل من يعز عليه من الجواري وأمهات الأولاد^(٢) وبنيه وبناته، وانتخب من عبيده الخدم الصقالبة ألف خادم، وجعل على وسط كل واحد منهم منطقة فيها ألف دينار خوفاً من أن يلحق احمالُ أمواله، وشد باقي الأموال أحمالاً؛ فلما أذن المؤذن بصلاة العشاء الآخرة، خرج من رقادة واتبعه الناس قوم بعد قوم يهتدون بالمشاعل ويتبعونه، فأخذ إلى قلساية^(٣) جادة طريق^(٤) مصر^(٥)، وخرج ابن الصانع بعد ساعة بثقله وحمله وحشمه فقصد قصد سوسة^(٦)، وكان قد أعدّ بها مركباً لنفسه ليركب إلى صقلية

(١) م ع : احضره .

(٢) م ع : امهات اولاده .

(٣) ح ع : فلساية ؛ ولعلها قلسانة - وكتبها ابن خرداذبة بالسین المهملة - التي تبعد عن القيروان ١٢ ميلاً على الطريق بينها وبين قابس (انظر البلدان : ١٠٠ ومسالك ابن خرداذبة : ٨٧ ومسالك البكري : ٢٩) .

(٤) م : طريقة .

(٥) في ح : مضر، وكتب فوقها : مصر في خ ؛ وانظر قصة لم ترد هنا عن زيادة الله . وبعض جواريه لدى هربه من رقادة في الدرّة : ٤١ والبيان ١ : ١٤٧ ونهاية الارب ٢٢ : ٩٥ واعمال الاعلام ٣ : ٤٣ - ٤٤ .

(٦) سوسة (Sousse) : مدينة كبيرة قديمة تعتبر اليوم ثالث مدن تونس ، وهي تقع على خط عرض ٤٩/٣٥ شمالاً وخط طول ٣٩/١٠ شرقاً على بعد نحو ٩٠ ميلاً الى الجنوب من تونس العاصمة وعلى بعد ٣٧ ميلاً الى الشمال الشرقي من القيروان (Tunisia, p. 255) ؛ وانظر وصفاً لها في البلدان : ١٠٠ وصورة الارض : ٧٤ ومسالك البكري : ٣٤ والاستبصار : ١١٩ ووصف افريقية : ٩٣ ومعجم البلدان ٣ : ٢٨١) .

ويفارق زيادة الله ، وذلك أنه كان يخاف على نفسه رجاله الذين كانوا معه أن يحملوه على قتله ، وذلك أنه كان معادياً لأكثرهم وكانوا يعادونه لتقدمه عند زيادة الله وغلبته عليه ، فلم يأمنهم أن يسعوا به إليه وسمع ما كانوا رموه به من مكاتبة أبي عبد الله وما قال له زيادة الله لما نصحه في المقام . وخرج ابن الصانع لما خرج من رقادة ومعه مشاعل ، فأخذ على القصر القديم وخرجت ثلاثون حملاً من المال تخلفت عن جملة المال ، فنظر الذين خرجوا بها إلى مشاعل ابن الصانع فظنوا أنها مشاعل زيادة الله فاتبعوها . ووصل ابن الصانع إلى سوسة فدخل البحر من ساعته [١٣٧] ووصلت أحمال المال بعده إلى سوسة فأخذها ابن الهمداني^(١) فاخترنها ، فلما دخل أبو عبد الله إلى رقادة أخذها^(٢) .

وبقي من بقي برقادة من سائر الناس ، فهربوا على وجوههم في الليل إلى القصر القديم وإلى القيروان وإلى سوسة وإلى كل ناحية بما خف من متاعهم وقدروا على حملة ، فأصبح صباح يوم الاثنين^(٣) ففاض أهل القيروان والناس من كل مكان إلى رقادة ينتهبون ما بها ويحملونه فيلقى بعضهم بعضاً فيسلب القوي الضعيف . وسابت أهل افريقية وشغل أهل الذعارة بنهب رقادة ، فانتهبوا ما في قصورها مما خلفه زيادة الله وما في دور رجاله ودور سائر الناس ، الأنفس فالأنفس والأعلى فالأعلى ، إلى أن لم يبق شيء على^(٤) وجه الأرض إلا انتهبوه . وصاروا إلى البحث عن المطامير

(١) هو عامل سوسة آنذاك (البيان ١ : ١٤٨) .

(٢) قارن هذه القصة بما في البيان ١ : ١٤٨ .

(٣) في البيان ١ : ١٤٧ ان هرب زيادة الله كان يوم الاثنين مساء .

(٤) ع ح : شيء مما على

وانتزع حديد الأبواب وحمل الاسرة وثقيل الحرثي ، وأقاموا كذلك ينتهبون إلى أن دخلت خيل أبي عبد الله .

ثم خالط الخوف من تخلف من بني الأغلب ، وكانوا خلقاً كثيراً أكثرهم في حال الفقر والمسكنة ، وتخلف كثير من وجوههم عن زيادة الله وجماعة من عبيده ورجاله وأهل الحرب وأصحاب الدواوين ، وكان أكثرهم برقادة فتفرقوا على حسب ما ذكرنا ليلة هرب زيادة الله^(١) ، وكان معظمهم أيضاً بالقصر القديم وما حوله من الأرباض ، فانضم من كان حوله إليه . ثم خاف الوجوه الذين كانوا فيه ، فكسروا أقفال أبوابه ليلة الثلاثاء ، وخرج عامتهم إلى القيروان وإلى نواحي البلدان فاختلفوا بها ، فلما رأى ذلك الباكون من غد ترحلوا إلى القيروان [١٣٨] بأجمعهم فلم يبق بالقصر القديم أحد ، ونقلوا أمتعتهم منه وافترقوا بالقيروان والبوادي^(٢) وسوسة وحيث رأى كل واحد منهم أن يصرف بوجهه . وشغل نهب رقادة كل مُفسد ولم يتعرض أحد في الطريق ولا في غيره ولا كان في الناس قتل ولا شيء إلا ما كان برقادة ، وانتهب^(٣) بعضهم ذلك النهب من أيدي البعض .

ذكر وصول ابراهيم بن أبي الأغلب إلى مدينة القيروان
وما أراد من العقد بها^(٤)

ووافى إبراهيم بن أبي الأغلب مدينة القيروان صبيحة^(٥) يوم الثلاثاء

(١) وجماعة ... زيادة الله : سقط سهواً من ع .

(٢) م ع : وبالبوادي .

(٣) ح : وانتهبوا .

(٤) الى هنا ينتهي القسم الاصل من النسخة ع ويبدأ قسم جديد بخط مختلف تماماً .

(٥) ع ح : صبيحة .

في جماعة من^(١) انضم إليه في وقت الهزيمة ممن كان معه ، فلما علموا هرب زيادة الله تفرقوا عنه وقصد كل قوم إلى ناحية بلدهم ، فدخل إبراهيم بن أبي الأغلب إلى مدينة القيروان وقصد دار الامارة فنزل بها ، ونادى مناديه بالأمر في تسكين الناس ، وأرسل إلى جماعة الفقهاء ووجوه أهل القيروان فأتوه . وتسامع الناس بمسيرهم إليه فأتوا دار الامارة ، فاجتمع على بابها خلق عظيم^(٢) ، وحضر وقت صلاة الظهر ، فأذّن المؤذّنون وسلموا عليه بالإمرة ، وأدخل الفقهاء والشيوخ إليه ، فذكر لهم أحوال زيادة الله وما كان عليه من سوء الحال وأن ذلك هو الذي أدخل بدولته وقوى عليه عدوه وسلبه ملكه ، وذكر أبا عبد الله وكتامة وشنع عليهم أقبح الأشانيع وخوف من ناحيتهم^(٣) وقال : [١٣٩] إنما قصدت إليكم وجئتكم لأجاهد^(٤) عن حريمكم ودمائكم وأموالكم فأعينوني على ذلك بالسمع والطاعة ، وأمدوني بأموالكم ورجالكم ، ودافعوا عن مهجكم وحرمةكم وأموالكم ، فقالوا : أما السمع والطاعة فهما علينا لك ولكل من ولينا ، وأما عونك بأموالنا وأيدينا فنحن سوقة تجار وباعة فأموالنا لا تبلغ ما تريده ، والقتال فما لنا به قوة ولا نطقه ، وأنت قد^(٥) ناصبت هؤلاء القوم ومعك صناديد أهل الحرب ووجوه رجاله ووراءك بيت المال تستمد منه فلم تطقهم ، أفنتطبق ذلك بنا نحن وأموالنا ؟ فراجعهم في ذلك وراجعوه حتى قال لهم : فانظروا ما كان في أيديكم من أموال الأقباس والودائع فأعطوني ذلك سلفاً لينادي بالعطاء ويجتمع الناس

(١) ح ع : ممن .

(٢) ع : كثير ، وسقطت الكلمة من ح .

(٣) في الكامل ٨ : ٤٥ « وصغر امر أبي عبد الله الشيعي » .

(٤) م ح : لجاهدهم .

(٥) ح : فقد .

إلي ، فقالوا له : وما عسى أن يكون في الأحباس والودائع ؟ ولو مددت يدك إليها لأنكر الناس ذلك وقاموا فيه . فلما يشس منهم صرفهم فخرجوا والناس مجتمعون على باب دار الامارة لا يعلمون ما كان من الكلام .

فلما خرجوا وأخبروهم بما كان منه صاحوا به : اخرج عنا لا نبئنا من أجلك ، وأجلب الغوغاء وصاحوا : تؤخذ وتكبل . وشتموه . فلما سمع ذلك ركب ومن كان معه في سلاحهم واقتحموا الباب ، فهرب من كان على الباب بين أيديهم وأفرجوا لهم ، وأخذتهم الحجارة من فوق البيوت وهم يتقون ويركضون دوابهم حتى خرجوا من المدينة . ومضى ابن أبي الأغب ومن [١٤٠] كان معه وانضم إليهم من بقي بعد زيادة الله من رجاله ممن خاف على نفسه فلحق بزيادة الله .

وكان يؤثر في أخبار ما يكون أن أول أمراء بني الأغب إبراهيم وآخرهم إبراهيم ، فلما ولي إبراهيم ذلك اليوم بالقيروان^(١) قال الناس : هذا الذي كان يقال آخرهم إبراهيم ، وكان يؤثر في بني مروان أن أولهم مروان^(٢) وآخرهم مروان^(٣) ، فكان ذلك كما قيل . وكذلك يؤثر أن أولهم بالأندلس عبد الرحمن وآخرهم عبد الرحمن .

(١) م ع : القيروان .

(٢) ان اولهم مروان : سقطت من ح .

(٣) اعتبر هنا مروان بن الحكم أول المروانية من خلفاء بني أمية لأن معاوية وابنه وحفيده يمثلون الفرع السفاني .

ذكر دخول أبي عبدالله افريقية ونزوله برقادة

واستقامة الأمور له

ووافى أبا عبدالله الخبر بهرب زيادة الله وقد خرج من دقة من قبل أن يصل إلى^(١) سببية^(٢) ، فأخذ على سكتانة^(٣) ونزل وادي الرمل^(٤) فبات به . فلما أصبح قدّم غزوية بن يوسف^(٥) وحسن بن أبي خنزير في ألف فارس إلى رقادة . وأمرهم أن لا يعترضوا^(٦) أحداً بمكروه . فوصلوا إلى رقادة وأصابوا الناس بها ينتهبون الطعام وما بقي من خسيس الحرثي . فلما رأوهم تفرقوا وخافوا منهم ، فأمنوهم ولم يعترضوا^(٧) لهم ، وتركوا لكل واحد منهم ما كان معه قد حملة ومنعوا ما بقي ، فأتى من كان برقادة إلى القيروان فأخبروا بالخبر ، فابتهج الناس بذلك وسروا به .

وخرج شيوخ أهل القيروان وفقهاؤهم لتلقي أبي عبدالله، فلقوه وسلموا

ع

(١) الى : سقطت من ح .

(٢) سببية (Sbiba) (وتصحف اسمها في نسخة م الى « سبية ») : مدينة بتونس على الطريق بين الكاف وسيطة ، على بعد نحو ٢٢ ميلاً الى الشمال من سيطة (Tunisia, p. 373) وانظر في وصفها صورة الارض : ٨٤ ومسالك البكري : ١٤٦، ٤٩ والاستبصار : ١٦١ ووصف افريقية : ٨٨ ومعجم البلدان ٣ : ١٨٦ ، وضبطها ياقوت بفتح الباء ، والمشهور اليوم بسكونها) .

(٣) م ع : سكتانة .

(٤) في الكامل ٨ : ٤٦ : وادي النحل ، ووادي الرمل لا يزال قائماً الى اليوم (انظر ما سبق ص : ٢٠١ الحاشية رقم ٧) .

(٥) ابن يوسف : سقط من ع ح .

(٦) م : يعترضوا .

(٧) ع : يعترضوا .

عليه وهنأوه بالفتح ، فأقبل عليهم بوجهه ورد عليهم أحسن الرد^(١) وأمرهم فركبوا دوابهم ودعا بهم فاستصحبهم [١٤٢] وحدثهم وآمنهم في أنفسهم وأموالهم^(٢) ، فأعجبهم ما رأوه من تواضعه وحسن عشرته وأخبروه بنجر ابن أبي الأغلب وما كان منه إليهم ووصفوا له رغبتهم فيه وميلهم نحوه ، فقال لهم : قد أخذتم بحظكم ونظرتم لأنفسكم وعملمت لما فيه نجاتكم وصلاح حالكم وما يعود بالنفع لكم في عاجلكم وآجلكم . ثم أخذوا يذكرون له أخبار زيادة الله ويصفون سوء حاله ومساويه ، وأبو عبد الله ساكت عن ذلك ، حتى إذا أكثروا فيه قال لهم : أئمتة الذين ولوه وقدموه وآباؤه من قبله وآباؤهم من قبلهم أسوأ حالاً منه ؛ فلو علمتم ورأيتم أحوال بني العباس وما هم عليه من الفسق وسوء الحال لما تعاضمكم ما رأيتموه من هذا . وما وصفتموه من وهنه وضعف أمره . فما أبقى في المدافعة والاجتهاد بما قدر عليه وأمكنه ؛ ولقد كان له من القوة والمنعة ما رأيتموه . ولكن أمر الله لا يدافع ولا يغالبه مغالب . وأولياء الله المنصورون وجنده الغالبون . ومن حزمه وشدة أمره هربه بين أيدينا إذ لم ير أن له بنا طاقة . فعلم القوم أنهم قد أخطأوا فيما وصفوه من وهن زيادة الله لأنه كان يقال : من صغر أمر مقتول صغر أمر قاتله . فامسكوا عن ذلك وأخذوا في شكر أبي عبد الله والثناء عليه والدعاء له والرغبة إليه في حسن السيرة فيهم والصفح عن مسيئتهم . وكل ذلك يسمعهم خيراً ويعدهم به إلى أن وصل إلى رقادة . وهم كذلك يمشون حوله [١٤٣] . فنزل بها وأذن في الانصراف لهم فانصرفوا إلى

(١) م ع : رد .

(٢) انظر موقف كتامة من امان ابي عبد الله لاهل القيروان في البيان ١ : ١٥٠ . هذا وفي البيان تفصيلات لم ترد هنا عن حال اهل القيروان ولقائهم لابي عبد الله .

مدينة القيروان ، واستعمل عليهم حسن بن أحمد بن أبي خنزير .

وكان دخول أبي عبدالله يوم السبت غرة رجب سنة ست وتسعين ومائتين ، وهي السنة والشهر اللذان تقدمت الروايات والأخبار عما يكون فيهما ، وقد ذكرنا ذلك في أول الكتاب^(١) . ونزل أبو عبد الله ببعض قصور رقادة و فرق^(٢) دورها على كتامة ، ولم يكن بقي بها أحد من أهلها ، فنزل بها جميع كتامة ، ونزلوا أيضاً بالقصر القديم في دور الهاربين مع زيادة الله وفيما حوله من الأرباض وحول رقادة ، فكانوا كالجراد المنتشر ، ورأى الناس من جمعهم ما لم يظنوا أنه يجتمع مثله لأحد من الناس ، ونظر الناس منهم من حسن السمع والطاعة والعفاف والسكينة إلى ما صدق عندهم ما كان يُحكى عنهم لهم : لم يبسط أحد منهم يده إلى شيء ، ولم يتعدّ ما قيل له ، ولا خالف ما أمر به ، كأنهم^(٣) قيام في الصلاة أو عليهم من غيرهم حَفَظَةً يأخذون على أيديهم ويمنعونهم .

ذكر ما أمر به أبو عبدالله من أمان العامة
وما أجراه فيها من وجوه الضبط والسياسة

ولما استقر أبو عبد الله برقادة ، أمر منادياً فنادى بالقيروان^(٤) بالأمان التام للعامة ورجوع من كان تنحى عن وطنه إليه ، فرجع الناس إلى أوطانهم ، وقرروا في قرارهم ، وأخرج العمال إلى البلدان ، ونادى فيها بالأمان وبطلب

(١) راجع ما تقدم ص : ٣٤ .

(٢) م ع : وافرق .

(٣) م ع : كأنما هم .

(٤) م : في القيروان .

أهل الذعارة^(١) والفساد ، فأنكاهم عقوبة ، فسكنت الدهماء وأمنت السبيل ومشى^(٢) السيارة وخاف [١٤٤] أهل الأذى والذعارة ، وقتلوا حيثما ثقفوا ، وطلبوا أين توجهوا . وأمر بقطع شرب المسكر وكل ما ظهر من المنكر^(٣) ، ونشر العدل وأذاعه ، واستوت الأمور واعتدلت ، واشتدت المملكة وقويت . وأمن^(٤) كل خائف كان يتولى شيئاً من خدمة زيادة الله ومن بقي من أهل بيته وعبيده ومواليه وموالي آباءه ومن كان يتصل بأسبابهم ، فأمنوا وظهروا وانتشروا ، واتصلوا به وبرجاله ، ودخلوا في خدمته وأعماله . وولّى قضاء مدينة القيروان محمد بن عمر المروزي^(٥) . وكان له تشيع قديم ونظر في الفقه من قول الأئمة عليهم السلام . وجعل إليه تولية القضاة والحكام بسائر البلدان ، وكان يكتب في كتبه وسجلاته : من محمد ابن عمر قاضي القضاة ، وكان توليته اياه في أول شهر رمضان من سنة ست وتسعين ومائتين ، وأمر بجمع ما ظهر من أموال زيادة الله وعبيده وسلاحه ودوابه ومن بقي له من الجوارى ، فجمع ذلك على ما ظهر منه من غير أن

(١) م : الزعارة .

(٢) ع ح : ومشت .

(٣) في البيان ١ : ١٥١ « وأمره بقتل من خرج ليلاً او شرب مسكراً او حمله او وجد عنده » .

(٤) ح : وآمن .

(٥) هو محمد بن عمر بن يحيى بن عبد الاعلى المروزي ، من جند خراسان ، كان متشيعاً من قبل وقد ولاه ابو عبد الله القضاء يوم الخميس لاثني عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة ٢٩٦ ، واقره المهدي على القضاء سنة ٢٩٧ ، وظهر منه تشدد في المذهب . وتوفي في العذاب برقادة سنة ٣٠٣ (انظر علماء افريقية للخشني : ٢٣٩ والبيان ١ : ١٥١ - ١٥٢ ، ١٥٩ ، ١٧٩) .

يطلب فيه أحداً^(١)، واجتمع له من الجوارى اللاتي كنّ لزيادة الله جماعة
لهن جمال ومقدار، فسأل عن من يكفلهن ويحوظهن، فذكرت له امرأة
كانت عند زيادة الله تقوم عليهن يقال لها روند، فأحضرها إليه وأعطاهما
وأحسن اليها وأمرها بحفظهن والقيام عليهن وإقامة ما يجب لهن وأن ترفع
إليه ذلك ليأمر لهن بكل ما يصلحهن فقالت: أيها السيد الكريم^(٢) اعزك
الله، أمرت بأمر وشرطت القيام [١٤٥] عليهن ورفع ما يحتجن إليه
ويصلحهن اليك^(٣) والذي يصلحهن ما عودته وجريته عليه وغدّين به
ونشأن فيه، قال: وما هو؟ قالت: الطعام الطيب، قال: يقام لهن من
ذلك أفضل ما كنّ يعرفن منه، قالت: واللباس الحسن والفرش والدثار
والوظء^(٤) اللين، قال: يقام لهن من ذلك ما يعرفن وفوقه، قالت: وشيثان
آخران إن أذن السيد فيهما ذكرتهما، قال: اذكري ما بدا لك، قالت:
عودن الشراب، قال: هذا شيء لا يجدهن عندنا، فاجعلي لهن من التوسعة
عليهن ما يكون عوضاً لهن^(٥) منه، قالت: ويردن من الرجال ما يريدن
الرجال منهن، قال: هذا لمولاهن وهو عن قريب يأتي اليهن إن شاء الله
تعالى، فأحسني لهن القول في ذلك والوعد به وقومي عليهن، وأمر لها
بكل ما أرادته لهن من طعام ولباس وفرش ودثار ونفقة على أفضل ما عرفن
من ذلك. وما نظر إلى واحدة منهن ولا عرف لها صفة إلا بالخبر إلى أن

(١) قارن بما في البيان ١ : ١٥٠ حيث يذكر ابن عذاري بعض ما قام به أبو عبد الله من
القتل في المدينة .

(٢) الكريم : سقطت من م ح .

(٣) ويصلحهن اليك : سقطت من ع ح .

(٤) ح ع : الوطء .

(٥) ع ح : لهن عوضاً .

قدم المهدي عليه السلام فصرن اليه ووجدهن على أفضل حال من القيسام
عليهن .

ولما حضرت الجمعة أمر بإقامتها ، وقدم خطيباً بجامع رقادة وخطيباً
بجامع القيروان ، وكتب بذلك إلى البلدان ، وأمر في الخطبة بالصلاة على
محمد وعلى آله^(١) وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب^(٢) وعلى الحسن
والحسين وعلى فاطمة الزهراء [١٤٦] صلوات الله عليهم أجمعين^(٣) ،
وأمر يوم دخل بالاذان بحجّي على خير العمل^(٤) . وأمر بضرب السكة ،
ولم ينقش فيها اسماً لأحد ولكنه جعل مكان الأسماء من وجه : « بلغت
حجة الله » ومن وجه آخر : « تفرق أعداء الله » ، ونقش سكة أخرى
جعل فيها مكان ذلك : « الحمد لله رب العالمين »^(٥) ، ونقش على السلاح :
« عدة في سبيل الله » ، ووسم الخيل^(٦) : « الملك لله » ، ونقش في حصص
خاتمه : « فتوكل على الله ، انك على الحق المبين » ، وفي الخاتم الذي يطبع
به كتبه : « وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع

(١) م : وعلى آل محمد .

(٢) ابن أبي طالب : سقطت من ع ح .

(٣) وعلى الحسن ... اجمعين : سقط من ع .

(٤) زاد في البيان ١ : ١٥١ : واسقط من اذان الفجر « الصلاة خير من النوم » ؛ وقد
لاحظ المؤرخون ان ابا عبد الله لم يأمر بالخطبة لاحد (انظر الكامل ٨ : ٤٧ والعبر
٤ : ٣٦) .

(٥) زاد في البيان ١ : ١٥١ : وسميت « السيدية » .

(٦) في المصادر جميعاً : على افخاذها (انظر الكامل ٨ : ٤٧ والبيان ١ : ١٥١ والعبر ٣ :
٣٦٤ والانتعاظ : ٦٤ والخطط ١ : ٣٥٠) .

العليم» (١) .

وأقام على ما كان عليه من لباس الدون من الثياب والخشن ، لم يغير ذلك ولا غيره أحد من رجاله ، وكانوا إذا قيل لهم : البسوا ، قالوا : ما نلبس لباس الجبارين . وبقوا على ما اجراهم عليه واعتادوه ، وهم على ذلك في سعة من دنياهم وقد ملكوا وأفادوا مما أفاء الله عليهم نعماً كثيرة ودنيا واسعة عريضة ، وهم في ذلك على حالهم من التواضع والكفاف الا فيما يقوون به على الجهاد من الخيل والسلاح والعدة ، فانهم كان لهم من ذلك ما لم يكن لأحد مثله ، وذلك أن جميع ما كان في خزائن بني الاغلب من ذلك وعند جميع رجالهم انتقل اليهم وصار في أيديهم مما افاءه (٢) الله عليهم . وكانت عندهم خيول لم ير الناس مثلها (٣) فيما رأوه جودةً وعتقاً وفراةً وصلاًحاً (٤) ، ليس فيها ساقط ولا منها [١٤٧] ضعيف .

وكان قد خلف المعروف بأبي المقارع أبا القاسم الحسن بن أحمد بن نافذ (٥) والقوم الذي كانوا معه بطبنة ، بايكجان ، فكتب اليه بالقدوم ، فلما قدم اليه ودخل عليه (٦) قام اليه فسلم عليه ، وكان ذلك عادته فيمن يدخل

(١) زاد في البيان ١ : ١٥١ : وكتب في بنوده « سينهزم الجميع ويولون الدبر . وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً » وآيات كثيرة من القرآن في هذا المعنى .

(٢) م : افاء .

(٣) ح : مثله .

(٤) ح : وسلاًحاً .

(٥) ح : ابا القاسم بن الحسن ، وقد مر قبل ان اسمه الحسن ، وسقطت « ابن نافذ » من ع ، وجاء الاسم بحالة الجر في م ع معطوفاً على « بأبي » ؛ وتصحف « نافذ » في م الى « فافل » .

(٦) في م : قدم عليه ودخل اليه .

اليه من بعد عهده عنه ، واذا سلم عليه المسلم من يدخل اليه فقبل يده
قبل هو أيضاً يده ، وأقام كذلك على ما اجراه بكتامة ، وكان ابو المقارع
يقول له وهو بايكجان اذا رآه يفعل ذلك^(١) : اذا فتح الله عليك افريقية وصرت
اليها قطعت هذه العادة ولم تستعملها ، فان أهل افريقية لا يعرفون ذلك
من امرائهم ولا يصلحون عليه ، فيقول له : إذا كان ذلك استعملنا لهم^(٢)
ما يصلحهم ان شاء الله ؛ فلما دخل عليه وقام اليه قال له : يا سيدي ، ألم
يكن بيني وبينك ترك هذا وأنه لا يصلح في هذا المكان ؟ قال له : يا أبا
القاسم^(٣) الحق يصلح في كل مكان .

وكان نسخة الكتاب الذي كتبه^(٤) إلى البلدان بالامان :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله
محمد النبي وعلى اهل بيته الطاهرين ؛ أما بعد فالحمد لله الناصر لأوليائه لما
سبق لهم من وعده ، والخاذل لأعدائه^(٥) بعد الاعذار اليهم بوعيده ، الذي
لم يجمع بين أنصار الحق واتباع الباطل في موطن من موطن التحاكم الا
وهباً لأنصار دينه النصر وأيديهم بالعز وأنزل بأعدائه البؤس^(٦) [١٤٨]
والنقمة والدمار والهلكة ، اظهراً لفضل منزلة الحق عنده ، وإذلالاً لمن
عند عن سبيله وصدف عن حقه ، حمداً يرضاه ويتقبله ويحسن المزيد

(١) زاد في ح : قال .

(٢) لهم : سقطت من ح .

(٣) له ... القاسم : سقط من ح .

(٤) ع ح : كتب .

(٥) ح : خاذل أعدائه .

(٦) ح ع : البأس .

عليه من فضله . وإني لم أزل بحمد الله ونعمته مذقت لله بواجب حقه ذاباً عن دينه ، طالباً ثأر أوليائه ، آمر بالمعروف وادعو إليه ، وانهي عن المنكر واحذر منه ، وأحيي^(١) ما أماته الظالمون من معالم الحق ، وأجاهد أعداء الله المارقين المغتصبين حق آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أقدم الموعدة الى بني الاغلب والانذار بانتقاص أطرافهم ، وتطرق مدائنهم ، طمعاً في^(٢) انابتهم الى الحق ، ورجوعهم اليه ، واقرارهم به ، ودخولهم تحت لوائه . متوقفاً^(٣) عن التقحم عليهم رجاء حقن دماء المسلمين ، فكلما ازددت في الرفق بهم بصيرة ، ازدادوا في الضلال تمادياً ، وعلى ظلم عباد الله تعاوناً ، وعلى المعاصي جراءة ، وفي الغي إقداماً ، وبالاملاء لهم اغتراراً قد اتخذوا مال الله دولاً ، وعباده بينهم خولاً ، لا يرجعون الى تقيه ، ولا يرعون لله إلا^٤ ولازمة . فلما يثت من انابتهم وانقطع طمعي من توبتهم ، رأيت انه لا يسعني ترك مناجزتهم ، فقصدت ببعض جيوشي المنصورة وعساكري المؤيدة مجتمع جيوشهم بالأربس ، واثقاً بالله ، متوكلاً عليه ، منتجزاً ما^(٤) وعد أوليائه في من نصب لهم وعاداهم وتولى سواهم فمنح الله اولياء دينه اكتافهم^(٥) فقتلوهم ابرح القتل في كل واد ومغارات [١٤٩] ومدخل ، وتفرق من سلم منهم شذوذاً ، قد استأصل الله شأفتهم ، وكسر شوكتهم ، واجتاح ناجمهم ، ووصل فلهم الى المخدول زيادة الله فأسلم ملكه ، وخرج هارباً قد اوبقته ذنوبه ومعصيته ، وأسلم أهله

(١) ح : احيي .

(٢) ح : الى .

(٣) ح : متوقفاً .

(٤) ح : بما .

(٥) م : اكتافهم .

وماله وولده وأهل بيته ، وكان في فراره اعظم الخيرة للمسلمين في حقن دماهم ، وقطع ظلمه وجوره عنهم ، فسدت على حرمه ستر العفاف^(١) وحفظت منهن ما لم يحفظه من دماهن احتساباً لثواب الله واتباعاً لقوله جل ذكره ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ (الانعام : ١٦٤) بعد ان كنت عزمت على الانصراف لاختف الوطأة على اهل القيروان رفقاً بهم ، واعذاراً اليهم ، حتى أتاني رسولهم ، وتلقاني علماءهم وشيوخهم ، يسألوني^(٢) الامان لهم ، والحوطة عليهم ، ويرغبون في ذلك الي ، فأجبت سؤالهم ، وحققت آمالهم ، وسكنت دهماءهم ، وشملت بالامان البريء والنطف ، والبر والفاجر منهم ومن غيرهم بعد ان أحاطت بهم العساكر المنصورة والجيوش المؤيدة ، وتلافيت نفرة النافر ، وقبلت فيئة^(٣) الراجع ، واقلت المستقيل طلباً لعظيم ثواب الله الجزيل . وانتم معشر اهل بلد كذا داخلون فيما ادخلتم فيه ، وصاثرون من الامان والحفظ والحوطة الى ما اصرتهم^(٤) اليه ، ما قبلتم ذلك وما اقبلتم عليه ، وعرفتم [١٥٠] فضل النعمة عليكم به ، فاسمعوا وأطيعوا ، واثبتوا وأجيبوا ، واحمدوا الله ربكم على ما وهب لكم ودافع عنكم ، وكونوا في الحق أعواناً ، وعلى اماتة الباطل انصاراً ، تظفروا بحظكم ، واشكروا الله على انعامه عليكم ، يدم لكم ذلكم ويزدكم ، ولا تكفروا^(٥) فيوقع بأسه بكم ، فانه يقول وهو أصدق القائلين : ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾ (ابراهيم : ٧٠) .

(١) م : ع : العاف .

(٢) ع ح : يسألوني .

(٣) م ع : فئة ، وهو خطأ .

(٤) ح : امرتهم .

(٥) م : تكفروه .

وزاد في نسخة هذا الكتاب إلى أهل صقلية : وانتم معشر أهل جزيرة صقلية احق بما اوليته^(١) من المعروف والاحسان وازديته ، واولى به وأقرب اليه ، لقرب داركم من دار المشركين ، ولجهادكم^(٢) الكفرة الظالمين ، وسوف املأ ان شاء الله جزيرتكم خيلاً ورجلاً^(٣) من المؤمنين الذين يجاهدون في الله حق جهاده ، فيعز الله بهم الدين والمسلمين ، ويذل بهم الشرك والمشركين ، والحول والقوة لله العلي^(٤) العظيم ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

فلما قرئت كتبه في البلدان^(٥) امن أهلها واطمأنوا وسكنوا وشكروا وهدأت روعاتهم ، وأتوه وفوداً من كل بلد يشكرون له ويهتثونه ، ورأوا من عدله ورفقه وحسن سياسته ما زادهم غبطة وسروراً به^(٦) .

ذكر مسير زيادة الله ووصوله إلى المشرق وأخباره إلى أن هلك^(٧)

ولما خرج زيادة الله من رقادة ، [١٥١] خرج معه وجوه رجاله وعبيده وحماته ممن كان قد حضر في وقت خروجه وتقدم اليه في الخروج معه

(١) زاد في ع م : واسديته .

(٢) م : وبجهادكم ؛ ع : وبجهاد .

(٣) ح : ورجالاً .

(٤) العلي : سقطت من ح .

(٥) ح : البلاد .

(٦) به : سقطت من م .

(٧) زاد في ع : لعنة الله عليه .

ولحق به من لم يكن في الحضرة بعد ذلك ممن عرف به وخاف على نفسه ، ولحق به أيضاً ابن أبي الأغب فيمن انضم اليه ممن انهزم معه من مدينة الاربس ، فاجتمع معه^(١) خلق عظيم ، فسار بهم حتى أتى مدينة طرابلس فدخلها ، وقصد الى^(٢) دار الامارة فنزلها ، وافترق رجاله في المدينة ، وعامله عليها يومئذ ابن قرهب^(٣) ، ولم ير عبد الله بن الصانع خرج معه ، فتحقق عنده ما كان يرمى به من مكاتبة ابي عبد الله .

وكان ابن الصانع قد وتر جماعة^(٤) رجال زيادة الله وعاداهم وحسدوه لقربه منه وغلبته على أمره ، فأطبقوا بأجمعهم عليه وحققوا عند زيادة الله مكاتبته لأبي عبد الله ، ولم يكن كاتبه ، الا أنهم شنعوا ذلك عليه ليقتلوه فلم يقبل ذلك منهم فيه . وأتوه برجل ممن كان صار الى ابي عبد الله ، فشهد عليه بذلك فرد شهادته ودفعه اليه فقتل^(٥) ، فيشوا من بغيه عنده إلا أنهم كانوا قد انطوا على عداوته وبغضته ، وكان سبب تخلفه عن

(١) م : به .

(٢) الى : سقطت من .

(٣) ابن قرهب هو احمد بن زيادة الله بن قرهب ، من كبار رجال الاغالبة ، وقد قدمه اهل صقلية عليهم سنة ٢٩٧ لما لم يرضوا عن والي المهدي ، فدعاهم الى الدعوة للمقتدر العباسي ، فأتته الخلع من المقتدر . وقد قام ابن قرهب بغزوات كثيرة في قلورية وافريقية ، واحرق اسطولا للمهدي وقتل مقدمه احمد بن ابي خنزير . لكن ما ان هزمه اسطول آخر للعبيديين حتى ثار به الناس وكاتبوا المهدي فيه فأخذ أسيراً سنة ٣٠٠ وقتل مع اصحابه على قبر ابن ابي خنزير (الكامل ٨ : ٧١ والبيان ١ : ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٧٤) .

(٤) كذا في النسخ جميعاً ، وكتب فوقها في ح : جميع .

(٥) ح : فقتله ؛ ع : فقتلوه .

الخروج مع زيادة الله ولانه^(١) خافهم على نفسه ، فلما لم يخرج معه أكثروا القول فيه عنده وحققوه وصدقهم هو^(٢) وندم على تركه اياه .

وكان عبدُ الله بن الصانع قد ركب البحر من [١٥٢] سوسة في مركب كان له هناك يريد صقلية ، فصرفته الريح إلى طرابلس ، فبينا زيادة الله بها اذ حط المركب وأرسي مراسيه^(٣) ، فنزل ابن الصانع لما علم أن زيادة الله هناك ، وأتاه وأراه أنه قصد اليه ، فأدخله اليه فأدناه وقربه وعاتبه في تخلفه ، فاعتذر اليه بأنه كانت معه ثقله وانه لم يطق حملها^(٤) في البر ، فكان ذلك قد اذهب عنه كثيراً مما ظن به . فاغتم رجاله لذلك وساءهم تقريبه اياه وأكذبوا قوله واتوه ببعض من كان في المركب فأخبره أنه لم يكن يريد الا صقلية ، فعلم أنه لم يكن كاتب ابا عبد الله وانه لو كان كاتبه لأقام بافريقية ، وعلم أن قصده إلى صقلية إنما كان خوفاً على نفسه من رجاله ؛ ورأى تغيرهم عليه^(٥) ، وعلم أنهم لا يصلحون له معه^(٦) ، وخاف أن يفتق عليه منهم من أجل ذلك فتق ، فانقبض عنه بعض الانقباض وقال له : أردت أن تلقيني في يد الشيعي وعملت علي ، قال : وكيف ذلك يا سيدي ؟ قال : ألم تقل لي وأشرت علي يوم أردت الخروج بالمقام ، وقد انحلت عساكري وتفرق أصحابي ، فما أردت بهذا إلا أن ترحلني^(٧) ،

(١) ح : لانه .

(٢) هو : سقطت من ح ؛ وفي م : وصدق هو .

(٣) م : بمرسى .

(٤) ح : على حملها .

(٥) ح ع : فيه .

(٦) ح : معه له .

(٧) م ع : توجلي .

قال : معاذ الله والله^(١) ما أردت إلا تسديد حالك وان تقفو اثر سلفك ،
فقد حوصر [١٥٣] جدك زيادة الله بالقصر القديم اثني عشرة سنة ثم
كان الفتح له . فلم يقبل ذلك منه وأقصاه وأبعده ، فألح عليه فيه من كان
معه من رجاله حتى خاف أن يفسد أمرهم عليه من أجله ، فأمر به فقتل^(٢) .
وأقام زيادة الله بطرابلس أياماً كثيرة .

وكان أبو العباس أخو أبي عبد الله لما هرب من الحبس تسلل فصاه
إلى طرابلس ، فلحقه زيادة الله بها ، وكان زيادة الله لما أتى به برفادة
حبسه ، فلما زحف إليه مدلج خرج يومئذ مع^(٣) جماعة أهل السجن ،
فاستخفى بمدينة القيروان مدة وطلب وجعل عليه الرصد . فخاف إن خرج^(٤)
إلى ناحية أبي عبد الله أن يظفر به ، فتسلل إلى أن وصل إلى طرابلس ،
فلما وصل إليها زيادة الله أخبر بخبره وأتى به إليه فقال له : قد أمكننا الله
منك ، وقرره هل هو اخو أبي عبد الله فأنكر ذلك وقال : أصلح الله الأمير ،
إنما أنا رجل تاجر قدمت من المشرق ببضاعة فبغيت عندك فأخذت واعتقلت
وحيل بيني وبين نعمتي ، ولو كنت من الرجل الذي نسبت إليه بسبيل
لكنت قصدت إليه وسرت نحوه ، ولكن لما تخلصت من السجن قصدت
إلى بلدي ، قال له : فإذا كان هذا هكذا فسر معنا حتى نوصلك إلى بلدك
ونعرف صدق ما قلت وما قيل فيك من كذبه ، قال : أعز الله الأمير ،
انك قد وسمتني بهذه السمة ونُسبت عندك إلى ما نُسبتُ إليه ، وانت تصل

(١) والله : سقطت من ع ح .

(٢) وردت في قصة قتل ابن الصانع (الصائع) في البيان ١ : ١٤٩ تفصيلات لم ترد هنا .

(٣) مع : سقطت من ح .

(٤) ع ح : يخرج .

إلى موضع يحكم فيه غيرك ، [١٥٤] فأخاف أن أؤخذ فأحبس فأهلك دون ان يُتَبَيَّنَ أمري ، وأمر المشرق بعيد وبلدي منقطع ، فاتق الله في ولا تعرض بي إلى الهلاك ، فقال له : لا يخلو أمرك من ان يكون كما قيل فيك أو كما قلت ، ونحن نبقىك ، فإن كان الأمر على ما قيل فيك وكنت^(١) للصنيعة موضعاً فستحفظنا فيمن خلفناه ، وإن كنت كما قلت لم نتعرض لأثمك . وخلي سبيله .

وكان المهدي عليه السلام قد أمر بمن خلفه من الحرم والخدم أن يأتوه . فأتى بهم شيخ من ثقاته وأوليائه يقال له أبو جعفر الخزري^(٢) ، فوافى أيضاً زيادة الله بطرابلس وهم معه ، وكان يجتمع مع أبي العباس قبل قدوم زيادة الله وبعد قدومه بالمسجد الجامع فيتناظران في العلم بحضرة أهل المسجد ويظهر كل واحد منهما خلاف صاحبه والظعن عليه والبراءة^(٣) منه ويكفره . فلم يكن يظن بالخزري مما هو عليه ولا انه إليه ، ودخل إلى زيادة الله وسلم عليه ، وكان يظهر الغم به والتوجع لأمره . وخرج زيادة الله يوم خرج من مدينة طرابلس فمشى تحت ركابه وهو يبكي ويُسِيلُ^(٤) دموعه على لحيته ويقول : لمن خلفتنا يا سيد العرب ، وزيادة الله يُسَمِعُهُ خيراً ويقبل عليه ، فقيل له بعد ذلك : قد يكون الكلام تصنعاً ،

- (١) ح : كنت .
(٢) اختلفت النسخ في كتابة هذا الاسم فجاء في ع : « الخدري » وفي م « الخذري » ، واثبتنا ما في ح لاتفاقها مع ما في البيان ١ : ١٥٠ ، وفي نسخة من البيان : الخزري ، كما في سيرة الحاجب جعفر : ١١٠-١١١ . وكان ابو جعفر هذا من كبار الدعاة ، وكان مقرباً من المهدي وقد توفي برفادة (سيرة الحاجب جعفر : ١١٠-١١١) .
(٣) ح : بالبراءة .
(٤) م : وتسيل .

فمن أين كانت لك الدموع وكيف تهباً لك البكاء؟ قال : والله إن كان ذلك إلا غماً بخلاصه ونجاته .

ولما خرج زيادة الله من [١٥٥] مدينة طرابلس مشى معه شيوخها ووجهها ، فلما خرج من باب المدينة صرفهم وقال : اغلقوا باب مدينتكم على أنفسكم ولا تفتحوها لأحد إن رجع من ورائي اليكم . وسار فلما أبعده بدا له في أمر أبي العباس فأراد قتله^(١) فرد ابن قريظ في طلبه ليأتيه به ، فأتى ابن قريظ مدينة طرابلس - وهو كان عاملها - فلم يفتحوا له وقالوا : قد أمرنا الأمير أن لا نفتح لأحد ، قال : فاخرجوا إليّ الرجل ، قالوا : ما نعرف أين هو ؛ فلما يئس منهم مضى فلحق بزيادة الله فأخبره الخبر فأعرض عنه وسار .

وكان زيادة الله قد نقم على إبراهيم بن أبي الأغب ما أراده من العقد بمدينة القيروان . واتصل به قوله لأهلها فيه . فاطرحه وأعرض عنه . وكان أبو المصعب^(٢) ابن زرارة مائلاً إلى ابن أبي الأغب . فأعرض عنه أيضاً زيادة الله ، واتصل انهما يقعان فيه وينالان منه . وسعي بهما عنده وقيل : هذا قولهما فيك وهما معك وفي قبضتك . فكيف بهما ان وصلا إلى مصر؟ سينالان منك ويشهرانك بسوء وينسبان اليك^(٣) كل قبيح . فعزم على قتلها ، وكان ذلك وقد قرب من مصر . واتصل بهما الخبر فهربا في الليل إلى الاسكندرية واستجارا بعاملها فأجارهما ووجه بهما في الوقت إلى مصر

(١) فأراد قتله : سقط من ع ح .

(٢) كذا أيضاً في البيان ١ : ١٧١ ، وفي الدرر : ٤١ : أبو المصعب : وكانت وفاة ابن زرارة سنة ٣٠٣ (انظر البيان ١ : ١٧٣) .

(٣) ح : بك .

فدخلها قبل زيادة الله ، وانتهى ذلك اليه وعلم أنهما سيقعان فيه عند عامل مصر وكان العامل يومئذ عليها عيسى النوشري^(١) [١٥٦] فوصلا اليه فنالا من زيادة الله عنده وأخبراه بسوء حاله وبأن ذلك كان سبب زواله من افريقية وأنه يمضي نفسه بمصر ، فوقع ذلك من النوشري موقعا ، وعزم على أن يحول بينه وبين الدخول إلى مصر إلى أن يكتب فيه إلى بغداد ويأتي جوابه .

وكان زيادة الله قد بعث إلى من كاتبه بمصر سراً يستخبر حال ابن أبي الأغلب وأبي المصعب ، فجاءه الخبر بما كان منهما وما عزم عليه النوشري من منعه دخول مصر ، فأرسل ابن القديم بكتاب إلى النوشري يستحله له فيه ويسأله النظر في دار ينزل بها^(٢) ويخبره أنه مقيم إلى أن ينصرف اليه رسوله . فلما أنفذ ابن القديم بالكتاب سار في اثره فوصل ابن القديم في آخر النهار . فلما قرأ النوشري الكتاب رأى أنه سيقم^(٣) حتى يرجع اليه رسوله ، وعزم على أن يرسل من غد اليه بالمقام ويخبره أنه لا يمكنه إدخاله مصر الا عن امر يأتيه . فلما كان في آخر الليل وافى زيادة الله الجسر ، فقام في وجه الحرس فحمل عليهم فكشفهم عن الجسر ودخل الجزيرة^(٤) بجميع عساكره ، وقامت الصيحة بالجزيرة فقطع دونه الجسر

(١) هو عيسى بن مخلد النوشري : ولي اصبهان سنة ٢٨٣ ، وكانت له وقائع مع بكر بن عبد العزيز بن ابي دلف واخيه الحارث المعروف بابي ليلي ، ثم ولي فارس سنة ٢٨٧ ثم مصر سنة ٢٩٢ . وكانت له اخبار مع المهدي عبيدالله وهو متوجه من المشرق في طريقه الى المغرب وقد مرت قبل في هذه الرسالة . وكانت وفاته سنة ٢٩٧ في شعبان (انظر صلة عريب : ٢٨ و صفحات متفرقة من الكامل ج ٧ ، ٨ والكندي : ٢٥٨) .

(٢) م : فيها .

(٣) ح : ان يستقيم .

(٤) في الكامل ٨ : ٢٢ والدرة : ٤٢ : الجزيرة ، وأثبت ما في النسخ الخطية .

الثاني ، واتصل الخبر بالنوشري فتغير على ابن القديم ، فحلف له ما عنده علم من ذلك ولا فارقة إلا على المقام الى ان يرد اليه بكتابه ، فأصبح الصبح وزيادة الله قائم بعسكره على الجسر الثاني وقد قطع دونه ، واجتمع النوشري مع ابي العباس ابن بسطام^(١) صاحب خراج مصر يومئذ [١٥٧] فشاوره فيما يعمل فقال له ابن بسطام : هذا رجل قد غلب على الجزيرة وصار فيها ومعه عسكر ضخيم وان باينته حاربك منها وصرت معه^(٢) محصوراً ، وجاز الجزيرة دونك ؛ ولكن انا اتلطف لك في هذا . فركب قارباً واتى زيادة الله فعاتبه فيما صنع وقال : بينما انت تبغي رضاء أمير المؤمنين عنك ونصرته اياك إلى أن أخذت تتغلب على أطرافه ويتصل به مثل هذا عنك ، وأراه في ذلك النصيحة وأنه قد صرف عنه النوشري . فاعتذر زيادة الله اليه وقال : ما كان ذلك شيئاً قصدته ولكني قمت من الموضع ليلاً لأقرب من المدينة ويكون دخولي أول النهار فسبقني مقدمة العسكر فكان من أمرهم^(٣) ما قد كان . فانصرف عنه إلى أن يصلح له ذلك وانزل عامة رجاله بالجزيرة ورد الجسر وأدخل فانزل في دار ابن الحصاص . وافترق رجاله بمصر فنزلوا في نواحيها ، ثم خرج منها بعد مقام ثمانية أيام يريد بغداد ، فتخلف عنه عامة من كان معه ، فلما انتهى الى الرملة كتب إلى بغداد فيهم ، فورد الكتاب إلى النوشري بإلحاقهم به فألحقوا به .

وكان معه خصيان لهم وضاءة^(٤) فرغب فيهم رجال من رجال^(٥) بني

(١) توفي ابن بسطام سنة ٢٩٧ (الكامل ٨ : ٥٨) .

(٢) معه : سقطت من ح .

(٣) م : امورهم .

(٤) اورد النويري هذه القصة في نهاية الارب ٢٢ : ٩٩ .

(٥) من رجال : سقطت من ع .

العباس وسألوه بيعهم منهم ، فامتنع من ذلك ، ووصل إلى الرقة فكتب فيه أولئك الذين امتنع عليهم من بيع الخدم منهم فألزم الرقة ولم يؤذن له في الوصول إلى بغداد ، فأقام بها^(١) وتحلل^(٢) عنه رجاله [١٥٨] وتفرقوا . وأدمن شرب الخمر والارتكاب على الملاهي ، ففسدوا عليه محتسباً احتسب عليه عند قاضي الرقة في أولئك الخدم الذين سئلوا منه ، وشهدوا عليه أنه يفجر بهم ، فباعهم عليه قاضي الرقة ، واتضعت أحواله . وكان ابن القديم قيّمه^(٣) على أمواله وصاحب نفقاته ، فاقتعد له بأموال كثيرة وانتزع منه وتنحى عنه وطالبه بما اقتعد به له فلجأ ابن القديم إلى من منعه منه وقال : ان يكن له عليه حق فيخاصمه إلى القاضي ؛ فأقام بالرقة مدة يتلطف في الوصول إلى بغداد فلم يمكنه ذلك ، وسعى قوم به واحتالوا في صرفه وقيل : يُرَدّ إلى المغرب فيطلب بثأر نفسه ويقوم على من قام عليه ، فكتب له بذلك وصرف وأمر النوشري وابن بسطام بتقويته بالرجال والأموال ، فلما وصل إلى مصر أخرجه النوشري إلى ذات الحمام^(٤) وقال له : تكون مُبْرَزاً حتى يأتبك الأموال والرجال ، وأخرج معه رجالاً من عنده فاجتمع إليه ممن كان قد قدم معه من أهل افريقية وجماعة . وجعل النوشري يطله بالأموال ويسوّفه بالرجال ويتحفه بالتحف ويرسل إليه

(١) بها : سقطت من م ؛ وكانت مدة بقاء زيادة الله بالرقة سنة (الكامل ٨ : ٢٣) .

(٢) ع ح : وتحلل ؛ ولعل صوابه « وتحلى » .

(٣) م : قيماً .

(٤) ذات الحمام : بلدة على الطريق العليا في الصحراء بين الاسكندرية وبرقة ، تبعد عن

الاسكندرية نحو ٣٨ ميلاً ؛ ويقول البكري ان بها جامعاً بناه زيادة الله ابن الاغلب

منصرفه من المشرق الى افريقية (انظر مسالك ابن خرداذبة : ٨٤ ومسالك البكري :

٣ ووصف افريقية : ١٠٣) .

الهدايا ويحمل إليه أحمال الخمر ، فعكف عليها وأدمن شربها وأنفق ما كان معه إلى أن فرغ من يديه وتحلل^(١) عنه من قدم من الرجال إليه . وكتب النوشري إلى بغداد بسوء حاله وتهتكه ، فكتب إليه أن يصرفه ، فلم يأت الجواب بذلك حتى باع أكثر ما كان معه وأنفقه . وكان في حين قدومه من الرقة [١٥٩] قد قدم بهيئة وعدة وشق مصر وقد^(٢) تقلد بسيفين وأظهر ما كان بقي معه من السلاح والعدة ، فباع ذلك كله في مقامه بذات الحمام وأنفقه . واعتل علة قيل إنها كانت من سم دس إليه فأسقيه^(٣) رهل^(٤) لها بدنه وتساقط أكثر شعر رأسه ولحيته . وانصرف إلى مصر وخرج منها إلى بيت المقدس فمات بها . فيقال إنه لما دفن انهار به لحدّه . وذلك أنه وافق مكان مرحاض قديم فسقط به فلم يمكن إخراجهُ فترك كذلك ودفن^(٥) .

ذكر انصراف أبي عبدالله إلى سجلماسة وافتتاحه إياها^(٦)

وخرج المهدي بالله عليه السلام منها

ولما استقر أمر أبي عبدالله برقادة ، أتاه أخوه محمد أبو العباس بن أحمد^(٧) ، فسرّ أبا عبدالله قدومه ، وكان أسنّ منه وأنفذ وأحدّ ذهنأ

(١) ح : وتخلل .

(٢) قد : سقطت من ح .

(٣) في الكامل ٨ : ٢٣ : فتتابعت به الامراض وقيل بل سمّه بعض غلمانه .

(٤) م : وهل .

(٥) ع : ودفن فيه ؛ وانظر اقوالاً مختلفة في وفاة زيادة الله في الوفيات ٢ : ٤٤٤ والبيان ١ : ١٦٧ ، ١٧٣ .

(٦) وافتتاحه اياها : سقط من ع ح .

(٧) قارن بما في البيان ١ : ١٥٠ .

وأكثر تفنناً في العلوم وأسبق منه سابقة ، وأبو عبد الله أرجح وزناً وأورع^(١) من أبي العباس ، وكان أبو عبد الله يعظمه وإذا دخل عليه قام إليه على قدميه ومكث قائماً حتى يأذن له في الجلوس ، وإذا دخل هو عليه قبل يده ووقف حتى يأمره فيجلس فلما وصل أبو العباس أتاه شيوخ أهل القيروان فسلموا عليه وهنأوا أبا عبد الله بقدومه ورأوا تعظيمه له فعظم في أعينهم ، وانتصب يدعو الناس ، وجمع فقهاء أهل القيروان فناظرهم في الإمامة وفيما خالفوا فيه أهل البيت عليهم السلام من علم الفتيا فقطعهم في ذلك ، فعجبوا من نفاذه . وأخذ أبو عبد الله في هيئة الخروج إلى سجلماسة [١٦٠] ، فلما تهيأت أموره وفرغ من حوائجه كتب كتاباً جعله نسخاً وبعث كل نسخة منه إلى كل منبر بافريقية فقرئت عليه ، وكانت نسخة ما فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه عوني وعليه توكل^(٢) ؛ أما بعد ، فإن الله وله الحمد قد شرف منزلة العدل ، وأعلى قدره ، وأسنى ذكره ، واختاره لنفسه ورَضِيَه ، وصيّرَه ذريعة إلى الهدى ، وسبباً إلى التقوى ، وأقامه ميزاناً بين خلقه ، وجعل به صلاح كل^(٣) شيء ونظامه وقوامه وتمامه ، فكان من عدله أنه أوجب الثواب لمن أطاعه ، والعقاب لمن عصاه ، ولم يوجب^(٤) للمسيء ثواب المحسن ، ولا للمحسن عقاب المسيء ، بل جازى كل ساع على قدر سعيه ، وأعطى كل عامل أجر عمله ، عدلاً منه كما قال جل ثناؤه^(٥) في محكم كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

(١) ع م : واروع .

(٢) بسم الله ... توكل : سقط من ح ع .

(٣) ع ح : صلاحاً لكل .

(٤) م : يجب .

(٥) عدلاً ... ثناؤه : سقط من م .

﴿ وأن ليس للانسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزيه الجزاء الأوفى ﴾ (النجم : ٣٩ - ٤١) وأوجب إظهار منهاج الحق ، وإبطال سنن الجور ، والغشم على من مكّنه الله في بلاده وعباده ، ومنحه ما منحني من النصره والتأييد والعز والتمكين على أعدائه وأعداء رسوله صلى الله عليه وعلى آله ، حتى انقادت إلى الأمور بأزمّتها ، وسلست أعتتها . وإن أولى الناس بنصره الحق والذب عنه من فهمه الله ما فهمني ^(١) من علم كتابه ، ومواقع وعده ووعيده ^(٢) ، وعلم أنه مسؤول عن رعيته ، وأمور بالعدل فيها ، والإحسان إليها ؛ قال الله تبارك وتعالى ﴿ ان الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء [١٦١] والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ (النحل : ٩٠) فجعل تبارك وتعالى الحكم بالعدل أمراً عاماً دخل فيه الشريف والوضيع والصغير والكبير ، ثم دل رسول الله ^(٣) صلى الله عليه وآله على الشيثين المنجيين من الضلال والهاديين إلى الرشاد ، وأمر صلى الله عليه وآله وأمه بالتمسك بهما وقال ^(٤) : إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي : كتاب الله وعترتي أهل البيت ^(٥) ؛ فمن تعلق بكتاب الله وعمل به وتصرف مع أوامره وزواجره فقد تعلق بالحجة العظمى ، ومن تمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرة أهل بيته وسلك سبيلهم فقد استمسك بالعروة الوثقى ، وقاداه معاً إلى النجاة ، ووقفوا

(١) م : افهمني .

(٢) ح : ووعيد .

(٣) ح : رسوله .

(٤) ح ع : فقال .

(٥) ورد الحديث بروايات مختلفة في كتب الحديث ، انظر صحيح مسلم ٢ : ٢٣٨ .

به على محجة الحق الذي^(١) أمر الله به نبيّه^(٢) داود عليه السلام أن يحكم به فقال ﴿ يا داود انا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾ (ص : ٢٩) فأمر نبيه داود عليه السلام بالحكم بالحق الذي هو أزكى الأعمال ، وأشرف الذخائر ، وأرجح كل موزون ، وأفضل كل^(٣) مخزون لديه ، ثم أخبر رسوله الله صلى الله عليه وسلم بمنازل أهل العدل والحق في الآخرة فقال : المقسطون على منابر من نور يوم القيامة^(٤) . وقد علم الله - وكفى به مستشهداً وعليماً - أن نبي وطويتي وإرادتي إقامة العدل في الرعية ، والإحسان إليها ، والرفق بها ، وان تكاءد^(٥) إظهار ذلك وحمله باضطراب الخيل وانتقال الأمر وجنبايات فرطت من السفهاء [١٦٢] والغوغاء ، فلم أستجز في ذلك كلمة وإن عظم موقع فعلهم مني ، لا آخذ^(٦) البريء بالنطف ، ولا الحلِيم^(٧) بالسفيه ، لقول الله تبارك وتعالى ﴿ ولا تزر وافرّة وز أخرى ﴾ (الأنعام : ١٦٤) فلا تستكثروا رحمكم الله ما تكاءد من ذلك فإن لكل بادرة وهنة^(٨) ،

(١) ع : التي ، وكتب في ح : التي ثم كتب فوقها : خ : الذي .

(٢) نبيه : سقطت من ح ع .

(٣) كل : سقطت من ح .

(٤) نص الحديث في صحيح مسلم ٢ : ٨٢ : ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا .

(٥) تكاءدته الأمور : شقت عليه .

(٦) ح : لأخذ .

(٧) م : الحكيم .

(٨) ع : وهمة .

ولكل سائلة قرارة ، ولكل داخل دهشة ، ولكل موقد نار دخاناً ، ولكل هدم غباراً ، ثم تسكن الأمور ، وتستقر في قرارها ، وتثبت في نظامها^(١) . ولا تستوحشوا من سرعة خروجي من بلدكم وانقشاعي عنكم ، فاني إنما آثرت ترك الدعة والسعة ، وهجرت مهاد الخفض ورفاهة العيش ، ابتغاء ثواب الله ، وطلب الزلفى لديه ، في لم شعثكم ، وضم نشركم ، وما يعود نفعه عليكم في يومكم وغدكم ، وعاجلكم وآجلكم . فاسكنوا إلى ذلك واطمئنوا إليه ، وكونوا على إحياء الحق أنصارا ، وعلى إماتة الباطل أعوانا ، فاني^(٢) أرجو من الله أن يبلغني إظهار العدل وإحياء الحق إلى غاية يشرب لها الذئب والشاة من^(٣) منهل ، ويجتمع العدو مع عدوه في منزل ، رضى بالحق واصطلاحاً عليه ، ويسلك السفر والسيارة^(٤) بلا خفير ولا سفير من لدن أرض مصر إلى أقصى حجر^(٥) بالمغرب إن شاء الله تعالى . وقد أمرت تمام بن معارك بالرفق بالرعية والإحسان إليها ، وإفاضة العدل والعرف فيها ، وقبض يد الجور وإزالة الغشم عنها^(٦) ، وإنفاذ نسخة كتابي هذا إلى جميع العمال في جميع أعمال افريقية ليأتموا به ، وينتهوا إلى أمري فيه ، ويقفوا [١٦٣] عنده ولا يتجاوزوه ، إن شاء الله والسلام .

واستخلف على افريقية أبا زاكي تمام بن معارك وأقام معه أخوه أبو

(١) ع : نصابها .

(٢) ح : فانا .

(٣) م : عن .

(٤) ع م : والسائرة .

(٥) ح : البحر .

(٦) ح : منها .

العباس^(١) ، وخرج^(٢) أبو عبد الله في عامة عسكره وسائر أهل الحرب من رجال افريقية ، وأقام مع أبي زاكي روابط وفي سائر البلدان كذلك .

وخرج إلى سجلماسة في شهر رمضان سنة ست وتسعين ومائتين فأخذ الجادة ولم يعدل إلى كتامة . واهتز أهل المغرب لخروجه ، وارتفعت القبائل وزالت عن طريقه وخافت زناته أن يقع بها لما كان تواعدها به لقتل من قتلوه من رجاله ، فأتاه محمد بن خزر^(٣) ، وهو يومئذ أمير زناته كلها وقبائل البربر بأسرها ، فوافاه بطبنة يسأله الأمان متطارحاً عليه وملقياً نحوه بيديه ، فأمنه وقومه وأخذ عليه العهد ، واستحلفه أن لا يفتك ولا يغدر ولا يتعدى على أحد من الأولياء في حياته ولا بعد وفاته ، وأطلق سبيله . وسار قاصداً إلى سجلماسة وأوقع^(٤) بقبائل عرضت في طريقه^(٥) واتصل به عنها سوء

(١) م : اخاه ابا العباس ؛ ومعظم المصادر على ان ابا عبد الله استخلف على افريقية ابا العباس اخاه و ابا زاكي معاً (انظر سيرة الحاجب جعفر : ١٢٣ والكامل ٨ : ٤٧ والبيان ١ : ١٥٢ والعبر ٤ : ٣٦) ؛ اما في الاتعاظ : ٦٥ فالمقريري يقول ان ابا عبد الله استخلف اخاه ابا العباس (وحده) على افريقية .

(٢) مكث ابو عبد الله بافريقية بعد فتحها وقبل التوجه الى سجلماسة نحو ثلاثة أشهر (سيرة الحاجب جعفر : ١٢٣)

(٣) كذا في النسخ جميعاً وفي البيان ، وسوف يكتبه في النسخة ع فيما بعد : حزر ، وكتبه ابن الأثير : ابن خزر ؛ وقد خرج محمد بن خزر الزناتي هذا بعد ذلك على العبيدين وتغلب على بعض ارباض تاهرت ، ولكن اهلها انقلبوا عليه ودافعوه ؛ ثم عاد ابن خزر فنصر ابا يزيد مخلد بن كيداد الخارجي الثائر ، ولكن المنصور ظفر به سنة ٣٣٦ (انظر الكامل ٨ : ٤٤١ والبيان ١ : ١٥٥ - ١٥٦ ؛ وسيأتي مزيد من اخباره في هذه الرسالة) .

(٤) ح : وواقع .

(٥) لعل المقصود بهذه القبائل اهل تاهرت واصحابها من بني رستم ؛ والمعلوم أن ابا عبد الله =

حال ، حتى إذا قرب من سجلماسة وانتهى خبره إلى اليسع بن مدرار صاحب أمرها وأنه إليه قصد^(١) ، وقد كان زيادة الله كتب إليه بنجر المهدي عليه السلام وصفته وأنه الذي يدعو إليه أبو عبد الله ، فلم يكن في ذلك إليه مكروه ؛ فلما قرب منه أبو عبد الله أرسل إليه فسأله عن نسبه وحاله وهل إليه قصد أبو عبد الله ، فاعترف له^(٢) بالنسب عليه السلام إذ لم يسعه إنكاره ، ولغز له في ذكر أبي عبد الله فقال : ما رأيت [١٦٤] ولا أعرفه ، وكذلك كان لم يره - وقد ذكرنا كيف كان^(٣) ابتداء أمره^(٤) - وقال له : إنما أنا رجل تاجر ، وذلك أنه خافه على نفسه ورأى منه إنكاراً لقدم أبي عبد الله وأنفة من دخوله بلده ، فغلظ له في القول في ذلك^(٥) ، فلزم له^(٦) كلامه الأول ، فأنزل الله عز وجل له الهيبة في قلبه ، والجلالة في عينه ، فلم يمتحنه بأكثر من أن جعله في دار وجعل عليه حرساً ، وجعل ابنه القائم بأمر الله عليه السلام كذلك في دار أخرى ليفرق بينهما ويختبر قول^(٧) كل واحد منهما ، وكان قولهما واحداً ، وتعاضم أن^(٨) يناهما بمكروه لمكانهما من

= دخل تاهرت بالامان وملكها وهو في طريقه الى سجلماسة لاستحضار المهدي ، فكانت على يده نهاية دولة الرستميين بعد حكم استمر ١٦٠ سنة (انظر الكامل ٨ : ٤٩ والبيان ١ : ١٥٣ ؛ وانظر ايضاً الاتعاظ : ٦٦) .

- (١) ح : انه قصد اليه .
(٢) له : سقطت من ح ؛ ومن هنا تبدأ نسختنا م تشابهان كثيراً .
(٣) كان : سقطت من ح .
(٤) انظر ما سبق ص : ١٤٩ وما بعدها .
(٥) في ذلك : سقطت من ع ح .
(٦) له : سقطت من ع ح .
(٧) قول : سقطت من ح .
(٨) ح : بان .

رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق^(١) الذي قيل له ، وأقر^(٢) به ،
 وخذله الله وحرّمه خيرهما أحوج ما كان إليه ، وأقرب ما هو منه ،
 وامتحن رجالاً كانوا معهما بالعذاب ليقرّوا عليهما فلم يكن منهم إلا ما
 قالاه^(٣) .

واتصل الخبر بأبي عبد الله فعظم ذلك عليه ، وكان يقول لمن يدعوه
 من الناس إن المهدي سيظهر الله أمره ويعزّ نصره ، وأرسل رسلاً من الخدم
 إلى اليسع بن مدرار وكتب إليه كتاباً يؤمنه جانبه ويتلطف له فيه ويذكر
 أنه إنما قدم لحاجة ولم يقدم لحرب ، ووعدّه الجميل من نفسه والبر والاكرام ،
 وأكد ذلك له وبالغ فيه . فلما وصلت الرسل بكتابه إليه رمى به بعد أن
 علم ما فيه وأمر بقتلهم فقتلوا . واتصل ذلك بأبي عبد الله فعاوده ولاطفه
 خوفاً من أن يكون منه إلى المهدي عليه السلام ما يكرهه ، وأعرض له عن
 ذكره تقيه عليه ، وكان منه آخراً مثل ما كان أولاً ، ولجّ في طغيانه ،
 فعاوده [١٦٥] ثالثة^(٤) ، فأصرّ وتمادى على غيه ، فاستعان بالله وعبأ
 عساكره ودنا من المدينة ، فخرج إليه اليسع بن مدرار^(٥) بمن معه ، فما
 لبث أن اقتحمته^(٦) الخيل في المدينة بعد أن ناوشها ساعة وقتلوا من أصحابه

(١) وصدق : سقطت من ع م .

(٢) ع ح : واقراً .

(٣) انظر في تعذيب اليسع لخدم المهدي وحجابه - وفيهم جعفر الحاجب - سيرة
 جعفر الحاجب : ١٢٢ - ١٢٣ .

(٤) لم يذكر ابن الاثير في الكامل ٨ : ٤٨ والمقريري في الاتعاظ : ٦٥ معاودة ابي عبدالله
 لليسع مرة ثالثة .

(٥) ابن مدرار : سقطت من م .

(٦) ح : اقحمته .

جماعة^(١) . وكان ذلك قرب المساء فاختلط الظلام ورجع العسكر فنزل حيث كان ، فلما جن الليل هرب ابن مدرار في بني عمه وأهل بيته ، وبات أبو عبد الله ومن معه تلك الليلة في غم عظيم لا يعلمون ما صنع بالمهدي عليه السلام ، ولم يمكنهم دخول المدينة في الليل ، ولم يعلموا بهرب الفاسق حتى أصبحوا ، فخرج إليهم وجوه أهل المدينة فأعلموهم بذلك ودخلوا معهم إلى المكان الذي كان فيه المهدي^(٢) عليه السلام فاستخرجوه ، واستخرجوا القائم^(٣) ، فكانت في الناس مسرة عظيمة استفزتهم وكادت تطيش لها عقولهم . وقربَ لهما عليهما السلام فرَسَان فركباهما ، وحف المؤمنون بهما ، والدعاة يمشون حولهما وأبو عبد الله يمشي بين يدي الإمام ويقول : هذا

(١) أرخ ابن عذارى والمقرئزي هذه الحادثة بيوم السبت لست خلون من ذي الحجة ، وكان دخول أبي عبد الله إلى سجلماسة وانقاذه المهدي وابنه القائم يوم الأحد لسبع خلون من الشهر نفسه (البيان ١ : ١٥٣ والاتعاظ : ٦٥) .

(٢) قال ابن عذارى ان المهدي والقائم كانا محبوسين في غرفة عند مريم بنت مدرار (البيان ١ : ١٥٣) .

(٣) قصة افتتاح سجلماسة وانقاذ المهدي والقائم كما اوردتها القاضي النعمان موافقة في جملتها للقصة نفسها في البيان والاتعاظ ، ولكنها تختلف اختلافاً كبيراً عما ورد في سيرة الحاجب جعفر والدرة المضية . ففي الكتاب الاول ذكر المؤلف ان البسج اخرج المهدي الى أبي عبد الله وجيشه ، فامر المهدي بفتح سجلماسة وانقاذ القائم والمسجونين الآخرين فيها ، فدخلت عساكر أبي عبد الله ونهبت البلد وكسرت المطبق واخرجت من فيه (سيرة الحاجب جعفر : ١٢٤ - ١٢٩) ؛ وقال الدواداري في الدرّة : ٢٢ انه لما دخل ابو عبد الله سجن المهدي بسجلماسة وجدته مقتولاً . قد قتل البسج وتركه طريحاً في السجن ، وعنده صاحب من أصحابه كان قد اعتقل معه . فخاف ابو عبد الله ان يتقضى عليه ما دبّره ، فتعاون مع صاحبه فدفنوا صاحب الدعوة واخرج اليهم صاحبه هذا على انه المهدي (وانظر الوفيات ٢ : ٣٠٢) .

مولاي ومولاكم أيها المؤمنون ، ويحمد الله عز وجل ويشكره ويبكي من من شدة الفرح ، حتى وصل الإمام إلى فائزة وقد فرشت له ، فدخل وأمر بطلب اليسع بن مدرار ، فخرجت العساكر في طلبه ، وأقام (صلح) إلى أن راح النهار ، فخرج إلى المؤمنين وفرش له أمام الفائزة ، وحفوا به يسمعون قوله ويبكون ويحمدون الله [١٦٦] على ما بلغهم إياه من رؤيته ، وهو في ذلك يثني عليهم ويذكر فضلهم وما أعدَّ الله لهم من جزيل ثوابه ويعدهم بالفضل ويبشرهم بدرك خير^(١) الدنيا والآخرة إلى أن أذن المؤذن بصلاة المغرب ، فقام فصلى بهم ، فقرأ في الأولى بفاتحة الكتاب وسورة القدر وفي الثانية بفاتحة الكتاب وسورة (قل هو الله أحد) وأتم الصلاة ودخل الفائزة وانصرف الناس .

وأدركت العساكر اليسع بن مدرار ومن هرب معه من أهل بيته ، فأخذوهم وأتوا بهم إليه (صلعم) وأمر بضرب اليسع بن مدرار بالسوط ، فضرب أربعين سوطاً^(٢) وطيف به العسكر وفي مدينة^(٣) سجلماسة ، واستصفي أمواله وأموال من أعان عليه^(٤) وهرب معه من أهل بيته ، وقتله^(٥) بعد ذلك .

(١) ع م : بدرك نيل ؛ ح : بدرك خير نيل .

(٢) اربعين سوطاً : سقطت من ع م .

(٣) م : ومدينة ؛ ع : العساكر وبمدينة .

(٤) م : معه .

(٥) في البيان ١ : ١٥٦ : فقتل وهو مريض ، وقد انفرد صاحب سيرة الحاجب جعفر بالقول ان اليسع لم يقتل ولكن القائم سأل فيه المهدي فوهبه له ولم يقتله ، لكنه لم يقم الا أياماً يسيرة لم يأكل ولم يشرب من شدة الضرب حتى مات (سيرة الحاجب جعفر :

. (١٣١) .

وقتلهم ، وأمن سائر الناس وأهل البلد^(١) ، واستعمل عليهم عاملاً^(٢) وأتته القبائل من نواحيها^(٣) ففعل مثل ذلك فيهم ، وأقام بسجلماسة أربعين يوماً ثم نهض بجميع العساكر يريد افريقية .

وكانت أخبار أبي عبدالله قد انقطعت عن افريقية وأرجفوا به وكثرت الأشائيع عليه فلم يكن بأوشك من أن قدم عليهم البريد بفتح سجلماسة وبما كان من أمر المهدي عليه السلام وبكتاب من أبي عبدالله نسخة ما فيه :
بسم الله الرحمن الرحيم وبه عوني وعليه توكل^(٤) . أما بعد فالحمد لله الهادي إلى توحيدته بآثار صنعته . والداعي إلى معرفته ببراهين حجته . الذي سبقت مشيئته وجرى حكمه بإعزاز أوليائه [١٦٧] الذين نصرُوا دينه . وقاموا بحقه ، وإذلال أعدائه الذين عندوا^(٥) عليه وكفروا نعمته . فلم ينصب لأوليائه ناصب إلا كان طاعناً في الدين الذي نصره^(٦) . وعدواً للحق الذي أقاموه ، لأنهم يقدمون الحجة أمام سيوفهم . والدعاء قبل مناجرتهم . والأناة دون معاجلتهم ، ثقة منهم بأن المحجوج من فارق سبيلهم ، والمفلول من خرج من جماعتهم ، فالأناة تظهر حقهم . وتكشف باطل أعدائهم ، فمن عاد إلى الحق^(٧) تلقوا بالقبول انابته ، ومن أقام^(٨) على باطله ناجزوه

(١) ع ح : البلدان .

(٢) انقلب اهل سجلماسة على هذا العامل في السنة نفسها وقتلوه ومن كان معه من الشيعة ومن كتامة وولوا على انفسهم واسول ابن الامير ابن مدرار (البيان ١ : ١٥٦) .

(٣) م ح : نواحيه .

(٤) بسم الله ... توكل : سقط من ع ح .

(٥) ح : اعتدوا .

(٦) ح : نصرُوا دينه .

(٧) ع م : حق .

(٨) م : أصر .

بعد إقامة الحجّة عليه ، ولم يجعل الله لمصرّ إقالة ولا لمعانّد مقيم على الذنب توبة ، بل يحل بأسه ونقمته به ، والله أشدّ بأساً وأشدّ تنكيلاً . وقد كنت قصدت سجلماسة على بعد شقتها ، وتراخي مزارها ، ووعر سبيلها ، لأقضي حق الله جل ذكره ، واؤدي فريضة من فرائضه ، وأظهر حجّة من حججه في أرضه ، وأستنقذ ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أوباش وطغام ، طلباً لرضوانه وزلفى لديه ، فلما دنوت منها قدمت الأمان إلى الخائن اليسع بن مدرار كعادي في البلدان ، ونويت أخذ حاجتي منها ، والانصراف عنها ، من غير أن أهيج فتنة أو أثير غباراً . وكتبت إليه كتاب الأخ إلى أخيه أستعطفه فيه واؤمنه وأدعوه إلى عقد الإخاء بيني وبينه في إخراج ابن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ، رغبة في الإبقاء عليه وعلى مؤازريه ، وحفظاً لما ضيّعوه ، فمنع الخائن جانبه ، وقطب حاجبه ، وأظهر الأنفة [١٦٨] من دخول رسلي عليه ، وأمر بقتلهم خلافاً منه لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جرت به العادات في جميع أهل (١) الملل من ترك العرض بالمكروه للرسول . ثم استظهرت الحجّة عليه ، فأعدت رسلاً إليه طمعاً في إجابته ورجوعه إلى ما هو أسلم له وأعود عليه . فاعتقل الرسول في المطابق وثقلهم بالحديد ، وحبس ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أضيق المحابس ووكّل به الحرس ومنع من إدخال الطعام إليه ، فبقي بأبي هو وأمي في المحبس أياماً مواصلاً للصيام لعدم الطعام ثم استشعر (٢)

(١) أهل : سقطت من ح .

(٢) كذا في ع ح . وكتب فوق هذه الكلمة في ح : استصغر ، أما في م فكتب في النص :

« ثم من عيون الاخبار استصغر » ؛ وعيون الاخبار كتاب اسماعيلي ضخيم يقع في سبع مجلدات وعنوانه كاملاً « عيون الاخبار وقنون الآثار في ذكر النبي المصطفى المختار ووصية علي بن ابي طالب قاتل الكفار وعالي حمى الأئمة الاطهار عليهم صلوات الله =

فعل نفسه في حبسه إياه في ذلك المحبس (١) فنقله إلى أضييق منه وتواعده (٢) بالقتل طلباً منه لدحل (٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعثت إليه رسلاً أعده بالامسك (٤) عن الحرب والانصراف عنه من غير أن أشرب ماء من مدينته ، فكلما ازددت عليه إلحاحاً في طلبه زاد إلحاحاً في الامتناع مما حاولته منه عتواً على الله وإصراراً على الكبائر واستكباراً وجهلاً وخساراً (٥) ، فخر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الحسران المبين . فلما رأيت ما عزم عليه الخائن من محاربة الله عز وجل في ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وامل فيه أملاً كاذباً ، والله فيه وعد صادق ، وظن فيه ظناً خائباً . والله فيه قضاء نافذ ، وأبى إلا التكسع (٦) في جهالته ، والتتايح في ضلالته . وآثر إطلاق الحرب من عقابها ، وإثارة غبارها ، فهزرت أنصار الحق على مناجزته ، فوجدت نياتهم (٧) بالله مستحكمة وبصائرهم نافذة في محاربتهم (٨) . فدفقت بهم إليه مستنجزاً ما وعد الله أوليائه في أعدائه . وجالت [١٦٩] الخيل جولة وعاودت كرة بعد كرة عليهم طعناً بالرماح وضرباً بالسيوف ورشقاً بالسهام . فلما مس الفسقة ألم القتل والجراح . وأدارت الحرب

= العزيز الغفار « وهو مجموع في الحديث والتاريخ من الخليفة حتى عصر دعاة اليمن :
وراجع ما تقدم ص : ٢٣ . الحاشية رقم ١ من هذا الكتاب .

(١) ح : تلك المحابس ؛ ع : تلك المجلس .

(٢) م : ووعده .

(٣) م : لدحول .

(٤) ح : الامسك ؛ ع : بامسك .

(٥) م : وخسران .

(٦) تكسع : تتبع اي استمر .

(٧) ح : نيتهم .

(٨) م : محاربتهم .

عليهم رحاها ، وكلمتهم أنيابها ، وعلموا أن ليس لهم من الله عاصم ، ولا من أوليائه موئل ، ولتوا منهزمين على أعقابهم ، فأخرج الفاسق الخائن راغماً ما كنت طلبت منه راغباً ، وحجز الظلام بيننا وبينهم ؛ ثم عاودهم أنصار الحق من غد فأخرجوهم^(١) ، وتحكم الأولياء في مدينتهم ، فأضرموا نار الحرب فيها ، وجاسوا ديارها ، واتخذ الخائن الليل سجفاً فهرب تحت ظلامه على وجهه إلى بلد السودان لا يلوي على أهل ولا ولد ، فمنعت حرمة^(٢) وصنتها ، وأسدلت ستر العاف^(٣) عليها ، احتساباً لثواب^(٤) الله جل ذكره . ثم قفوت أثر الخائن بنفسه في طلبه عشرة أيام حتى أمكن الله منه بلا عقد ولا عهد . فأتيت به في وثاق إلى ولي الله ليكون عظة لأهل الشقاق والنفاق وعبرة للعالمين ، والحمد لله المعز لدينه ، والمكرم^(٥) لأهل حقه . الذي وصل أسباب السعادة بطاعته ، وجعل عاجل الفلج والظفر وآجل الثواب والفوز لأوليائه ، فان جادلوا كانت الحجة لهم ، وإن حاربوا كان النصر معهم ، حمداً قاضياً لحقه ، موجباً لمزيدة . وأمير المؤمنين ولي الله وابن رسوله على أفضل ما جرت به عادة الله الحميلة عنده في نفسه وولده وأنصار دولته ، وهو قادم على بركة الله وسعادته ونصره وتأيدته ، والسلام .

فلما وصل كتابه هذا إلى أبي زاكي وقرأه أمر به فقريء [١٧٠] على المنبر ، وسر الأولياء سروراً عظيماً ، وأبطل الله شناعات المشنعين وأكذب

(١) ع م : فأخرجوه .

(٢) م : حرمة .

(٣) ح : العافية .

(٤) ح : بثواب .

(٥) ح : المكرم .

أقوال المرجفين . وسارت به الأخبار في البلدان وبشرت^(١) بظهور المهدي عليه السلام ، فسر بذلك الولي وكُتبت له العدو واستشرف له عامة الناس وانتظروا قدومه وتطلعت^(٢) أعينهم إليه .

ذكر قدوم المهدي عليه الصلاة والسلام

من سجلماسة ووصوله إلى إفريقية

وقدم المهدي عليه السلام والقائم عليه السلام معه . والمهدي يومئذ حين كمل شبابه لم تبدُ به طالعة من الشيب . والقائم حين طرّ شاربه . وقفل أبو عبد الله معه بجميع العساكر . قد سلم الأمر له . وأوقف الدعوة على أنه الإمام الذي دعا إليه . وعرف جميع المؤمنين به وقال : هذا مولاي ومولاكم وولي أمركم وإمام دهركم^(٣) ومهديكم المنتظر الذي كنت به أبشر . قد أظهر الله عز وجل أمره كما وعده . وأيد حزبه وجنده . وكان من أول ما عاينه الأولياء من براهينه ودلائله ما شاهدوه مما أراد الله عز وجل من إتمام أمره أن الله تبارك وتعالى حماه من عدوه . وقذف الرعب له في قلبه ، وهو في موضع حكمه ، والسيوف شاحذة^(٤) عليه . وحزبه وأنصاره يقتلون فيه ، فما استطاع أن يناله بمكروه ولا أن يمد^(٥) يده إليه بسوء ولقد أشار عليه بعض من كان معه بقتله وقال له : هؤلاء إنما أتوا إليه فإذا يشؤا منه

(١) في ح ع م : ونشرت .

(٢) م ع : واطلعت .

(٣) ع : عصركم ، و « دهركم » مصححة في ح عن « هديكم » .

(٤) ع ح : تأخذه .

(٥) م ح : يمتد .

تفرقوا ، وقتلُك إياه يكذب عندهم قول صاحبهم فيه أنه سيملك ويظهر أمره فاقتله فإن ذلك [١٧١] يكذب عندهم قول صاحبه ويفرق كلمتهم وجمعهم ، فخذله الله عز وجل من أن يقبل هذا الرأي من قائله والمشير به عليه ، وقتل الله صاحب هذا الرأي على يدي وليه ، وأمكته من ذمة عدوه .

وأقبل المهدي عليه السلام فلما حاذى بلد كتامة مال إليه ووصل إلى إيكجان وأمر بإحضار الأموال التي كانت على أيدي الدعاة والمشايخ ، وكانوا قد دفنوها هناك ، فأحضروها إليه وأمر بقبضها منهم وشدها أحمالاً وقدم بها ، فكان ذلك من أول ما أحال القلوب الفاسدة وتوهموا أنهم يكونون كما عودهم أبو عبد الله : يأمرون وينهون ويقبضون ويبسطون .

ولما وصل المهدي عليه السلام إلى إيكجان أمر أبا عبد الله أن يكتب كتاباً إلى أبي زاكي بوصوله فكتبه وأنفذ به فرانقاً فقرأ على المنبر ، وكانت نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم^(١) ؛ أما بعد ، فالحمد لله ناصر دينه ، ومعزّ وليّه ، الذي أظهر دينه على سائر الأديان ، ووليّه على من ناصبه من أهل الظلم والعدوان ؛ وكتابي هذا إليك من إيكجان دار الهجرة ومستقر الإيمان ، وقد وصل الإمام مولانا وسيدنا المهدي بالله (صلح) وولده ، بلغ الله به أفضل آماله إليه^(٢) في جميع أولياء^(٣) الدين ، وكافة من معه من المؤمنين ،

(١) سقطت البسمة من ح ع .

(٢) إليه : سقطت من ح .

(٣) ح : اوليائه .

أحسن وصول^(١) وأهنأه وأسرّه وأرضاه ، فأضاء بقدمه دار هجرة أوليائه ،
وسر المؤمنين والمؤمنات الذين خلفهم العذر عن الجهاد^(٢) ومن كنا أقمناه
لضبط المكان به ، وأقبلوا من كل حدب ينسلون [١٧٢] إليه ، ومن
كل أفق يسعون نحوه ، يتبركون بالنظر إليه ويستشفون^(٣) برؤيته ، ويحمدون
الله على أن بلغهم إنجاز وعده ، وظهور أمره ، وبادروا إليه^(٤) بأمانات^(٥)
الله التي في أيديهم ، وخرجوا من حقوق الله عليهم له . ووضعت بحمد
الله الحرب أوزارها ، وأطفأ الله نارها . وأهلك من أثارها . وبدد من سعى
نحو دين الله بها . وفرق أنصارها . وأمير المؤمنين على النهوض إلى افريقية .
ويقدر بتوفيق الله وتقديره وعونه وتيسيره أن يكون وصوله يوم الخميس
لعشرين من شهر ربيع الآخر من سنة سبع وتسعين ومائتين إن شاء الله .
فاعلم ذلك وكن على أهبة منه ومن قبلك . واحمدوا الله على ما أولاكم
من ذلك وأن فسح في آجالكم إلى أن بلغتموه . وارغبوا إليه في تمام ذلك
لكم بالنظر إلى مولاكم ورضاه عنكم والسلام .

فلما وصل الكتاب بذلك وقرىء وانتشر الخبر به تضاعف سرور
الأولياء ، وانقطعت الشناعات وذهب الارجاف . واستعد الناس وتأهبوا
للقائه ، وتطلعت^(٦) أعينهم نحوه ، واستشرفت أنفسهم إليه وإلى قدومه ،

(١) ع م : وصوله .

(٢) اضاف في ح : والعدو .

(٣) ح : ويتشفون .

(٤) اليه : سقطت من ع م .

(٥) ع : بأمانة .

(٦) م : وطلعت .

ووصل (صلح)^(١) في يوم الخميس الذي ذكر في كتابه أنه يصل فيه^(٢) ،
ولقيه الناس على قدر إمكانهم ، وتلقاه أهل القيروان باحتفالهم^(٣) ، وكان
فيهم يومئذ شيوخ ووجوه وفقهاء لهم مناظر وعقول ورجاحة وألسنة ،
وكذلك كان من قبلهم من قبل ذلك الزمان ، فانقطع ذلك منهم بظهور
أولياء الله فيهم [١٧٣] ومن كل من خالف أمرهم من أمثالهم ، وكسف
الله نورهم وأمات بهاءهم وأذهب بهجتهم لئلا يكون إلا في أولياء الله ومن
اتبعهم ، ولا يكون الفخر والثناء^(٤) والجمال والكمال والبهاء إلا لهم ،
كما تذهب الشمس إذا طلعت ضوء الكواكب وأشخاصها وتغلب^(٥) على
نور المصابيح وتكسف شعاعها ، ولئلا يكون مع الحق شبهة ولا لأهله
اشكال تقع من أجله^(٦) الريبة . وأقبل المهدي عليه السلام في أنصار دولته
واحتفال عساكر أوليائه ، كبدر التمام وسراج الظلام ، وأبو عبد الله
في جماعة الدعوة ، والشيوخ والأولياء يسعون بين يديه ، والقائم عليه السلام
خلف ظهره ، والمواكب والعساكر قد أخذت طول فحص القيروان وعرضه ،
فسلم عليه شيوخ أهل القيروان بالخلافة والامامة ، وهنأوه بالفتح والسلامة ،

(١) يعني الى رقادة .

(٢) لم يحدد ابن الاثير والمقرئزي التاريخ بدقة وإنما قالوا إن المهدي وصل الى رقادة « في
العشر الاخير من ربيع الآخر » (الكامل ٨ : ٤٨ والاتعاظ : ٦٦) ؛ وكان كلام
ابن خلدون اقل دقة فانه قال : في ربيع سنة سبع وتسعين (العبر ٤ : ٣٦) ؛ وفي
الخطط ٢ : ١١ : في آخر ربيع الآخر .

(٣) راجع البيان ١ : ١٥٨ ففيه تفصيلات لم ترد هنا عن دخول المهدي رقادة .

(٤) ح ع : الثناء .

(٥) ح : تغلب .

(٦) ح : من اجل .

فرد عليهم رداً جميلاً ، وقال لهم خيراً ، وأمرهم بالانصراف فانصرفوا ، وقال لأبي عبد الله ومن كان بين يديه : كأننا رأينا قوماً يشبهون أهل مدائن المشرق ، فأما من رأيناه من أهل المغرب فما هم إلا كالبوادي . ونزل بقصر برقادة ونزل الأولياء دورهم ، وافترقوا إلى مواضعهم ، وسار كل قوم من أهل افريقية إلى مكانهم ، وتوجهوا عن أمره وإذنه إلى بلدانهم .

ذكر ما أجراه المهدي عليه السلام من سياسة الإمامة في الناس وأظهره^(١)

ولما أصبح صباح يوم الجمعة من غد يوم وصوله ، أخرج توقيماً أمر أن يدعى به على المنابر وأنفذه إلى خطيب^(٢) رقادة والقيروان [١٧٤] بالدعاء له^(٣) بعد الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى علي عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين وعلى الأئمة من ولده الذي كان أمراً أبو عبد الله به ، وكان ذلك التوقيع بالدعاء : اللهم فصل على عبدك^(٤) وخليفتك القائم بأمر عبادك في بلادك ، عبد الله أبي محمد الامام المهدي بالله^(٥) أمير المؤمنين ، كما صليت على آبائه خلفائك الراشدين المهديين ، الذين كانوا يقضون بالحق وبه يعدلون^(٦) ، اللهم وكما اصطفتيه لولايتك ، واخترتة لخلافتك ، وجعلته

(١) سقط هذا العنوان من ع ، وسقطت « أظهره » من م .

(٢) م : خطباء .

(٣) له : سقطت من ح .

(٤) اضاف في اعمال الاعلام ٣ : ٥١ : ووليک .

(٥) م : بك .

(٦) اعمال الاعلام : الذين قضوا بالحق وكانوا به يعدلون .

لدينك عصمة وعماداً ، ولبريتك موثلاً وملاذاً ، فانصره على أعدائك
 المارقين ، واشفِ به صدور المؤمنين^(١) ، وافتح له مشارق الأرض ومغاربها ،
 كما وعدته ، [وايده]^(٢) على العصاة الظالمين ، إله الخلق رب العالمين^(٣) .
 وأمر بكتاب آخر فكتب وقرىء على المنبر بالقيروان ووجه به نسخاً
 إلى البلدان وقرىء على المنابر ، نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ؛ من عبد الله أبي محمد الامام
 المهدي بالله أمير المؤمنين إلى أشياعه من المؤمنين وجميع المسلمين : سلام
 عليكم ، فإن أمير المؤمنين يحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ويسأله أن
 يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله . أما بعد ، فالحمد
 لله الذي رفع علم الحق وأعزَّ أهله ، ونكَّس ألوية الباطل وأذل حزبه ،
 القادر فلا يعارض في قدرته ، العزيز فلا يغالب في أمره ، الناصر لدينه
 الذي رضيه لنفسه ، وشرفه بأكرم أنبيائه [١٧٥] عليه^(٤) وأعلامه درجة
 عنده ، وأشرفهم منزلة وأقربهم وسيلة لديه ، محمد صلى الله عليه ، حامل
 حكمته^(٥) ، ومستودع غيبه ، وما يكون بعده من كيد الكائدين ، وخيانة
 الخائنين ، وظلم الظالمين لأهل بيته ، إلى ما سبق من وعده له فيهم بالنصر
 والتأييد ، والعز والتمكين ، كما قال في محكم كتابه وتنزيله الذي لا يأتيه
 الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴿ ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في

(١) واشفِ ... المؤمنين : سقط من اعمال الاعلام .

(٢) وايده : زيادة لازمة من اعمال الاعلام .

(٣) اعمال الاعلام : انك انت الحق المبين .

(٤) عليه : سقطت من م .

(٥) ح : حكمه .

الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴿ (القصص : ٥ - ٦) . وقال ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين ﴿ (الأنبياء : ١٠٥ - ١٠٦) . فأُنجز جل ثناؤه وتقدست أسماؤه وعده لرسوله صلى الله عليه وعلى آله برد إرث النبوة ومقاليد الإمامة إلى عترة نبيه ، وأعزَّ الدين والمؤمنين وأنقذهم من الهلكة في كل سكون وحركة بعبد الله أبي محمد الإمام المهدي بالله أمير المؤمنين ، وأظهر بهجة الإسلام وجماله بقيامه وأخذ تراث جده النبي وأبيه الوصي صلوات الله عليهما ، وجعل أوليائه وأنصار حقه اولي البصائر النافذة من سادات العرب وأنجاد كتامة ، فألقت الإمامة عصاها في دارها ، وقرت عينها ، وأنست وحشتها ، واستقر قرارها ، وصار أمير المؤمنين طوداً منيعاً وجبلاً راسياً على الأرض وظلاً ظليلاً لأهلها ، فثبت به وطأة الهدى ، وسكن إليه نفور التقوى ، وتقوم [١٧٦] به ما كان متأوداً من عودها ، وتوطد ما كان بها^(١) متخلخلاً من قواعدها ، وانبرم ما كان منحلاً^(٢) من جبلها ، واجتمع ما كان مفترقاً من شملها ، وتلاءم ما كان متشعثاً منها ، ببركة أمير المؤمنين ويمن نقيبته ، وسعد نجمه ، وهبوب ريحه ، فداوى الإسلام من الداء العضال ، ورتق من فتوقه ما كان منخرقاً ، وجبر من كسره ما كان لا يجبر ، ولاءم من صدعه ما كان لا يلاءم . فهو مفتاح الرحمة ودليل الخير ، ذباً عن الحق وحياطة للدين وعناية بأمر المسلمين وبعداً نظر فيما يقطع به أماني المبطلين ، والحمد لله رب العالمين . فلم يحاول أمير

(١) بها : سقطت من ع م .

(٢) ح : سحياً ، والسحيل ضد المبرم .

المؤمنين بحمد الله كبيراً عسيراً إلا يسره الله ، ولا صعباً إلا ذلله ، ولا
وعراً إلا سهّله ، فأصبحت الكلمة به مجتمعة ، والالفة متصلة ، والدهماء
ساكنة ، وقواصي الأرض وأدانيها منه آمنة ، ووليه عزيزاً ، وعدوه ذليلاً
مقموعاً ؛ فكل من قدح^(١) بزنده ، واحتطب في حبله ، محكوم^(٢) له
بالنصر ، ومقضي^(٣) له بالظفر ؛ وكل من نكث عليه ، وخان أمانته ،
ونقض عهده ، وخفر ذمته ، فقد باء بغضب من الله في الخلاف عليه وإطلاق
الفتنة من عقابها ؛ وكل من أوقد عليه الحرب^(٤) أحرقتة بنارها ، وكلمته
بأظفارها ؛ وكل من تمسك بطاعته فقد تمسك بالعروة الوثقى ، وفاز في
الآخرة والأولى ؛ وكل من التمس وليجة غيرها فقد خسر الدنيا والآخرة ،
ذلك هو الحسران المبين^(٥) ، فاحمدوا الله الذي بلغكم زمان أمير المؤمنين
واختصكم [١٧٧] ببركة أيامه وسعادة دولته ، فلتنبسط آمالكم^(٦) ويكثر
بالثقة بعدله استبشاركم ، ولينفسح للمعرفة بحسن نظره رجاءكم ، ويشتد
تمسككم بجبل طاعته وأسباب ولايته ، فإنه لا يتصل بين الله وبين عباده
سبب إلا بمحبتهم لآل محمد رسول الله^(٧) صلى الله عليه وسلم ؛ قال الله
جل ذكره ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ (الشورى: ٢٣)
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مثلُ أهل بيتي فيكم كمثل سفينة

-
- (١) م : قدم .
(٢) ع م : فمحكوم .
(٣) ح : مقضي .
(٤) ح : نار الحرب .
(٥) المبين : سقط من ح .
(٦) ح ع : اعمالكم .
(٧) رسول الله : ثبت في م وحدها .

نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق . وجددوا الشكر لله على ما منحكم من رافة أمير المؤمنين ورحمته ، وتعاهده لأموركم^(١) ، وتغمده لكم ؛ فإن الشكر أحرس حفيظة للملابس نعمه ، وأحفظ مؤتمن لفواضل مننه^(٢) ، وأبعث مستمد لمؤتلف صنعه ومواد مزیده . وأمير المؤمنين يسأل الله ولي الاحسان والنعم ، والافضال والمن ، أن يصلي على محمد مفتاح رحمته ، والمبلغ لرسالته ، الذي حباه بجميع فواضله ، ومزيد كرامته ، وأن يشعره خشيته ومراقبته ، وأن ينفذ بالتوفيق عزائمه ، وأن يلهمه فيما استرعاه وناط به من أمر عباده ، أفضل ما ألهم راشداً من خلفائه ، وأن يعينه على صالح نيته ، وأن يتليه أحسن بلائه ، ويوفقه للعمل بطاعته ، والقيام بحقه ، حتى يجمع الكفر والإلحاد ، ويدوِّخ أطراف البلاد ، وأن يجعله خير إمام أحسن إلى رعيته ، ورعيته خير رعية أدت حق إمامها ، فان [١٧٨] التوفيق به والمزيد من عنده ، والسلام .

فدعي له بالخلافة يوم الجمعة لتسع^(٣) ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين^(٤) بركة والقيروان وبالقصر القديم^(٥) ، وقرىء

(١) م : لامركم .

(٢) م : نعمته ... منته ؛ ع : نعمه ... منته .

(٣) في الاتعاظ : ٧٣ : لسبع ؛ ولم يحدد ابن الخطيب يوماً بعينه وإنما قال : سنة ٢٩٧ (أعمال الاعلام ٣ : ٤٧) .

(٤) ومائتين : سقطت من م .

(٥) زاد ابن الاثير هنا فقرة قال فيها انه بعد الجمعة أحضر الدعاة الناس بالقوة الى رجل يدعى الشريف ، ودعوهم الى مذهبهم . فمن اجاب أحسن اليه ومن أبى حبس ؛ قال « فلم يدخل مذهبهم الا بعض الناس ، وهم قليل . وقتل كثير ممن لم يوافقهم على قولهم » (الكامل ٨ : ٤٩) ؛ وقد اورد ابن خلدون والمقريزي هذا الخبر باختصار في العبر ٣ : ٣٦٤ - ٣٦٥ والاتعاظ : ٦٦ .

هذا الكتاب على منبر القيروان وأنفذ إلى الأمصار مع الدعاء ، فدعي له في مستقبل ذلك ، وقرىء على المنابر بعد الوصول إليها ، فابتهج الناس وسروا بذلك وأكثروا الدعاء له ، وجاءت وفود البلدان من كل جهة ومكان على قدر قرب منازلهم ، وواصل الجلوس للناس ، ووصل أبو جعفر الخزري بالحرم من مدينة طرابلس أحسن^(١) وصول .

وكان إذا جلس عليه السلام في مجلسه أذن لخاصة أوليائه فدخلوا إليه ، فإذا قضى حوائجهم أذن لمن هو دونهم ، وربما أذن للعامه فيدخلون إليه ويسلمون عليه . وقال الشعراء فيه ومدحوه وكان أول من مدحه منهم^(٢) وأنشده من شعراء افريقية سعدون الورجيني^(٣) ، وكان شاعراً يمدح بني الأغلب ويبي أعمالهم ، وكان قد أسر ببلد الروم وفدي ، واستؤذن له في الدخول عليه وإنشاده ما قال فيه^(٤) ، وكان ذلك بعقب وصول الحرم وقد جلس وهنأه الأولياء بسلامتهم ، فدخل إليه وأنشده الشعر الذي يقول فيه :

قف بالمطيّ على مرابع دور لبست معالمهنّ ثوب دثور
لعبت بها حتى محت آثارها ريحان : ريح صبا وريح دبور

(١) احسن : سقطت من م .

(٢) منهم : سقطت من م .

(٣) ع : الورفجومي ، وكتبه في النسخة نفسها فيما بعد : الورجيني ؛ وفي الدرّة: ١١٥ «الورجيني» وحسب ، وسماه المقرئ في الاتعاظ : ٧٣ : سعدون الورجيني واورد هو والدواداري خمسة ابيات من قصيدته الرائية التي اورد القاضي النعمان بعض ابياتها وأولها عندهما :

كُفّي عن التبيطِ اني زائر من اهل بيت الوحي خير مزور

(٤) ح : وانشده ما قال فيه ؛ ع : وانشده بعقب وصوله ما قال فيه .

[١٧٩] فلما انتهى إلى قوله :

وسفيهة هبت تصدُّ عن النوى
خافت عليَّ من الخطوبِ لأنَّني
ثم اجتمعنا بعد ذلك فيا لها
ويدُ النوى ملكتُ عنانَ مسيري
من قبلُ غبتُ فأبُتُ بعدَ دُهور
مأسورةٌ جمعتُ على مأسور

فلما قال هذا استعبر المهدي عليه السلام وتلقى دموعه بكمه ، فسكت سعدون ، وأوماً إليه أن قل ، فمر فيها حتى انتهى إلى قوله :

أعَن ابنِ فاطمة تصدين امرءاً
كفني عن التثييطِ إني زائرٌ
بنتِ النبي وعِترَةُ التطهير
من أهل بيت الوحي خير مزور

فقال له أبو عبد الله - وكان قائماً بين يدي المهدي - : صدقت هو أفضل العالمين ، فقبل سعدون الأرض بين يدي المهدي عليه السلام ومر فيها حتى انتهى إلى قوله :

هذا أمير المؤمنين تضعضعتُ
هذا الامام الفاطميُّ ومن به
والشرق ليس لشامه وعراقه
حتى يفوز من الخلافة بالمنى
لقدومه أركان كل أمير
امنت مغاربها من المحذور
من مهرب من جيشه المنصور
ويغاز منه بعدله المنشور

فقال أمير المؤمنين : ما شاء الله ، ومر فيها إلى أن ذكر أبا عبد الله فقال :

يا من تخيّر من خيار دعائه
حتى استمال إليه كل قبيلة
اشبهت موسى وهوحيَّتكَ آلي
تلقى فتلقف كلَّ إفك سحور
ارجاهمُ للعسر والميسور
ورمى إليه قياد كل عثور

فنظر المهدي إلى أبي عبد الله وتبسم ، فقبل أبو عبد الله [١٨٠] الأرض

قال للورجيني : أنا دون ذلك بُعد^(١) ما بين السماء والأرض ، فأمر له أمير المؤمنين بصلة جزيلة وبأن يُجرى^(٢) عليه لكل عام ، ووصله أبو عبد الله أيضاً .

ومدح المهدي من الشعراء ما يخرج ذكرهم وما مدحوه به عن هذا الكتاب^(٣) ، واستقر به^(٤) عليه السلام قرار الملك وسكنت به الدهماء وأمنت السبل واعتدلت الأمور واطمأنت واستقامت . ولما عرض عليه أولئك الجواري اصطفي^(٥) بعضهن وأعطى القائم عليه السلام منهن . وفرق أكثرهن على وجوه كتامة^(٦) ، وقسم عليهم أعمال افریقیة وجعل لكل عسكر من كتامة ناحية منها ومن غيرها من البلدان حيث انتهت طاعته وبلغ أمره ، واستعمل وجوههم على مدائنها ، وأمرهم بالتزين والتجمل ، فلبسوا خير الثياب وحلوا سروجهم ولحمهم^(٧) وأظهروا زياً حسناً ، فخرجوا من الحلية التي كانوا عليها واتسعت أموالهم وكثرت نعمهم لما أصابوا من الأعمال وملكوا من البلدان . وأجرى عليهم مع ذلك الصلوات وأسبغ عليهم العطاء ودون الدواوين وأمر باقتضاء واجب الأموال^(٨) . وكان ديوان الخراج

(١) ع ح : ببعده .

(٢) م : وكان يجري .

(٣) انظر بعض ما قبل من الشعر في مدح المهدي وذمه في البيان ١ : ١٦٠ .

(٤) ع : واستقر المهدي به .

(٥) ح : واصطفى .

(٦) ح م : وجوه رجال كتامة .

(٧) ولحمهم : سقطت من م .

(٨) انظر البيان ١ : ١٥٨ حيث يذكر ابن عذاري ان المهدي أمّن الناس في انفسهم

وذرايهم ولم يذكر الأموال ، فسأله البعض تأمينهم في الأموال فأعرض عنهم « فخافه

اهل العقل منذ ذلك الوقت . »

قد أُحرق لما هرب زيادة الله ، فأمر به فأُحيى ، ونصب ديواناً للكشف وديواناً^(١) للضياع وديواناً لأموال الهاربين مع زيادة الله ، واستصفى أموالهم وترك ما كان لنسائهم هن وأمر بسترهن وحفظهن ، واتخذ العبيد من السودان والروم ، ونصب ديواناً للعطاء ، وأمر باثبات الموالي [١٨١] وأبناء العبيد فيه ومن سارع إلى الرزق واكتتب به ، فاجتمع من ذلك عرائف كثيرة . وأمر بطلب نهب رقادة ، فاسترجع كثير منه من أيدي الناس وطلبوا فيه ، واجتمعت منه أموال كثيرة . وجعل بيتاً للمال وأقام له ديواناً ، فقيل إن صاحب بيت المال رفع إليه بتحصيل ما أخرجه من الصلوات في شهر رمضان فبلغ ذلك مائة ألف دينار ، وكان صاحب بيت المال استكثر ذلك فقال المهدي عليه السلام : لو بلغتني الله عز وجل إلى حقي ونلت أمني ما رضيت مثل هذا العطاء بأسره لرجل واحد من أوليائي .

وكان عليه السلام جواداً بالمال . وذلك فيما يؤثر قديناً من صفة المهدي عليه السلام . وكان مع ذلك لا يضيع أقل شيء من المال ولا يستهين به أن يذهب ولا يترك منه واجباً أن يصرف في غير حق . وتلك شيم الأئمة عليهم السلام . فقد روي أن رجلاً أتى الحسن بن علي عليه السلام يستجديه . ولم يكن عرفه إلا أنه دُل عليه . فرآه يطلب شيئاً طفيفاً كان له من حقه فأحجم عن سؤاله وداخله اليأس منه ثم تجاسر عليه فسأله فأعطاه عليه السلام فوق أمله أضعافاً فقال له : والله ما أدري ممّ أعجب أمن اعطائك هذا أم^(٢) من طلبك ما رأيتك أنفاً طلبته ؛ وأخبره بما اعترض عليه من اليأس

(١) م : ونصب ديواناً .

(٢) أم : سقطت من ع ح .

منه فقال له : يا هذا إن الذي رأيتنا طلبناه في الحقير الذي رأيت أراد أن
يغبننا عقولنا فأبيننا ، وأنت سألتنا كرمنا فأعطيناك .

[١٨٢] وكان من بقي من بني الأغلب ومواليهم ورجالهم وأتباعهم
قد خافوا جانبه مع ما أعطاهم أبو عبد الله من الأمان وأكد لهم ذلك المهدي
(صلح) ، وكان وجوههم وأكابرهم يدخلون فيمن يدخل إليه إذا جلس
فيقربهم ويدنيههم ويؤنسهم ويحسن إليهم . واستعمل جماعة منهم وأخرج
في البعوث والعساكر من كان يصلح لذلك من جميعهم وأحلهم محل الأولياء ،
فأمّنوا لذلك واطمأنوا وسكنت روعاتهم ، فنظر الناس من ضبطه وحزمه
وحسن سياسته وفضله وكرمه إلى ما لم يظنوا أنهم يرونه منه . ونشر العدل
وأقامه وأمر به فيما بعد وقرب ودنا ونأى منه ؛ وأنصف من المظالم وكان
يباشر سماعها بنفسه ويأخذ رقع أهلها إذا ركب وإذا جلس ويسمع منهم
شكواهم وينصفهم من ظلاماتهم بوجه الحق وسبيل العدل ، فمالت إليه
قلوب الخاصة والعامة وعظم في عيونهم وقلوبهم ، ونُسي أبو عبد الله
وانكسف^(١) ما كان ظهر من نوره لنور المهدي عليه السلام ، ومال الناس
عنه إليه ، وهو في كل ذلك يظهر من التواضع والتذلل والخشوع^(٢) والخضوع
والقول بفضله والتأكيد لأمره والدعاء له - أضعاف ما كان يقول فيه قبل ذلك
ويفعله مما يدل على صدق النية وصفاء الطوية واعتقاد الواجب ، إلى أن كان
من أمره ما سنذكره في الباب الذي بعد هذا الباب إن شاء الله تعالى .

(١) في هامش ح : اي احتجب .

(٢) والخشوع : سقطت من ح .

ذكر أخبار المنافقين [١٨٣] على المهدي عليه السلام
وما آلت أمورهم إليه

ولما هيباً الله عز وجل لوليه ما ذكرناه وأيده من توفيقه وعونه بما^(١)
وصفناه ، تداخل من ذلك أبا العباس أخا أبي عبد الله فساد ، وذلك أنه
تطعم^(٢) بحضرة أبي عبد الله لما قدم من طرابلس عليه رياسة^(٣) لتقدمه
إياه وتعظيمه له وما كان يظهر من إجلاله مما قدمنا ذكره لما كان عليه أبو
عبد الله من صالح الأدب وحسن النية إذ^(٤) كان أكبر سناً منه وأقدم سابقاً .
فرعى له ذلك وحفظه وأوجب له من أجله ما يوجب . ثم سار إلى سجلماسة
فكانت أمور الناس إليه وأعينهم^(٥) نحوه والأمر في ذلك أمره والنهي نهيه .
فلما عدم ذلك فسدت نيته وتداخله الحسد واستفزه^(٦) الشيطان فأغواه ،
وزين له فاستهواه . فجعل ينكر ذلك ويزري على المهدي عليه السلام عند
أبي عبد الله أخيه . ويقع فيه . وأبو عبد الله يتعاضم ذلك وينكره عليه إنكار
من يجله ولا يأتي مكروهاً إليه . وأبو العباس يزيد في ذلك ويستطيل ويؤكد
أسباب النفاق ويرمز ويقول . ثم واجه أبا عبد الله بالبيان . وفاوضه في
الإعلان ، وقال له : ملكت أمراً وانطاع لك فجئت بمن أزالك عنه وأخرجك^(٧)
منه وتنقصك واضطهدك ، وكان أقل الواجب لك أن يدعك وما كنت عليه

(١) م : كما .

(٢) في هامش ح : اي ذاق .

(٣) ح : رياسته .

(٤) م ع : واذا .

(٥) م ع : واعتهم .

(٦) في هامش ح : اي استخفه واستدعاه .

(٧) ع ح : فأخرجك .

فتكون الأمر والناهي ويشغل إن شاء بشغل نفسه دون أن يهتضمك أو يقيمك من الذل في مثل هذا المقام ؛ فلم يزل يبكته بمثل هذا [١٨٤] الكلام ويقرعه ويكرره^(١) إلى أن أثر فيه وحمله على أن شافه المهدي ببعضه وجعله على طريق النصيحة له فقال : يا مولانا إن كتامة قوم قد قومتهم بتقويم ، وأجريتهم على ترتيب وتعليم ، وتم لي منهم بذلك ما أردت ، وبلغت بذلك منهم ما قصدت ، وهذا الذي فعلته أنت بهم من إعطائهم الأموال ، وتوليتهم الأعمال ، وما أمرتهم به من اللباس والحلي فساد لهم ، للخروج من عاداتهم ، فلو تركتهم كما كانوا إلى أن أباشرهم دونك ، أمرهم وأنهاهم وأقيمهم على ما عودتهم وأجريتهم^(٢) على آدابي لهم وألي حروبك بهم وأحكم الأمور^(٣) دونك فيهم وفي غيرهم . فتكون وادعاً في قصرك لا يصل أحد منهم ولا من غيرهم إليك ، ليكون ذلك أهيب لك وأشد لأمرك وأرجى لما ترجوه من تمامه وكماله وانتظامه . فلما سمع ذلك منه المهدي عليه السلام أيقن بما تداخله وعلم من حيث أتى ، فرد عليه في ذلك رداً لطيفاً ولم ير أنه علم بحاله ، وأوقفه على اليأس مما منته نفسه .

فلما علم ذلك أبو العباس زاد في إفساده^(٤) وأصغى هو إليه وعمل سحره فيه ، ثم داخل الدعاة والمشايخ - وكانوا يعظمونه لما رأوه من تعظيم أبي عبد الله له وما سمعوه^(٥) منه من بلاغته وعلمه وتفننه - فأخذ كثير

(١) ح ع : ويكرره ويقرعه .

(٢) م : واجريتهم .

(٣) واحكم الامور : سقط من ح .

(٤) ح : فساده .

(٥) ح : وسمعوه .

منهم إليه وجعل يرمز لهم بالرمز^(١) بعد الرمز إلى أن صرح لمن رأى أن كلامه وقع فيه موقعاً ، فطعن^(٢) لهم في الإمامة وأدخل فيها الشبهة ، وجاءهم [١٨٥] من موضع محبوبهم ودخل إليهم من جهة مرادهم بأن الذي^(٣) كان يجب لهم ويستحقونه وينبغي أن يصنع إليهم أضعاف ما صنع بهم ، وذكرهم انتزاع الأموال من أيديهم وإدخال من أدخل في جملة الرجال معهم من العبيد ومن أهل افريقية وغيرهم ، وجاءهم من ذلك بضروب يطول ذكرها ومعان يقصر الكتاب عن نهايتها ، وكل ذلك يتصل بالمهدي عليه السلام وهو معرض عنه . وأبو عبد الله مع ذلك متماثل^(٤) لم يبلغ مبلغ الجحود ولا صار إلى حد النفاق إلى أن فشا أن أمير المؤمنين قد انتهى ذلك إليه . فقصد أبو العباس^(٥) إلى أبي عبد الله وإلى من استفسده من أصحابه من طريق التحذير والتخويف على أنفسهم وأنهم إن لم يبادروا الأمر بودر إليهم . فاستحكم ذلك من قلوبهم وزاد في سوء اعتقادهم . وكل ذلك يؤكد مراده ويشد أمره بضروب من الحيل ووجوه من الكيد . إلى أن حمل من استفزه من الدعاة على المباينة بالنفاق والاعلان بالشقاق . فاستخف هارون بن يونس الذي كان يقال له^(٦) شيخ المشايخ الأربابي^(٧) إلى أن واجه المهدي بالقول الذي زيتنه له

(١) بالرمز : سقط من ع ح .

(٢) م ع : وطعن .

(٣) كذا في م ع ح : وكتب فوقها في ح : بالذي .

(٤) ح : متماثل .

(٥) ابو العباس : سقطت من م .

(٦) له : سقطت من ح .

(٧) كذا في م ، وهي غير معجمة الباء الثانية في ع ، وفي ح : الارباني ؛ ولم يسمه ابن الاثير وابن خلدون بغير « شيخ المشايخ » وقالوا انه من كتامة (الكامل ٨ : ٥١ والعبر ٤ : =

واستفسده من أجله فقال للمهدي مواجهة : إنا قد شككنا في أمرك فأتنا
 بآية إن كنت المهدي كما قلت ؛ فتعاضمه عليه السلام ما^(١) أتاه من ذلك ،
 فأوقفه على فساد قوله من كتاب الله جل ذكره وما أتى فيه من ذم الأمم
 عند سؤالهم أنبياءهم^(٢) الآيات ، وقال له في ذلك من القول ما يطول ذكره ،
 وقد كان للشقي ولمن حملة على ذلك [١٨٦] من البرهان في المهدي ما لو
 تدبروه لاكتفوا به لأن الله عز وجل يقول في كتابه^(٣) لمثل من سأل نبيه صلى
 الله عليه وسلم ﴿ وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بيّنة ما في الصحف
 الأولى ﴾ (طه : ١٣٣) وقال جل ثناؤه ﴿ أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك
 الكتاب يتلى عليهم ﴾ (العنكبوت : ٦١) فجعل تنزيله جل ثناؤه معجزة
 نبيه عليه السلام وتأويله معجزة الأئمة من ولده ، فأخبر عن ذلك في كتابه
 وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بما يخرج عن حد هذا الكتاب معانيه
 وليس إياه قصدنا فنستقصيه .

وقال المهدي لهارون في قوله « شككنا في أمرك » : ويحك إنكم كنتم أيقنتم
 واليقين لا يزيله الشك ، وهذا الذي ذكره عليه السلام أصل من أصول
 الدين ، فغفل الشقي هارون عنه ، وقصر دونه ، وجعل يصر على الكفر
 والنفاق إلى أن استحق القتل ، وحققت عليه كلمة العذاب ، بلزوم الحجّة ،

= (١٣٧) ؛ وفي البيان ١ : ١٦٠ ان شيخ المشايخ قائد ارسله عبيدالله المهدي سنة ٢٩٧
 الى قبائل زنانة فهزمها وقتل كثيرين منها ، فلعله غير هذا المذكور عند القاضي النعمان ،
 او لعله حارب عن العبيديين قبل خروجه عليهم .

(١) من هنا يبدأ خط جديد ثالث في النسخة ع .

(٢) م : سؤال انبيائهم .

(٣) ح : فيه .

والإصرار على الكفر والمعصية ، فصار إلى غضب الله ولعنته^(١) . فلما أيقن أبو العباس والقوم الذين استزلمهم بموته ، جعل ذلك سبباً للمباينة . وجاءهم من أجله الخوف فأغراهم بترك المداهنة ، وقوى أمر ذلك على أبي عبد الله فقوي واستحكم سوء ظنه بالمهدي ، واخلوا^(٢) للعقد والإبرام واجتمعوا لذلك في دار أبي زاكي تمام بن معارك . فعقدوا العقود وأجمعوا^(٣) الآراء واحتالوا على أن يفتكوا بالمهدي وينزعوا حق الله^(٤) من يده ويطفئوا النور الذي جعله الله عز وجل فيه . جرأةً على الله عز وجل . وانسلاًخاً من الإيمان ، وخروجاً من جملة المؤمنين ، والله متم نوره [١٨٧] ولو كره الكافرون^(٥) .

واجتمعت كتامة إلاّ القليل منهم على ما زين اللعين لهم . وكان ممن خالفهم واعتصم بحبل المهدي عليه السلام وكان يأتي بأخبارهم إليه غزوية ابن يوسف ، فقدمه المهدي عليه السلام على من استعد من العبيد وجمع إليه من سلم من النفاق من المؤمنين واستعدوا للمنافقين على كثرتهم وقلة عدد المؤمنين فيهم ، فكان^(٦) أبو حليفة أيضاً في ذلك ممن ثبت^(٧) في جماعة من المشايخ . وباين القوم الباقون بالنفاق وجمعوا الجموع وأحاطوا بقصر المهدي

(١) ح ع : ولعنه .

(٢) ح : ودخلوا .

(٣) لذلك ... واجمعوا : سقط من ع : وفي ح : واجتمعوا .

(٤) ع : حقاً لله .

(٥) سورة الصف : ٨ .

(٦) م : وكان .

(٧) ع : ثبت .

ليقعوا به ، وهو في ذلك منتصب جالس جلد^(١) غير مكترث ثقة منه بوعد الله عز وجل ، فأيده^(٢) جل ثناؤه ونصره وفرق جمع من تمالأ عليه وقذف الرعب في قلوبهم ففترقوا ، وكانت في ذلك أخبار يطول بها الكتاب - وقد بنيناه^(٣) ، على الاختصار ورتبناه على الإيجاز - كانت فيها للمهدي براهين ومعجزات ودلائل وآيات بما أظهر الله من نصره وتأيدته وألقى من الرعب في قلوب أعدائه ومن تمالأ على الوثوب عليه على كثرة عددهم وقلة من معه ، كما نصر عز وجل بالرعب محمداً جده وأيده بنصره وأمده بملائكته .

وكان الذين عقدوا ذلك النفاق من رجال كتامة مع أبي العباس وأبرموه وتعاونوا عليه يتصل أخبارهم بالمهدي ، وهم على ذلك يدخلون عليه ويعتقدون في كل دخنة الفتك به والقبض عليه ، فإذا صاروا بين يديه ملئت قلوبهم خوفاً وهيبة^(٤) وغل [١٨٨] الله أيديهم عنه ، وهو مع ذلك غير مستعد لهم ولا ملوي بما يتصل به عنهم ، ثقةً منه بوعد الله عز وجل له وتوكلاً منه عليه وتفويضاً في أمره إليه ، فإذا انصرفوا عنه ندموا على تركهم إياه وتواعدوا لما عقدوه في الذي يستقبلونه ، فإذا صاروا إليه آل أمرهم إلى ما كان عليه ، فإذا كان الليل اجتمعوا عند أبي زاكي ، وأبو عبد الله كذلك يدخل معهم وأبو العباس . فنظر المهدي إلى أبي عبد الله يوماً من تلك الأيام وقد لبس ثوبه مقلوباً ثم دخل عليه به كذلك ثلاثة أيام فقال له في الثالثة : يا أبا عبد الله ما هذا الأمر^(٥) الذي ذهلك وشغلك مثل هذا الشغل في أمر

(١) م : وجلد .

(٢) م : وايده .

(٣) ع ح : بيناه .

(٤) م : بهيبة .

(٥) الامر : سقطت من ع ح .

نفسك؟ قال: وما هو يا مولاي؟ قال: أرى قميصك مقلوباً عليك منذ ثلاث^(١) ما اهتديت إليه ولا أحسبك نزعته عن^(٢) نفسك، فنظر فقال: والله يا مولاي ما علمت به. قال: ان هذا لشغل عظيم، فأين بت منذ^(٣) كذا وكذا من الليالي؟ فسكت، قال: أليس في دار أبي زاكي؟ قال: نعم يا مولاي، قال: وما أخرجك من دارك التي أنزلناك بها إلى دار أبي أبي زاكي؟ قال: يا مولاي خفت على نفسي، قال: ممن؟ فسكت، قال: مني؟ قال: خوِّفتَ يا مولاي فخفت، قال: فهل يخاف المرء إلاً من عدوه؟ قال: أعوذ بالله، قال المهدي عليه السلام: إن المؤمن^(٤) لا يخاف وليه، فسكت أبو عبد الله وأيقن أنه قد بدت عورته لولي الله ووجبت حجته عليه وبريء منه وحل قتله لمحاربتة إياه، وانصرف. وعلم القوم ما قاله أمير [١٨٩] المؤمنين، فأمسكوا عن الدخول إليه وخافوا على أنفسهم منه.

وكان ابن القديم قد داخلهم ووسوس إليهم وأفسدهم واستمالهم بأموال كانت في يديه من أموال زيادة الله وخاف من أمير المؤمنين مطالبته إياه بها، وكان قد ولاه ديوان البريد وأحسن إليه فكافأه بالخلاف والعقد عليه، وكان ذلك قد اتصل به عنه، فذكر يوماً وهو بين يديه تخلف القوم عنه فقال له^(٥): إن شئت يا مولاي أتيتك بهم، قال: وتقدر على ذلك؟ قال:

(١) ع: ثلاثة؛ م: ثلاثة أيام.

(٢) م: من.

(٣) م: من.

(٤) م: المؤمن...؛ وسقطت «ان المؤمن» من ع.

(٥) له: سقطت من ح.

نعم ، الساعة ، وولى فجاء بهم ، فعلم المهدي عليه السلام صحيح كونه معهم ودخوله في جملتهم ، فأظهروا البراءة مما قيل فيهم واعتذروا مما (١) تآدى إليه عنهم فرد في ذلك عليهم (٢) رداً جميلاً وأخرج من وجوههم إلى نواحي من البلدان ليفرق جمعهم ، فأخرج فيمن أخرج أبا زاكي إلى طرابلس . وكان عمه أبو يوسف عاملاً عليها فلما وصل إليه كتب إليه بقتله فقتله (٣) أبو يوسف عمه صبراً وبعث برأسه إلى المهدي (٤) ، وقتل جماعة منهم كذلك بالبلدان وبرقادة بصنوف من القتل ؛ وهرب ابن القديم واستخفى وطلبه فظهر عليه وقتل (٥) .

وخرج أبو عبد الله وأبو العباس يوماً يريدان قصر المهدي على عادتتهما ، فحمل غزوية بن يوسف على أبي عبد الله (٦) وحبر بن تماشت (٧) على أبي العباس برمح في يد كل واحد منهما فقتل غزوية أبا عبد الله (٨) وحبر أبا العباس

ع

(١) م : فيما .

(٢) عليهم : سقطت من ع ح .

(٣) اغفل القاضي النعمان ذكر دور ابي زاكي في هزيمة قبائل زناتة وهوارة ومائة النائرة بطرابلس قبل قتله ، وقد تحدث عنه ابن عذاري واورد تفصيلات لم ترد هنا عن حادثة قتله في البيان ١ : ١٦٣ - ١٦٤ .

(٤) الى المهدي : سقطت من م ع .

(٥) م : فاستخفى فطلب ... فقتل ؛ ع : فقتله .

(٦) عاد غزوية هذا فثار على المهدي في القيروان سنة ٣٠٢ مع خلق كثير من كتامة ولكن المهدي ارسل اليهم غالباً مولاه في جيش عظيم فاقتتلوا فقتل غزوية وأرسل رأسه الى المهدي (انظر البيان ١ : ١٧٢ والانعاض : ٦٩)

(٧) كذا في ح ، وفي ع : حبر بن تماش ، وفي م : جبر بن تماشت ؛ وفي البيان ١ : ١٦٤

جبر بن نماسب الميلي ، وفي العبر ٤ : ٣٧ : حباسة اخو عروبة (يعني غزوية) .

(٨) هنا ايضاً اغفل المؤلف ذكر الدور الذي قام به ابو عبدالله في القضاء على ثورات =

فيما بين القصور ، وكان قتلها يوم الاثنين ضاحية النهار يوم النصف من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائتين^(١) ، واتفق أن كان قتل أبي زاكي [١٩٠] في ذلك اليوم ، وأمر المهدي عليه السلام بدفنهما فدفنا في الجبان ، وترحم على أبي عبد الله وذكره بخير ولعن أبا العباس وقال فيه سوءاً، فدمر الله المنافقين وقطع آثارهم بعد الاعذار إليهم ووجوب الحجّة عليهم من الله ووليه^(٢) .

ولقد قيل إنه بعد مشافهتهم بالإعذار وما رأى منهم من التماذي والإصرار دس إلى كل واحد من ينصحه ممن كان يثق به ويميل إليه ، فأما أبو عبد الله

= القبائل في مناطق الدولة الجديدة المختلفة ، فانه فتح المدن وقتل وسبي ووردت له كتب كثيرة بالفتوح فقرئت بافريقية ؛ وقد اهتم ابن عذاري بابرار هذا الدور لابي عبدالله ، كما ابرز حديثه في تنس الذي طعن فيه بالمهدي قائلاً ان افعاله لا تشبه افعال المهدي ؛ هذا وفي حديث قتله عند ابن عذاري تفصيلات لم ترد هنا (انظر البيان ١ : ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٥) .

(١) كذا ايضاً في الوفيات ٢ : ٤٤٤ والعبر ٤ : ٣٧ والاتعاظ : ٦٨ والحطط ١ : ٣٥١ و ٢ : ١١ ، ولم يذكر ابن الاثير تاريخاً محدداً لقتلهما (الكامل ٨ : ٥٢) وخالف ابن عذاري الجميع عندما قال انهما قتلوا يوم الثلاثاء غرة ذي الحجة سنة ٢٩٨ (البيان ١ : ٢٩٨) .

(٢) ورد في صلة عريب (٢٨ وما بعدها) وحدها دون غيرها قصة غريبة عن سبب قتل المهدي ابا عبد الله وجماعته ؛ فقد قال ان المهدي اظهر شرب الخمر والغناء لدى دخوله القيروان فقال له ابو عبد الله : ما على هذا خرجنا ، وانكر فعله فنس عليه المهدي رجلاً من المغاربة يعرف بابن (ابي) خنزير فقتله ؛ هذا وازضاف في البيان ١ : ١٦٥ ان المهدي كتب الى الشيعة في المشرق عنهما كتاباً ظاهر الايجاز فقال : « اما بعد ، فقد علمتم محل ابي عبدالله وابي العباس من الاسلام فاستزلهما الشيطان فطهرتهما بالسيف . »

فكان يترجح ويقدم ويؤخر ويطوي ويظهر، وأما أبو العباس فقال لبعض من عاتبه في ذلك : والله لا تركنا بناء بنيناه بأيدينا وأتعبنا فيه أبداننا وذهبت فيه أعمارنا يسكنه غيرنا ونحن من وراء أبوابه حتى نحلّ في أعاليه أو نلحقه بأسافله . وقال آخر لأبي زكريا مثل ذلك فقال : لا^(١) والله لا أكون^(٢) في قطع أيام تقدمي فيها وارتفع علي ابن راعي البقر - يعني غزوية ابن يوسف - . وقال آخر لبعضهم في ذلك فقال : والله لا تركناه - يعني المهدي عليه السلام - حتى يقاسمنا هذه القصور التي نزلها والأجنة التي حولها بالأشبار ويكون الأمر أمرنا والحكم حكمننا كما كان ، ولا رضينا أن نأخذ من تحت يديه كما يأخذ العبيد ، بل يكون ما أخذناه بأسيافنا عندنا وتحت أيدينا كما كان ، ولنا الفضل فيما نعطيه منه ، في كلام كثير من الرقاعة والحمق والكفر والنفاق كما روي عنهم ، إلى أن حقت كلمة العذاب عليهم حتى دمرهم الله أجمعين وصيرهم^(٣) حصيداً ، خامدين ، وحمى الله عز وجل وليه من بأسهم وأظفروهم بهم كما حمى جدّه محمداً صلى الله عليه وسلم من بأس [١٩١] مشركي قريش لما تمالأوا عليه وأعملوا فيه الآراء ليقتلوه على كثرتهم وقلة أعداده^(٤) وقوتهم وضعف أنصاره ، وكان ذلك كذلك في المهدي حذو النعل بالنعل ، وعصم الله من عصم من المؤمنين مع وليه وثبتوا على ما كانوا عليه من ولايته بعد أن ندبوا إلى ما أجاب إليه غيرهم من النفاق ، وقيل لهم في ذلك وشبهه عليهم وخيّل إليهم فكانوا يقولون لأبي العباس بحضرة أبي عبد الله إذا قال لهم في ذلك : قد عرفنا هذا الذي دعانا بأنه إمامنا

(١) لا : سقطت من م .

(٢) م ع : ألوت .

(٣) م : وصير .

(٤) م ع : عددتهم .

ومولانا ونص عليه بحضرته ودعوت أنت إليه^(١) مدة وقلت كما قال ، فنحن على ما أخذناه وعرفناه فما الذي يزيلنا عنه ؟ فإذا سمع ذلك أبو عبد الله صوّب رأسه وسكت ؛ وأما أبو العباس فيناظر بالباطل ويموّه ويكابر ، فاستحق لذلك لعنة الله ولعنة أوليائه ، ونالت^(٢) أبا عبد الله عقوبة ما داخله من أجله ، عجلها له الولي في الدنيا واستغفر له في الآخرة لما تقدم من صالح عمله وصحيح نيته، وهذا من قول الله عز وجل ﴿ من يعمل سوءاً يجز به ﴾ (النساء : ١٢٣) وقوله ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾ (الشورى : ٣٠) وما تداخله الغش من الذهب فلا بد له من الذوبان ليحرق النار ما فيه من الغش ويصفو ، وأيسر العقوبة ما عجل في الدنيا وأشدّه عقوبة الآخرة ، نعوذ بالله من عقابه وعذابه ونسأله السلامة في العاجل والآجل والعصمة وهو الوهاب الكريم .

ذكر من نكث في ذلك الوقت من أهل افريقية ممن أعطي الأمان وعقوبتهم على النكث والعدوان

وقد ذكرنا ما تقدم من أبي عبد الله أولاً في حين دخوله من الأمان لأهل [١٩٢] القيروان ولسائر أهل البلدان ولمن^(٣) بقي بعد المخدول من بني الأغلب ومن^(٤) كان في خدمة المخدول ومواليه وأتباعه وما أعطاهم المهدي عليه السلام بعد ذلك ما لزموا الطاعة وأقاموا على الوفاء بالعهد وإحسان

(١) اليه : سقطت من م .

(٢) م : فنالت .

(٣) م : ومن .

(٤) ع م : ومن .

المهدي إليهم وإفضاله عليهم .

وكان^(١) أول ما بدأ من خلافهم ذلك أن جماعة من بني الأغلب كانوا عند أبي الحسن ابن أبي حجر ، وكان من وجوههم ومقدميهم واسخياهم ، وقد حضر طعامه وهم يأكلون معه إلى أن دخل عليه بعض خاصته فقال : قتل الساعة أبو عبد الله وأبو العباس ، فرفع يده من الطعام وضرب المائدة برجله وقال لمن كان معه من أهل بيته : قتلتم والله كلكم ، قالوا : وما ذنبنا نحن ؟ قال : هذا الذي آمنكم قد قُتل ، وهو صاحب هذا الأمر وسبب هذا الملك فكيف بكم وأنتم تعدون في الأعداء ، ومن قتل وليه كان إلى قتل عدوه أسرع ؛ فخامر^(٢) النفاق قلوبهم وسعى بعضهم إلى بعض به وتدخلهم الخوف من أجله . وكان عامتهم بالقصر القديم ، فوقع يوماً بين بعض السوقة فيه وبين بعض الكتاميين شر^(٣) ، فقاموا على الكتاميين فأخرجوهم من القصر وأغلقوا أبوابه ، وأصابوا جماعة من الأولياء وأظهروا الخلاف ، وذلك بعقب فتنة النفاق التي ذكرنا جملة خبرها . وتصايح من كان حول القصر القديم من كتامة فزحفوا إليه وأحاطوا به فأوقدوا النار على الصومعة ليمدهم أهل القيروان ، فجاءهم جماعة منهم ، فمن قبل أن يصلوا إليهم أخرج بنو الأغلب ما كان عندهم من السلاح والعدة [١٩٣] وفرقوا ذلك على أهل النكاية فيهم^(٤) وركبوا خيلهم^(٥) وعبوا الخيل والرجالة في داخل

(١) ع ح : فكان .

(٢) كتب في هامش ح هنا : خامره اي داخله .

(٣) ورد هذا الخبر مفصلاً في البيان ١ : ١٦٦ .

(٤) كذا في م ح ، وكتب فوقها في ح : منهم ، كما في النسخة ع .

(٥) م : الخيل .

القصر بموضع يقال له الميدان به رحبة واسعة وفتحوا باب السعادة وهو بهذا الميدان وخرجوا على من كان عليه من كتامة بدفعة واحدة فقتلوا منهم جماعة ثم واقفوهم ساعة فرفعوهم . وخرج يومئذ أبو حليفة ، واتصل الخبر بالمهدي عليه السلام فأرسل من رد كتامة عنهم وأظهر الإنكار عليهم وانصرفوا ، فأخرج بنو الأغلب فازاتهم وأخبيتهم فضربوها خارجاً من القصر القديم مما يلي رقادة بموضع يقال له الهدف^(١) وبرزوا فيها مجاهرين بالمعصية والحرب لولي الله ، فأعرض عنهم ، وأقاموا كذلك أياماً ثم تحللوا وانصرفوا إلى دورهم واستحقوا القتل بنكثهم ومبايبتهم فتركهم المهدي عليه السلام مدة ثم أمر بالقبض على جماعة من وجوههم ، فقبض عليهم فقتلوا صبراً على باب رقادة وجعلت رؤوسهم عليه ؛ وظن^(٢) الباكون أن أولئك الذين قتلوا هم^(٣) كانوا البغية ؛ ثم قبض بعد ذلك بمدة على طبقة ثانية منهم فقتلوا ، ثم أمر بطلبهم حيث كانوا من البلدان فقتلوا بكل مكان ، وتتبع من شد منهم فحبس ، فلم يزالوا محبسين إلى أن أطلقهم المنصور عليه السلام بعد الفتح مناً عليهم ووصلهم وسيرهم إلى مصر وذلك حين أطلق أهل السجون . ثم شجر أيضاً بين بعض أهل^(٤) القيروان وبعض الكتامين شر بها ، فقاموا على من كان بداخلها فقتلوا منهم في [١٩٤] ساعة واحدة زهاء سبعمائة رجل ، فاتصل الخبر في ذلك الوقت بالمهدي فقال : ألهم عقد أو رئيس في هذا الأمر ؟ قيل : لا ، وإنما^(٥) فعل ذلك الغوغاء ومن لا يعرف ولا يوجد

(١) م : الهدق .

(٢) م : فظن .

(٣) هم : سقطت من م ع .

(٤) أهل : سقطت من ح ع .

(٥) م : انما .

لو طلب ولا يؤبه له ، فتمثل عليه السلام بقول الشاعر :

احتوا على ديسم^(١) من جعد الثرى ابي قضاء الله الا ما ارى

وأناه شيوخ القيروان مع^(٢) المروزي القاضي فاعتذروا من ذلك ، فأعرض عنهم ولم يعجل بالعقوبة عليهم مدة ، ثم عاقبهم بعد ذلك في أموالهم عقوبة مثلهم إذ لم يعلم الفعلة منهم - وقتل من قتل منهم في مصرهم وبين جماعتهم ، ولم يكن ذلك مما عاقبهم صراحاً أنه عقوبة فعلهم ذلك ، ولكنه قيل ذلك^(٣) فيما قيل ، والله أعلم به . وقيل إن قوماً عرفوا ممن قتل ذلك اليوم واثخن في الأولياء ، وكانوا يعرفون بذلك ، فلم يعرض لهم إذ لم يقم في ذلك بيّنة عليهم ولم يجب في الحكم بالظاهر قتلهم ، فخرجوا بأسرهم فيمن خرج مع اللعين الدجال مخلد بن كيداد في فتنته إلى المهديّة لينصروه فقدّمهم في جماعة أهل القيروان في يوم يعرف بيوم الليانة قد كان زحف فيه مما يليها فهزمهم الله فقتلوا كلهم عن آخرهم لم يبق أحد منهم إلا في^(٤) ذلك اليوم وصيرهم الله إلى عذابه وعجل منهم انتقامه وأحلّ بهم بأسه .

(١) ح : ديّم ؛ وديسم : اسم علم ، وفي التاج (دسم) : أخشى على ديسم من برد الثرى .

(٢) مع : سقطت من م .

(٣) ذلك : سقطت من م ع .

(٤) في : سقطت من م .

ذكر جمل من أخبار المهدي عليه الصلاة والسلام^(١)

إلى أن أكرمه الله عز وجل بقبضه إليه

ولما فرق الله عز وجل جمع الظالمين وقطع شأفة المنافقين وأيد الله أمر وليّه وأعزّه وأظهره ، عهدَ إلى ابنه [١٩٥] محمد أبي القاسم القائم صلوات الله عليه وأجرى أمر كتبه باسمه وسمّاه ولي عهد المسلمين وكان يظهر السرور به إذا رآه ويتمثل كثيراً إذا^(٢) طلع عليه فيقول :
مبارك الطلعة ميمونها يصلح للدنيا وللدين

وتغيب بقية المنافقين فصاروا إلى بلد كتامة فأقاموا غلاماً حدثاً من أحسن^(٣) أهل بيت فيهم يقال له بنو ماوطنت من أورشية^(٤) فزعموا أنه المهدي ثم نحلوه النبوة وزعموا أن الوحي يأتيه وأن الكتب من الله تنزل عليه . ونصبوا له دعاء كدعاة أبي عبد الله يتكلمون بمثل ألسنتهم وعلى ترتيبهم وقالوا : أبو عبد الله حي لم يمّت . وأباحوا الزنا والمحارم وجاؤوا بتخليط عظيم . وأطبق عامة من بلد كتامة على ذلك وزحفوا إلى ميلة فأخذوها وذلك كله بمدّة قريبة فأخرج إليهم المهدي القائم صلى الله عليهما في عساكر فقاتلوه فهزمهم حتى انتهى بهم إلى البحر وقتل منهم خلقاً عظيماً . وأتاب إليه عامتهم فأمنهم وأخذ الغلام الذي نصبوه فأتى به إلى المهدي عليه السلام فقتله^(٥) .

(١) الى هنا ينتهي العنوان في ع .

(٢) رآه اذا : سقط من ح .

(٣) م : اخبث .

(٤) ع : بنو ماوطنت من اورسية .

(٥) هذا الخبر في الكامل ٨ : ٥٣ ، وهو في البيان ١ : ١٦٦ - ١٦٧ ، ١٦٨ أكثر تفصيلاً ،

وانظره ايضاً في الاتعاظ : ٦٨ .

ثم خالف أهل مدينة طرابلس فأخرج إليها القائم فحاصرها مدة ثم افتتحها عنوة ، فعفا عن عامتها من أهلها وقتل الذين عقدوا الخلاف بها من أكابرها واستصفي أموالهم^(١) . وبعث بعثاً إلى برقة^(٢) فافتتحها ثم خالفوا عليه فأرسل إليها بعثاً فافتتحها وأمر بأكابر أهلها الذين عقدوا الخلاف^(٣) فقتلهم^(٤) وفعل مثل ذلك بأهل صقلية بعد أن خالفوا أيضاً وعقدوا لابن قرهب وأتى به إليه [١٩٦] فقتله^(٥) .

وغزا مصر القائم عليه السلام غزوتين وملك الفيوم والصعيد ولم يحل بينه وبين مصر إلا النيل وما خبأه الله عز وجل لمن جعل ذلك له من ولده^(٦) . وافتتح مدائن كثيرة من مدائن الروم . وخالف أهل تاهرت عليه فغزاهم وافتتحها وقتل من أكابرها من أثار الخلاف بها^(٧) .

(١) انظر الكامل ٨ : ٦٦ وقارن بما في البيان ١ : ١٦٨ ، ١٦٩ وتاريخ هذه الحادثة سنة ٢٩٩-٣٠٠ .

(٢) م ح : بوقه ؛ وبرقة هي المدينة المشهورة في شمال شرق ليبيا على ساحل المتوسط وكانت تعرف قديماً باسم بنتابلس (انظر مختصر بلدان ابن الفقيه : ٧٩ والبلدان : ٩٦ ومسالك ابن خردادبة : ٨٥ وصورة الارض : ٧٢ ومسالك البكري : ٥٠ والاستبصار : ١٤٣ ووصف افريقية : ٩٨ ومعجم البلدان ١ : ٣٨٨) .

(٣) بها من اكابرها ... الخلاف : سقط من ع .

(٤) انظر في حادثتي فتح برقة (سنة ٣٠١ وسنة ٣٠٤) الكامل ٨ : ٧٤ ، ٨٤ والبيان ١ : ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٥ والاتعاظ : ٦٨ والخطط ١ : ٣٥١ .

(٥) خبر ابن قرهب في الكامل ٨ : ٧١ والبيان ١ : ١٧٤ ؛ وكان قتله سنة ٣٠٤ .

(٦) خبر غزوتي القائم الى مصر (سنة ٣٠١ وسنة ٣٠٦) في الحلة ١ : ١٩٠ والكامل ٨ : ٨٤ ، ٨٩ ، ١١٣ والبيان ١ : ١٧١ ، ١٨١ والخطط ١ : ٣٥١ .

(٧) قارن كلام القاضي النعمان عن فتح تاهرت بكلام ابن عذارى في البيان ١ : ١٦٥-١٦٦ ، وتاريخ هذه الحادثة سنة ٢٩٩ ؛ وانظر ايضاً الكامل ٨ : ٥٣ .

وابتني المهديّة (١) المأثور ذكرها في الكتب المعروفة بالبيضاء التي قيل إن الدجال لا يصل إليها ولا يدخلها ، فكانت كما جاءت الروايات فيها وكانت من أعجب الآثار ؛ بناها بالحجارة وبوابها بأبواب الحديد المحض وانتقل إليها في شوال سنة ثمان وثلثمائة وسكنها . ورأى الناس معجزات مما هيا الله عز وجل في بنائها ويسر له من الصعب منها ، وزاد إليها في البحر ، واحتفر في داخلها عيناً (٢) خرقها بها وجعل لها مخرجاً إلى البحر وقفلاً عليه . وكان إذا نظر إلى حصنها وأبوابها وإعجاب الناس بذلك يقول : هذا كله عدة لساعة واحدة من نهار . فكان ذلك كما قال لما انتهى إليها مخلد اللعين (٣) ووقف عليها ساعة وكان آخر عهده بها إلى أن رفع مصلوباً على سورها .

(١) المهديّة : مدينة كبيرة بتونس تقع على خط عرض ٣٥ / ٣٠ شمالاً وخط طول ١١ ، ٥ شرقاً . على بعد ٢٩ ميلاً جنوب شرق المنستير وعلى بعد ٤٣ ميلاً جنوب شرق سوسة وعلى بعد ٦٦ ميلاً شمال شرق سفاقس . وقد شرع المهدي في اختطاضها سنة ٣٠٣ - وقال البكري سنة ٣٠٠ - وانتقل إليها في سنة ٣٠٨ (Tunisia, p. 262) : وانظر وصفاً لها في صورة الارض : ٧٣ واقاليم الخوارزمي : ٢٠ ومسالك البكري : ٢٩ والاستبصار : ١١٧ والحلة ١ : ١٩٢ ووصف افريقية : ٨٧.٧٩ ومعجم البلدان ٥ : ٢٢٩ ؛ وانظر ايضاً : الكامل ٨ : ٩٤ والبيان ١ : ١٦٩ والانتعاظ : ٧٠ .

(٢) م : مينا .

(٣) هو ابو يزيد مخلد بن كيداد الزناتي النفزي النكاري الخارجي الملقب صاحب الخمار الذي ثار على العبيدين . وكان ابتداء امره سنة ٣١٦ . ولكن شوكته اشتدت منذ سنة ٣٣٣ . فهزم الجيوش وفتح المدن حتى استولى على القيروان وراقادة زمن القائم . وحاصر المهديّة ولكنه ردّ عنها ثم حاصرها مرة اخرى سنة ٣٣٤ . وظل حتى سنة ٣٣٥ في حروب وقتال عظيمين مع القائم ثم مع المنصور حتى ظفر به اصحاب المنصور جريحاً ، فابقاه المنصور عنده حتى موته في المحرم سنة ٣٣٦ فمثل بجثته (انظر اخباره في الكامل ٨ : ١٧٩، ٤٢٢-٤٤١ والبيان ١ : ٢١٦ والانتعاظ : ٧٥ وما بعدها) وسيأتي شيء من خبره فيما يلي من هذه الرسالة .

فغزّ أمر المهدي بها وافتتح كثيراً من البلدان منها وأقام الدعوة بها .
 والثالث أمر المغرب فأخرج إليه القائم فأصلحه ودمر من نجم فيه وانصرف
 بعد بلوغ ما أرادته .

ورفع إليه أن قوماً ممن أجاب إلى دعوته مرقوا عن الدين واستحلوا
 المحارم ورفضوا الظاهر ، فعاقبهم على قدر ذنوبهم ، فقتل قوماً منهم وسجن
 آخرين ونخلدهم في المحابس مصفدين إلى أن فنوا عن [١٩٧] آخرهم ،
 وامتحن^(١) المؤمنين وأغلق باب رحمته مدة من السنين ، ثم عطف رحمته^(٢)
 على الطالبين وبلغ المطيعين منازل الصالحين ، ولم يزل الله عز وجل يوليه
 من التوفيق والتسديد ويمنحه من النصر والتأييد ما هو أهله لديه ومستحقه
 عنده وبحسب^(٣) ما سبق له به وعهده إلى أن قبضه الله إليه لما أعد له من
 الكرامة لديه صلوات الله عليه أفضل صلاة صلاحها وأطهرها وازكاها
 وأعلاها . فنعى صبيحة^(٤) يوم الثلاثاء لعشر ليالٍ خلون من شهر^(٥) ربيع
 الآخر^(٦) سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وكانت مدة ظهور إمامته عليه السلام
 من يوم^(٧) وصل إلى رقادة إلى اليوم الذي نعى فيه أربعاً وعشرين سنة وشهراً
 واحداً وعشرين يوماً .

(١) م : ومحض ؛ ح : ومحض .

(٢) ح م : رحمة .

(٣) م : ويحسن .

(٤) م ع : صبيحة .

(٥) شهر : سقطت من ح .

(٦) كذا في ع (مصححة) وفي م ح : جمادى الآخر ؛ وفي الحلة ١ : ١٩٠ والكامل

٨ : ٢٨٤ والدرة : ١٠٩ والبيان ١ : ٢٠٦ والاتعاظ : ٧٢ والخطط ١ : ٣٥١

وأعمال الاعلام ٣ : ٤٧ انه توفي في منتصف ربيع الاول .

(٧) ح ؛ مذ ؛ ع : منذ يوم .

ذكر جمل من القول بعد المهدي عليه الصلاة والسلام

إلى حين الوقت الذي ألف هذا الكتاب فيه

وقام القائم بأمر الله صلوات الله عليه بعد المهدي مقامه واقتضى سيرته وآثاره وأحكامه وأذن في البكاء عليه وواصل الحزن لفقده وأدامه من بعده أيام حياته ، لم يرقد سريراً ولا ركب دابة ولا توطأ مهاداً ولا خرج من باب قصره أسفاً عليه وتردداً لذكره . وكان من صنع الله له كمثل ما كان للمهدي أبيه (صلح) أنه افتتح مدائن الروم وغزاهم بناحية الأندلس وأتى بفيثهم وسبيهم ومغنمهم .

وثار عليه غير ثائر فأمكنه الله عز وجل منه . وكان فيمن ثار عليه فاسق يعرف بابن طالوت^(١) وينتمي إلى قريش وكان من بعض كتّاب العراق فصار إلى ناحية طرابلس فزعم للبربر أنه ابن^(٢) المهدي ، فقاموا [١٩٨] معه واتبعوه فزحف إلى مدينة طرابلس ليأخذها في عدد عظيم ، فقاتلوه وهزموه وقتلوا جماعة من أصحابه ، ثم تبين للبربر أمره فقتلوه وأتوا برأسه إلى القائم عليه السلام .

ثم ثار عليه الدجال الذي كان ينتظره وجاءت فيه الروايات وأتى فيه الخبر ، مخلد بن كيداد ، فخرج من جبل أوراس فيمن تبعه فسار يطوي للبلاد ويزيد^(٣) إليه أهل الفساد والعدوان حتى أخذ منه مدينة القيروان ، وقتل

(١) خبر ابن طالوت القرشي في الكامل ٨ : ٢٨٤ .

(٢) ح : انه المهدي .

(٣) ح : وزيد ؛ ع : وبتريد .

خليل بن إسحاق^(١) وكان بها في عسكر ، ثم قتل ميسور الصقلي^(٢) فيما بين المهديّة والقيروان وقد سار إليه بعسكر ، ثم حل على المهديّة وانتهى إلى بابها ، ووقف ساعة وقد أغلق الباب دونه ؛ ثم انهزم أصحابه ، وكانوا يقاتلون كتامة من وراء جمة^(٣) فانصرف لما انتهى إليه ذلك ، وهذه الساعة هي الساعة التي كان المهدي يذكرها ويذكر أنه إنما ابتنى المهديّة من أجلها . ونزل اللعين بعساكره بالقرب من سوق الأحد^(٤) محاصراً للمهديّة ومن حولها . وكان الأولياء من كتامة ومن غيرهم يقاتلونه بدّاداً بلا نظام ولا رئيس عليهم ، وكان القائم يخبر بأيامه ومدته ووقته ، فانهزم من المكان الذي كان فيه فانهى إلى القيروان ثم عاد إلى سوسة فحاصرها ؛ حتى إذا رأى القائم أن وقت هلاكه قد أزف عهد إلى الإمام المنصور عليه السلام وأمره بمحاربتة ، فنهض إليه في قلة من العدد والأنصار فانهزم عن سوسة واتبعه [١٩٩] إلى القيروان فتردد أياماً ثم انهزم منها واتبعه المنصور عليه السلام وقد وليّ هارباً بين يديه^(٥) ،

ع

(١) خليل بن إسحاق : كان من رجال المهدي المقربين ، وكان المهدي يصرفه في الاعمال وجبايات الأموال ، ومحاسبة الدواوين والعمال ، ثم وقعت له اقوال فكرهه لكنه ابقاه لاجل ابنه ابي القاسم ، فلما تولى ابو القاسم ولاّه أمر صقلية سنة ٢٢٥ « فعمل بها ما لم يعمل احد قبله ولا بعده من المسلمين : اهلكهم قتلاً وجوعاً حتى فروا الى بلاد الروم وتنصر كثير منهم » وبقي في صقلية أربعة اعوام ولما عاد الى افريقية سنة ٢٩٩ كان يفتخر بمظالمه . انظر الحلة السيرة ١ : ٣٠٢ والكامل ٨ : ٢٣٨ والبيان ١ : ٢١٥ .

(٢) انظر البيان ١ : ٢١٨ والكامل ٨ : ٢٨٤ و ٤٢٣ ، ٤٢٥ ويسميه هناك : ميسور الفتى ، وكان مقتل ميسور على يد اصحاب محمد بن كيداد في سنة ٣٣٣ .

(٣) م : حمة .

(٤) سوق الاحد هذه لا بد ان تكون غير سوق الاحد التي بالجزائر والتي ذكرها الادريسي في وصف افريقية : ٦٤ .

(٥) ح : ايديه .

فكلما لحق به أوقع بأصحابه وأفلت حتى انتهى إلى كناية^(١) - قلعة بناحية الزاب - فاحتصر بها وحاصره المنصور بها حتى أمكنه الله منه أسيراً وقد أُثبتت جراحته ، ثم مات في الأسر وعجل الله به إلى النار . وكانت مدته مذ وصل إلى القيروان إلى أن خرج منها عشرين شهراً ، وقد ذكرت أخباره واستقصيت ذكرها في كتاب ضخيم جمعت ذلك فيه^(٢) .

وقبض القائم عليه السلام إلى ما أعد الله من جزيل فضله في شوال سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، وأطفأ الله بالمنصور الفتنة واستنقذ به الأمة . وسار بالعمو والصفح عن قدر عليه ممن نصب الحرب له وسعى في الفتنة إليه . وغزا بلاد الروم ففتح أكثر أرض قِلْوَرِيَّة^(٣) وأتى بفيثها وسببها . ولم يكن أظهر وفاة القائم حتى أمكنه الله عز وجل من اللعين الدجال . فنعاه حينئذ إلى الناس وأظهر الصبر لمصابه والتجلد على الرزية ، رجاء^(٤) ثواب الله على حمل^(٥) فادح ذلك وألم مضضه . ثم قبض عليه السلام في آخر شوال من سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة من بعد أن نصب للإمامة وأبان للخلافة ابنه المعز لدين الله عليه السلام ، فقام بالإمامة من بعده يقفو أثره وآثار من مضى من آبائه ، وأظهر مثل ما أظهره المنصور من الصبر على مصابه والتسليم لفقده ،

(١) ع : كتابة ؛ ح : كناية .

(٢) هو كتاب ذات المحزن . وكتبه بشكل منظومة (انظر ايفانوف : Ismaili Literature, art, 100.) .

(٣) قِلْوَرِيَّة (Calabria) - بكسر اوله وتشديد اللام وفتح الواو وسكون الواو وكسر الراء والياء مفتوحة خفيفة - منطقة في جنوب ايطاليا مقابل جزيرة صقلية يفصل الواحدة منهما عن الاخرى مضيق مسينة (انظر معجم البلدان ٤ : ٣٩٢) .

(٤) ح : وجاء .

(٥) ح : حمد .

ولزم ذلك من بعده ، وقام بما حمل من أعباء الخلافة ، والناس بعقب فتنة ،
وأطراف المملكة [٢٠٠] على سبيل المعصية ، والسبل خائفة ، ولما تنجل^(١)
طخياء الظلمة ، ولا نحمد لب نار الفتنة ، ورؤساء القبائل الذين كانوا هاجوا
الحرب وأوقدوا نارها ممتنعون في معاقلهم من الجبال والأطراف ، فنهض
إليهم المعز لدين الله عليه السلام بعقب ما أفضى^(٢) الله بالخلافة إليه ، فأنزلهم
الله جل ثناؤه من صياصيتهم ، وقذف الرعب في قلوبهم ، وأتوه محكمين
له في أنفسهم وملقين إليه ، فسار سيرة أبيه بالعفو عنهم وأتى بهم إلى قرار
ملكه عن آخرهم . ووضعت الحرب أوزارها^(٣) وحمد دخانها وطفئت
نارها وأمنت السبيل وهدأت الروعات وسكن الناس واطمأنوا ، وألف الله
به قلوب العباد ، وقطع به أسباب الفساد ، ودانت له الأطراف والقبائل
بكل دان وشاسع وقريب وناء . وأتاه محمد بن خزر^(٤) أمير البربر مستسلماً
إليه ملقياً بيده طالباً للصفح والعفو فمنحه ذلك تفضلاً منه وأقام ببابه رغبة
منه في المقام به ونقل إليه عياله وأهل بيته ، وهو قديماً وآباؤه رؤساء البربر
وأمرائهم ، إلى أن ألقى بيده وخرج إلى المعز مما كان فيه ، ولم يلق بيده^(٥)
قبل ذلك لأحد ولا من مضى من آبائه ولا انقطعت رياستهم عنهم^(٦) ولا
خرجت طاعة البربر من أيديهم إلى أن أفاء الله به وبصره طريق رشده وهديه
إلى صلاح نفسه .

(١) ع ح : تجل .

(٢) ح ع : امضى .

(٣) اوزارها : سقطت من ع ح .

(٤) راجع ما سبق ص : ٢٣٦ الحاشية ٣ .

(٥) ح : بيديه .

(٦) ع ح : عنه .

وغزا المعز عليه السلام بني أمية بالأندلس^(١) فأحرق أساطيلهم [٢٠١]
 ودار صناعة مراكبهم ، واحتوى على المرية وما فيها بعدد قليل من مراكب
 أخرجها لأمر تعدوا فيه وجواز جازوا^(٢) في البحر إلى المشرق من غير أمره .
 وغزا بلد الروم فسبي قلورية^(٣) وهدم كنائسها وأخرب مدائنها من بعد أن
 أن تلقى اسطوله اسطول الطاغية دونها فقاتله فهزمه وحل ببلد الروم ، ثم
 بذل صاحب أسطول الطاغية وقائد عسكره له الجزية^(٤) عن^(٥) أهل ملته
 وأتاه راغماً إلى بابه ، نصرأ من الله عز وجل ونعمة أنعمها عليه^(٦) كما أنعمها
 على من قبله من آبائه عليهم السلام ، فافتتح دولته بالسعد والإقبال ، وذل
 له الصعاب ، وأمده بالنصر والتأييد ، ووصل له النعمة والتوفيق والتسديد ،
 وقام بأمر دعوته بنفسه راجياً على ذلك ثواب الله ربه غير مستكبر ولا
 مستنكف عن^(٧) مباشرة قوي من طلب ذلك ولا وضيعه^(٨) ولا شريفه ولا
 مشروفه ، وأيده الله بالحكمة والبيان والحجة والبرهان ، وأقام صلاة الأعياد
 وكثيراً من الجمع والخطبة في ذلك بنفسه بأبلغ بلاغة وأعظم خشية ، وظهر
 منه من ذلك ما دل على تأييد الله عز وجل فيه إذ كان ذلك على قرب عهده
 وقلة ممارسته ودراسته ، وإذ لم^(٩) يعلم الناس أن معلماً أفاده ولا ملقناً لقنه

(١) كان ذلك سنة ٣٤٤ ، وانظر تفصيل الحادثة في الكامل ٨ : ٥١٣ .

(٢) ع ح : وجور جاروا .

(٣) ح : في قلورية ؛ وراجع في هذه الحوادث الكامل ٨ : ٤٧٤ - ٤٩٤ .

(٤) ح : الجزيلة .

(٥) م : من .

(٦) ع م : اليه .

(٧) م : من .

(٨) في ع م : ضعيفة ؛ وعند هذه الكلمة تنتهي النسخة ع .

(٩) م : لا .

غير ولي الله الذي أفضى بما عنده من علم الله إليه وزاده الله عز وجل من ذلك ما أبان به فضله ودلّ به عليه مادة منه له وإلهاماً من قبله وتأييداً منه وفائدة (١) من صنعه حباه بها وآثره بمكارمها وأبانه [٢٠٢] بمعجزاتها ودل بذلك على توريثه امامة آباءه (٢) وأن ذلك كذلك ينتقل في الخلف الصالح من أبنائه، فضيلة جعلها الله لهم ، وكرامة أبقاها في أعقابهم ، من لدن محمد خاتم النبيين إلى انقضاء الدنيا والحمد لله رب العالمين .

وقد أثبتت سيرة (٣) المعز وما خصه الله به من فضله وحباه من كرامته مذ أفضى إليه بخلافته إلى وقت بسطي هذا الكتاب وقتاً فوقتاً ويوماً فيوماً ، وأنا على ذلك أجمع فيه وأزيد إليه ما يهب الله له ويخصه به إلى انقضاء عمري وبلوغ أجلي ودوام مدته وطول بقائه وفي طاعته وبلوغ رضائه ان شاء الله تعالى . وقد جمعنا من ذلك كتباً كثيرة أشبعت معانيها وبالغت في ذلك ما أردت ذكره فيها فلم ينبغ لي أن أخلي هذا الكتاب من النكت (٤) التي ذكرتها فيه وذلك على حسب ما شرطت مع الاختصار في أوله وبينته (٥) من ذلك عليه .

وكان بسطي إياه في المحرم سنة ست وأربعين وثلاثمائة والحمد لله رب العالمين حمداً يرضيه المبالغة فيه ويزلفنا لديه ، وصلى الله على نبيه وعلى العترة الزكية من آله وسلم عليهم أجمعين .

(١) ع ح : وفوائد .

(٢) آباءه : سقطت من ح ع .

(٣) سيرة : سقطت من ح ع .

(٤) ع ح : نكت .

(٥) م : وبينت .

وكان (١) الفراغ من نسخة هذا الكتاب
بعون الله الكريم وتوفيقه اليوم الأول
من شهر ربيع الآخر سنة
ثمانين ومائتين وألف

(١) هذا ما جاء في آخر النسخة م ، وجاء في آخر النسخة ح :

تم الكتاب بعون الله وحسن توفيقه من تسويده ومن نساخته يوم الجمعة نهار السابع
من شهر شعبان الكريم سنة ١٣١٥ ألف وثلاثمائة وخمس عشر بعد هجرة النبي المختار
عليه صلوات العزيز الواحد القهار ما اظلم الليل واضاء النهار :

كتبت وقد ايقنت حين كتبها بأن يدي تفنى ويبقى كتابها

• • • •

يا قارىء الخط قل بالله مجتهداً اغفر لكاتبه يا خير معبود

مصادر المقدمة والتحقيق

- اتعاظ الحنفا باخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء للمقرئزي . تحقيق الدكتور جمال الدين الشيبان .
القاهرة ، ١٩٦٧ .
- احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم للمقدسي المعروف بالبشاري . نسخة مصورة عن الطبعة
الاوروبية بتحقيق دي جويه . لندن ، ١٩٠٦ .
- الاستبصار في عجائب الامصار لكاتب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري . تحقيق
الدكتور سعد زغلول عبد الحميد . الاسكندرية ، ١٩٥٨ .
- استنار الامام لاحمد بن ابراهيم (محمد؟) النيسابوري . نشر الاستاذ ايفانوف . مجلة كلية
الآداب بالجامعة المصرية ، ١٩٣٧ (القسم الثاني) . ص : ٩٣-١٠٧ .
- الاعلام لخير الدين الزركلي (الجزء التاسع) . الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٥٧ .
- اعمال الاعلام لابن الخطيب (القسم الثالث) . تحقيق الدكتور احمد مختار العبادي والاستاذ
محمد ابراهيم الكتاني . الدار البيضاء ، ١٩٦٤ .
- الاقاليم للاصطخري . نسخة مصورة عن الصورة الاوروبية بتحقيق الدكتور مولر . غوطة ،
١٨٣٩ .
- الاكليل للهمداني (الجزء الثاني) . تحقيق محمد بن علي الاكوع الحوالي . القاهرة ، ١٩٦٧ .
- انباء الزمن في اخبار اليمن ليحيى بن الحسين بن المؤيد اليمني . تحقيق الاستاذ محمد مهدي .
برلين - لبيسك ، ١٩٣٦ .
- انساب الاشراف للبلاذري (الجزء الخامس) . نسخة مصورة عن الطبعة المقدسية بتحقيق
الاستاذ جويتاين . القدس ، ١٩٣٦ .
- البلدان لليعقوبي . ط . النجف .

- بلوغ المرام في شرح مسك الختام للقاضي حسين بن احمد العرشي . تحقيق الاب انستاس ماري الكرملي . القاهرة ، ١٩٣٩ .
- بهجة الزمن في تاريخ اليمن لابن عبد المجيد اليماني . تحقيق الاستاذ مصطفى حجازي . القاهرة ، ١٩٦٥ .
- البيان المغرب لابن عذاري (الجزء الأول) . نسخة مصورة عن الطبعة الاوروبية بتحقيق كولان وليفي بروفسال . دار الثقافة ، بيروت .
- البيان والتبيين للجاحظ (الجزء الأول) . تحقيق الاستاذ محمد عبد السلام هارون . القاهرة ، ١٩٦١ .
- تاريخ الجزائر لاحمد توفيق المدني . الجزائر ، ١٣٥٠ .
- تاريخ الرسل والملوك للطبري (الجزء الثاني) . نسخة مصورة عن الطبعة الاوروبية ، مكتبة خياط ، بيروت .
- تاريخ اليمن لعمارة اليمني . تحقيق الدكتور حسن سليمان محمود . القاهرة ، ١٩٥٧ .
- ترتيب المدارك للقاضي عياض (١-٤) . تحقيق الدكتور احمد بكير محمود . بيروت ، ١٩٦٧ .
- التكملة لابن الابار (١-٢) . القاهرة ، ١٩٥٦ .
- تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (الجزء الخامس) . دمشق ، ١٣٣٢ .
- جمهرة انساب العرب لابن حزم . تحقيق الاستاذ محمد عبد السلام هارون . دار المعارف بمصر ، ١٩٦٢ .
- الجواهر المضية في طبقات الحنفية لابن ابي الوفاء (١-٢) . حيدر اباد الدكن ، الهند ، ١٣٣٢ .
- الحلة السراء لابن الابار . نسخة مصورة عن النسخة المحفوظة بمكتبة الاسكوريال تحت رقم : ١٦٥٨ .
- الحلة السراء لابن الابار (١-٢) . تحقيق الدكتور حسين مؤنس . القاهرة ، ١٩٦٣ .
- الخور العين لنشوان الحميري . تحقيق الاستاذ كمال مصطفى . القاهرة ، ١٩٤٨ .
- خريطة المغرب الاركيولوجية ، اعداد احمد المكناسي . تطوان ، ١٩٦١ .
- الخطط المقرئية (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) للمقرئ (١-٢) . دار الطباعة المصرية ، ١٢٧٠ .
- الدرّة المضية في اخبار الدولة الفاطمية لابي بكر عبد الله بن ابيك الدواداري . تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد . القاهرة ، ١٩٦١ .

- الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء الذهب لابن فرحون . مصر ، ١٣٥١ .
- ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة . تحقيق الاستاذ محمد كامل حسين . القاهرة ، ١٩٤٩ .
- رياض النفوس لابي بكر عبد الله بن ابي عبد الله المالكي (الجزء الأول) . تحقيق الدكتور حسين مؤنس . القاهرة ، ١٩٥١ .
- سيرة الحاجب جعفر لمحمد بن محمد اليماني . نشر الاستاذ ايفانوف . مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية ، سنة ١٩٣٧ (القسم الثاني) ص : ١٠٧-١٣٣ .
- شذرات الذهب في اخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي (الجزء الثاني) . القاهرة ، ١٣٥٠ .
- صحيح مسلم (١-٢) . مصر ، ١٢٦٠ .
- صفة جزيرة العرب للهمداني . تحقيق الاستاذ محمد بن عبد الله بن بليهد النجدي . القاهرة ، ١٩٥٣ .
- صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي . الطبعة الاولى ، المطبعة الحسينية المصرية . صورة الارض لابن حوقل . دار الحياة ، بيروت .
- طبقات علماء افريقية لأبي العرب محمد بن احمد بن تميم التميمي وطبقات علماء افريقية لمحمد بن الحارث بن اسد الحشني وطبقات علماء تونس لابي العرب محمد بن احمد بن تميم التميمي . تحقيق الشيخ محمد بن ابي شنب . الجزائر ، ١٩١٤ .
- طبقات الفقهاء لابي اسحاق الشيرازي . نسخة مصورة عن النسخة المحفوظة بمكتبة شهيد علي باستانبول تحت رقم : ١٩١٤ .
- العبر في خبر من غير للذهبي (الجزء الأول) . تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد . الكويت ، ١٩٦٦ .
- العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون (الاجزاء ٣، ٤، ٦) . بولاق ، ١٢٨٤ .
- عيون الاخبار وفنون الآثار ... لادريس بن الحسن (السبع الرابع) . نسخة مصورة محفوظة بمكتبة الجامعة الاميركية في بيروت تحت رقم : MS/297.09/121 aA, v. 4 .
- غاية الاماني في اخبار القطر اليماني ليحيى بن الحسين بن القاسم بن علي (القسم الأول) . تحقيق الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور . القاهرة ، ١٩٦٨ .
- الفائق في غريب الحديث للزنجشيري (الجزء الثالث) . القاهرة ، ١٩٤٨ .
- الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي . تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد . القاهرة .
- الكامل في التاريخ لابن الاثير (٧-٨) . نسخة منقولة عن النسخة الاوروبية بتحقيق الاستاذ تورنبرج . دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٥ .

- كتاب الولاية وكتاب القضاة لابي عمر محمد بن يوسف الكندي المصري . بيروت ، ١٩٠٨ .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى (الجزء العاشر) . الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٦٧ .
- مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه . نسخة مصورة عن الطبعة الاوروبية بتحقيق دي جويه .
لندن ، ١٨٨٥ .
- المسالك والممالك لابن خرداذبة . نسخة مصورة عن الطبعة الاوروبية بتحقيق دي جويه .
لندن ، ١٨٨٩ .
- معجم البلدان لياقوت الحموي . دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٥ .
- المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب للبكري ، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك .
نسخة مصورة ببغداد عن النسخة الاوروبية بتحقيق البارون دي سلان .
الجزائر ، ١٨٥٧ .
- المكتبة العربية الصقلية من جمع ميخائيل اماري . طبعة مصورة ببغداد عن الطبعة الاوروبية .
ليسك ، ١٨٥٧ .
- نفع الطيب للمقري (الجزء الثالث) . تحقيق الدكتور احسان عباس . دار صادر ، بيروت ،
١٩٦٨ .
- نهاية الارب للنويري (الجزء الثاني والعشرون) . نسخة مصورة عن نسخة دار الكتب
المصرية رقم : تاريخ تيمور ١٥٤٩ .
- النهاية في غريب الحديث لابن الاثير (الجزء الرابع) . القاهرة ، ١٣١١ .
- وصف افريقية الشمالية والصحراوية للادريسي (مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق
الآفاق) . تحقيق هنري بريس . الجزائر ، ١٩٥٧ .
- وفيات الأعيان لابن خلكان (الجزء الثاني) . تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد .
القاهرة ، ١٩٤٨ .

L'Afrique Byzantine I & II, par C. Diehl. New York, 1959.

Algeria, II. B. R. 505 (Restricted) ; Geographical Handbook Series.
Naval Intelligence Division. Oxford University Press, England,
May, 1944.

« Awras ». Encyclopaedia of Islam, (E. I.), I, p. 518.

L'Emirat Aghlabide par Mohammad Talbi. Paris, 1966.

« Gafsa ». E. I., II, p. 126.

Histoire des Berbères d'Ibn Khaldoun, traduite de l'arabe par le Baron de Slane, I. Paris, 1925.

« Raqqada ». E. I., IV, p. 110.

« Sidjilmasa ». E. I., IV, p. 404.

« Tahert, ». E. I., IV, p. 610.

« Tebessa ». E. I., IV, p. 712.

« Tobna ». E. I., IV, p. 805.

Tunisia. B. R. 523 (Restricted) ; Geographical Handbook Series. Naval Intelligence Division. Oxford University Press, England.

فهرست الأعلام

- ابراهيم بن أبي الأغب ١٨٠-١٨٣-١٨٥-١٨٨-١٩٠-١٩٣-١٩٦-١٩٨-١٩٩-٢٠١-
 ٢٠٥-٢٠٩-٢١١-٢١٣-٢٢٣-٢٢٧-٢٢٨
- ابراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغب ٧٧-٨٢-٨٤-٨٩-٩١-٩٤-١٠٨-١٠٩-١٢٠-١٢١-
 ١٤٠-١٤١-١٤٣-١٤٤-١٤٨
- ابراهيم بن اسحاق الزبيدي (« الهوازي ») ٦١
- ابراهيم بن الأغب بن سالم بن عقال الأغبلي ٢١١
- ابراهيم بن البروج ١٨٩
- ابراهيم بن حبشي ١٥٦-١٥٩
- ابراهيم بن المذيلي ١٨١
- أبو ابراهيم ابن موسى بن عياش ١٢١-١٣٥-١٣٩
- أحمد بن الأغب (أخو محمد بن الأغب) ٨٣
- أحمد بن سليم السكتاني . أبو جعفر المعروف بالجرارة ١٤٠
- أحمد بن سليمان السكتاني . أبو جعفر (ولعله المتقدم قبله) ١٨٧
- أحمد بن عبد الله بن خليع ٤٥
- اسحاق بن أبي سلاسل ١٨٨
- أسعد أبو كرب ٩١
- اسماعيل بن نصر المعادي ١٦٧
- « الامام » ٣٧، ٣٨، ٤٠، ٤٥، ٤٦
- أمية بن أبي الصلت ٩١

ابن بسطام ، أبو العباس ٢٢٩ ، ٢٣٠
 أبو بكر (الصدیق) ١٧٢
 بیان بن صقلان السكتانی ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٤٠
 تصولا بن یحیی ١١٩
 تمام بن معارك ، انظر : أبو زاکي
 جابر بن موسی ١٨٩
 ابن الحصاص (التاجر) ٢٢٩
 جعفر بن ابراهیم (صاحب المذیخرة) ٥٢
 جعفر بن محمد (الامام) ٣٣ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٤
 أبو جعفر الخزري ٢٢٦ ، ٢٥٤
 ابن جيران الشاعر ٤٩
 ابن جیمال (محمد بن عبد الله) أبو العباس القاضي ١٧٩ - ١٨١
 حارث المدغري ١٩٩
 حبر بن تماشت ٢٦٦
 ابن حبشي ، انظر : ابراهیم بن حبشي
 حبيب بن بكر ١٨٩
 حبيب بن ليفة ١٨٨ ، ١٩٠
 أبو حبيب ابن عسلوجة ١٥٤ ، ١٥٥
 حريث الجیملي ٦٣ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٣
 حسن بن أحمد بن أبي خنزير ١٣٤ ، ١٣٥ ، ٢١٢ ، ٢١٤
 الحسن بن أحمد بن نافذ ، انظر : أبو المقارع
 الحسن بن علي بن أبي طالب ٢١٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٧
 الحسن بن فرح بن حوشب ، انظر : أبو القاسم ابن حوشب
 الحسن بن هرون الغشمي ٧٤ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٦ - ١٤٠
 ابن حسن الشاعر ٨١
 أبو الحسن ابن أبي حجر ٢٧٠
 الحسين بن علي بن أبي طالب ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٢١٧ ، ٢٤٩
 الحكم بن ناسب ١٠٠

الخلواني ٥٧، ٥٨، ٦٣، ٦٩، ٧٠، ١٣٢، ١٣٣، ١٦٧

أبو حليفة ٢٦٣، ٢٧١

حماس بن مروان القاضي ١٤٧، ١٨٠، ١٨١

حمزة المزي ١٦٨

حمود القصير ١٨١

أبو حنيفة (الامام) ١٤٦، ١٤٧

أبو حوال (أبو عبد الله محمد بن أبي العباس صاحب افريقية) ١٣٦-١٣٩، ١٤٢، ١٤٣.

١٤٥، ١٤٦، ١٥٤

حي بن تميم ٩٤، ١٤٦، ١٦٤

أبو حيون (المعروف بأبي المفتش) ٥٧، ٦٨، ٧٠

خالد بن سنان ٩١

خفاجة العبشي ١٨٥-١٨٧

خلفون بن مهدي ١٨٩

خليل بن اسحاق ٢٧٨

داود بن حياصة اللهصي ١٥٥

رجاء بن أبي قنة ٢٠٠

ابن ركاب ١٦٩

رونند ٢١٦

أبو زاكي (تمام بن معارك) ٧٤، ١١٧، ١٣٥، ١٦٢، ١٦٣، ١٨٢، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤٤.

٢٤٦، ٢٦٣-٢٦٨

الزبير (بن العوام) ١٧٢

ابو زعبل ١٨٨

زيادة المتوسي ٩٤

زيادة الله (عامل باغاية) ١٦٦، ١٦٧

زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب ٢٠٦، ٢٢٥

زيادة الله بن أبي العباس عبد الله بن ابراهيم بن أحمد الأغلبي ٩٣، ١٢٩، ١٤١، ١٤٣، ١٤٨.

١٥٢، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٥، ١٧٣، ١٧٦، ١٧٨، ١٨١، ١٨٢.

١٨٤، ١٨٥، ١٨٨، ١٩٢، ١٩٤، ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٣، ٢١٦، ٢٢٠، ٢٢٢-

٢٢٩، ٢٣٧، ٢٥٧، ٢٦٥

- زيد بن عمرو ٩١
سحنون (عبد السلام بن سعيد التنوخي) ٨٣، ٨٢
سعدون الوريثيني ٢٥٦-٢٥٤
أبو سفيان ٥٨، ٥٦-٥٤
سهل بن بركاس ١١٤-١١٢
ابن الشنيم (عبد الله) ١٨٥-١٨٣
شيب بن أبي الشداد (شيب الصغير) ١٦٢، ١٦١، ١٥٩، ١٥٨
صالح بن الروحاني ١٤٦
ابن الصانع (الصائغ ؟) . انظر : عبد الله بن الصانع (الصائغ ؟)
الصدني (محمد بن أسود) ١٤٧
صولات بن بازل ١٨٩
صولات بن القاسم السكتاني ١٩٠-١٨٨
ابن طالوت ٢٧٧
طلحة ١٧٢
أبو العباس (محمد بن أحمد ، أخو أبي عبد الله الداعي) ٢٣١، ٢٢٧-٢٢٥، ١٥٢، ١٥١
٢٧٠-٢٦٦، ٢٦٤، ٢٦٣، ٢٦١-٢٥٩، ٢٣٦، ٢٣٥، ٢٣٢
أبو العباس ابن ابراهيم بن أحمد الأغلب ١٤٥، ١٤٤، ١٤١، ١٣٦، ١٢١، ١٢٠، ٩٣، ٩٢
عبد الرحمن (الناصر الأندلسي) ٢١١
عبد الرحمن (الداخل) ٢١١
عبد الله بن أبي الملاحف ٦١، ٦٠
عبد الله بن الروم ١٨١
عبد الله بن الصانع (الصائغ ؟) ٢٢٤، ٢٢٣، ٢٠٨-٢٠٦، ١٨٥، ١٨٢
عبد الله بن عباس الداعي ٥٤، ٥٣
عبد الله بن كليب ١٩٠، ١٨٨
عبد الله بن ميمون ١٨٩
أبو عبد الله (المجاني) ١٦٤
أبو عبد الله الأندلسي ١١١، ٧٢-٦٩، ٦٨
أبو عبد الله الشيعي الداعي (الحسين بن أحمد) ٨١-٧٦، ٧٣-٦٨، ٦٤-٥٨، ٥٤، ٣٢

١٢٥-١١٦، ١١٤، ١١٢-١٠٩، ١٠٦-١٠١، ٩٩، ٩٧، ٩٥، ٩٣، ٩١، ٨٨
-١٧٨، ١٧٤، ١٧٠-١٦٥، ١٦٢-١٥١، ١٤٨، ١٤٦، ١٤٣، ١٤٢، ١٢٧
، ٢١٤-٢١٢، ٢١٠-٢٠٨، ٢٠٦-٢٠١، ١٩٩-١٩٠، ١٨٨-١٨٥، ١٨٣
، ٢٤٩، ٢٤٨، ٢٤٦، ٢٤٥، ٢٤١، ٢٣٩-٢٣٦، ٢٣٢، ٢٣١، ٢٢٥-٢٢٣
٢٧٣، ٢٧٠-٢٦٣، ٢٦١-٢٥٨، ٢٥٦، ٢٥٥

أم عبد الله بن كليب ١٩٠

ابن عبدون ٨٨

عبلو ١٨٧

عثمان (بن عفان) ١٧٢

عدي بن ذكر ١٨٩

ابن عقب ٨٥

علي بن أبي حجر ٨٢

علي بن أبي طالب ٦٣، ٧٣، ٨٢، ١٧٢، ٢١٧، ٢٤٩

علي بن حفص (المعروف بابن عسلوكة) ٩٤، ١٥٤-١٥٦

علي بن الفضل، أبو الحسن ٣٩-٤٢، ٤٤، ٤٩، ٦٠، ١٤٩، ١٥٠

عمر (بن الخطاب) ١٧٢

عيسى النوشري ٢٢٨-٢٣١

غزوية بن يوسف ١١٥، ١١٦، ١٦٦، ١٦٧، ١٩٤، ١٩٦-١٩٨، ٢٠٠، ٢١٢، ٢٦٣، ٢٦٦

٢٦٨

فاطمة الزهراء ٢١٧، ٢٤٩

فتح بن يحيى المسالي ٩٤، ١٠٩، ١١٠، ١١٨، ١٢١-١٣٦، ١٣٧، ١٦١، ١٦٣

فحل بن نوح، أبو تميم ٩٤، ١١٢-١١٤، ١١٨، ١٣٥

فرجون (مولى موسى بن عياش) ٧٥

فرح بن جيران ٩٤، ١١٤، ١١٧، ١١٨، ١٣٥

فرح بن حية ١٨٩

الفهري ٣٤، ٣٥

فوناس ١٨٧

- أبو القاسم الورفجومي ٦٨-٧٣
أبو القاسم ابن حوشب داعي اليمن الملقب بالمنصور (الحسن بن فرح) ٣٢-٥٤، ٥٩-٦٢،
١٥٠، ١٤٩
القائم العبيدي (أبو القاسم محمد) ١٤٩-١٥١، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٥، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٦،
٢٧٩-٢٧٦، ٢٧٣
ابن القديم ٢٢٨-٢٣٠، ٢٦٥، ٢٦٦
ابن قرهب (أحمد بن زيادة الله) ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٧٤
قس بن ساعدة ٩١
كريم بن زرزور ٨٨
كوربن بن قنبر اللهيصي ١٣٢
لاوة بن صوحان ١٠٧
ماكنون بن ضبارة الاجاني ، أبو يوسف ٧٤، ١١٧، ١٣٥، ١٨٢، ١٩٦، ٢٠٠
مالك (بن انس) ١٤٧
محبوب بن عبدون ٢٠٢، ٢٠٥
محمد (الرسول) ٣١، ٣٣، ٥٢، ٥٣، ٦٢، ٨٤، ٩١، ١٠٧، ١٢٢، ١٣١، ١٧١، ١٧٢،
١٧٤، ١٧٥، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٤٢-٢٤٤، ٢٤٩-٢٥٢،
٢٥٥، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٦٨
محمد بن أبي العباس بن ابراهيم الأغلبي ، انظر : أبو حوال
محمد بن الأغلب ٨٢-٨٤
محمد بن الحسن بن علي بن محمد (امام الاثني عشرية) ٣٣
محمد بن خزر ٢٣٦، ٢٨٠، ٢٨١
محمد بن رمضان ٨٩، ٩٠
محمد بن زنبور ١٨٨
محمد بن سحنون ٨٣
محمد بن عبد الله بن جيمال ، انظر : ابن جيمال
محمد بن عمر المروزي القاضي ٢١٥، ٢٧٢
محمد بن غزوية ١٩٨
محمد بن قرهب ١٦١

محمد بن يعفر ٩١، ٤٣، ٤٢
 محمود بن حفص ١٨٩
 محمود بن هرون ١٠٦-١٠٢
 مخلد بن كيداد ٢٧٧، ٢٧٥، ٢٧٢
 مدليج (بن زكريا) ٢٢٥، ١٨٤
 أبو مديني ١٠٦-١٠٨، ١٨٥، ١٨٦، ١٩٩، ٢٠٠
 مرابط بن عيسى ١٨٩
 مروان (بن الحكم) ٢١١
 مروان (بن محمد) ٢١١
 المشرقي ، انظر : أبو عبد الله الشيعي ..
 أبو المصعب ابن زرارة ٢٢٨، ٢٢٧
 ابن المعتصم المنجم ٧٩، ٧٨
 المعز لدين الله العبيدي ٢٧٩-٢٨٢
 أبو المقارع (حسن بن أحمد بن نافذ) ١٦٠-١٦٣، ٢١٨، ٢١٩
 المكتفي (الخليفة العباسي) ١٧٣، ١٧٤
 أبو مكحول ١٩٤-١٩٦، ١٩٨، ٢٠٠
 مكنداس الجيمي ١٦٩
 المنصور (العبيدي) ٢٧١، ٢٧٨، ٢٧٩
 منصور اليمن ، انظر : أبو القاسم ابن حوشب
 منصور بن خليل الاوربي ١٩١
 المهدي ٣٢-٣٤، ٣٧، ٣٨، ٤٣، ٤٥-٤٨، ٥١، ٥٢، ٧٣، ٨١، ٨٤، ٨٩-٩١، ١٢٧-١٣٠ .
 ١٣٣، ١٤٩-١٥٢، ١٥٤، ١٦٠، ١٩٧، ١٩٨، ٢١٧، ٢٢٦، ٢٣١، ٢٣٧-
 ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٥١-٢٥٥، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٦، ٢٧٨
 مهدي بن أبي كناوة ٩٤، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٩
 موسى (النبي) ٢٥٥
 موسى بن عياش (صاحب ميعة) ٧٥-٧٩، ٩٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٨
 موسى بن مكارمة ٦٣، ٦٨، ٦٩، ٧١-٧٣
 أم موسى بنت الحلواني ١٣٣، ٥٨

- ميسور الصقلي ٢٧٨
 هرون بن الطنبلي ١٦٧-١٦٥
 هرون بن يونس (شيخ المشايخ) ٧٣، ٧٤، ١١٨، ٢٦١، ٢٦٢
 ابن الهمداني (عامل سوسة) ٢٠٨
 ابن الهمداني (مقدم عسكر ابن أبي الأغب) ١٩٦
 الهيثم (ابن أخي ابن خليع) ٤٥
 واكليد بن سنبل ١٨٩، ١٩٠
 ورقة بن نوفل ٩١
 وزرة بن نصر ١١٨، ١٣٥
 ياسين بن يوسف ١٣٣
 يحفور (عبد زيادة الله) ١٦٩
 يحيى بن سليمان ١٦٣، ١٩٧
 يحيى بن القسري ١٦١
 يحيى بن يوسف (المعروف بابن الاصم الاجاني) ١٣٢
 أبو اليسر الرياضي (ابراهيم بن محمد الشيباني) ٨٧، ٨٨
 اليسع بن مدرار ١٢٩، ١٣٠، ١٥٤، ٢٣٧-٢٤٠، ٢٤٢
 ابن يعفر ٤٥، ٥٢
 يعقوب بن المضا ٩٠
 يوسف الغاطشي ١٠٨
 يوسف بن أيوب ١٨٩
 يوسف بن سكلة الغشمي ١٦٩
 يوسف بن محمد، ١١٨، ١٣٥

فہرست القبائل

- بنو أبي خنزیر ۱۳۴
اجانة ۷۴، ۹۴، ۱۰۱، ۱۰۹، ۱۱۰، ۱۱۵، ۱۱۸، ۱۳۵، ۱۹۶
ازایة ۱۱۸
اوربة ۱۹۱
اورسة ۱۱۵
اورشیه ۲۷۳
بنو بشیر ۲۰۵
بنو تمیم (أصحاب بلزمة) ۱۳۷
بنو جلامة ۱۳۶
بنو جودان ۲۰۲
جميلة (جميلة ؟) ۹۵، ۹۷، ۱۰۱، ۱۱۵، ۱۳۹، ۱۹۶
ديهاجة (دنهاجة ؟) ۱۱۵
ربیعة ۱۳۴
زنانة ۱۹۷، ۱۹۸، ۲۳۶
زواوة ۱۱۹
بنو سكتان ۷۲، ۷۳، ۷۵، ۷۸-۷۵، ۹۵، ۹۷، ۹۹، ۱۰۰، ۱۰۳، ۱۰۴، ۱۴۰، ۱۹۹
سمانة ۵۷، ۵۸، ۶۸، ۶۹
السنجرة ۱۳۴
بنو صدغایان ۱۹۴، ۱۹۵

عجيشة (عجيسة ؟) ١١٩

بنو عسلوجة ١٣٧

بنو عفنيث ١١٨

بنو عمر ١٨٧

غشمان (غشمان ؟) ١٠١، ٧٤-١٠٦، ١٠٨، ١٠٩، ١١٥، ١١٧

قريش ٢٧٧، ٢٦٨، ٨٧، ١٩

كثامة ١٠٩، ١٠٣-١٠١، ٩٦-٩٣، ٧٨، ٧٦، ٧٥، ٧٣، ٧١-٦٨، ٦٥، ٦٤، ٦٢، ٦١، ٥٧

١١٤، ١١٨، ١٢٠، ١٢٢-١٢٩، ١٢٧، ١٢٢-١٣٥، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٢

١٥٢، ١٥٤-١٥٨، ١٦٠، ١٧١، ١٨٣، ١٩٣، ١٩٩، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢١٠

٢١٤، ٢١٩، ٢٣٦، ٢٥١، ٢٥٦، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٨

كزناية ١٨٧، ٢٠٤

لطاية ١٠٩، ١٠١، ٩٤، ١١٢، ١١٥، ١١٨، ١٣٤

لهيصة ١٠٩، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٩، ١١٧، ١١٨، ١٥٥

لواتة ٢٠٤

بنو ماجن ١٩٦

بنو مالك ٨٨، ٨٩

بنو ماوطننت ٢٧٣

متوسة ٩٥

مدغرة ١٩٩

مزاة ١٠٨، ١٠٩، ١١٢، ١١٤، ١١٦

مساللة ٧٤، ١١٤، ١١٨، ٢٠٣

بنو معاد ١٦٧

مكلالة ١٨٧، ٢٠٤

ملزوزة ١٨٦

ملوسة ١٠١، ١٠٦، ١١٤، ١١٥، ١١٧، ١٩٨، ٢٠٣

بنو موسى (باليمن) ٤٤

بنو نبطاش ٢٠٢

نقرة ٢٠٥، ١٨٦، ٥٧

بنو هراش ١٩٤، ١٨٩

هواره ٢٠٥، ١٦٧

هواره كادران ١٩٦

بنو ورديم ١٩٦، ١٩٥، ١٨٩

بنو وشنو ١٩٥، ١٩٤

بنو يناوة ٢٠٣، ٢٠٢

فهرست الاماكن

- الاريس ٥٥، ١٧٨-١٨٢، ١٨٥، ١٨٩، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٩، ٢٠١-٢٠٣، ٢٠٦، ٢٢٠، ٢٢١
الاسكنرية ٢٢٧
- افريقية ٥٤، ٦١، ٦٥، ٦٨، ٧٧، ٧٨، ٨٢، ٩١، ٩٢، ١٢٠، ١٢٨، ١٣٥، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٤
١٤٧، ١٤٨، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٣، ١٦٧، ١٧٠، ١٧٤، ١٨٢، ١٩٣، ١٩٨
١٩٩، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٢، ٢١٩، ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٢
٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٦، ٢٦١، ٢٦٩
- المرية ٢٨١
الاندلس ٢٧٧، ٢٨١
اوراس (جبل) ١٦٦، ٢٧٧
ايكجان (جبل) ٧٢، ٧٣، ٧٥، ٧٦، ٩٣، ٩٩، ١٠١، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٣، ١٥٥-
١٥٧، ١٦٣، ١٦٥، ١٨٢، ١٨٦، ١٨٨، ١٩٠، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٨-٢٠١
٢١٨، ٢١٩، ٢٤٦
- باب زانة ١٩١
باب سلم (من القيروان) ١٨١
باغاية ٥٦، ٨٨، ١٣٧، ١٤٦، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٦، ١٦٨-١٨١، ١٨٦-١٩١، ١٩٧-٢٠١
البحرين ٤٧
برقة ٢٧٤
بغداد ١٥٠، ١٧٤، ٢٢٨-٢٣١
بلد اجانة ١٥٨

بلد الروم ٢٨١، ٢٥٤، ١٤٣، ١٢١
 بلد كتامة ٢٧٣، ٢٤٦، ١٥٧، ١٥٦، ١٢١، ٩٦، ٩٣، ٧١، ٦٧، ٦٢، ٦٠
 بلد لطاية ١٣٩
 بلد لهيصة ١٤٢
 بلد ملوسة ١٤٢، ١٣٨، ١١٤
 بلزمة ١٦٦-١٦٤، ١٤٦، ١٣٧، ٩٤، ٨٩، ٨٨، ٦٤
 بونة ١٩١
 بيت المقدس ٢٣١
 البيضاء ، انظر : المهديّة
 تازروت ١٣٥، ١٣٤، ١٢٠، ١١٧، ١١٦، ١١٠، ١٠٩، ١٠٧، ١٠٥، ١٠٢، ١٠٠، ٩٩، ٧٤
 ١٣٨، ١٣٧
 تاسلست ١٤٢
 تاكوت ٩٧
 تالا ٥٣
 تاهرت ٢٧٤، ١٣٠
 تبسى ١٩٢، ١٩١، ١٨٦
 تونس ١٤٨، ١٤٦، ١٤٥، ١٣٩، ١٣٧، ١٣٦، ١٢٠، ٨٤
 تيجس ١٧٠-١٦٧
 تيفاش ١٩٠-١٨٨
 جبل بانورات ١٩٥
 جبل بلزمة ١٦٦
 جبل الحراقين ٢٠٤
 جبل الساطور ١٩٦
 جبل لاعة ٤٦
 جبل المطاحق ١٨٦
 جثيرمس ٢٠٤
 الجزيرة (من مصر) ٢٢٩، ٢٢٨
 الجند ٥١-٤٩

جيبل ٨٦
 جيشان ٤٩، ٣٩، ٣٨
 خان فرجون (مولى ابن عياش) ١٣٩، ٧٥
 الحربتين ٨٤
 دار مدين ١٩٤، ١٩٣، ١٩١
 دار ملول ١٦٦، ١٦٥
 دجلة ٣٥
 دقة ٢١٢، ٢٠٥
 ديار ربيعة ١٣٤
 ذات الحمام ٢٣١، ٢٣٠
 رأس الفحصين ١٦٧
 رقادة ٢١٧، ٢١٤—٢١٢، ٢٠٩—٢٠٧، ٢٠٥، ١٩٣، ١٩٠، ١٨١، ١٧٩، ١٤٨، ٨٨، ٨٧
 ٢٧٦، ٢٧١، ٢٦٦، ٢٥٧، ٢٥٣، ٢٤٩، ٢٣١، ٢٢٥، ٢٢٢
 الرقة ٢٣١، ٢٣٠
 الرملة ٢٢٩
 الزاب ٢٧٩، ١٥٧، ١٥٢
 سبية ٢١٢
 سجا ١١٥
 سجلماسة ١٢٨—١٣٠، ١٤٩، ١٥٢—١٥٤، ١٦٠، ١٩٧، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٤٠—
 ٢٥٩، ٢٤٥، ٢٤٢
 سطيف ١٥٦—١٥٤، ١٤٣، ١٤٢، ١٣٧، ١١٩، ١١٨، ١١٦، ١١٤، ١٠٩، ٩٤، ٦٤
 سكتانة ١٢٢
 سنجار ١٣٤
 السند ٤٧، ٤٥
 سوجمار ٦٨، ٥٨، ٥٧
 سوسة ٢٧٨، ٢٢٤، ٢٠٩—٢٠٧
 سوق الأحد ٢٧٨
 شقبنارية ٢٠٤، ٢٠٢

الصعيد ٢٧٤
 صقلية ٩٢، ٩٣، ١٢٠، ١٤٤، ١٤٥، ٢٠٧، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٧٤
 صنعاء ٤٢، ٤٧، ٤٨
 الطاحونة ١٥١
 طبرشق ١٨٧، ١٩٥
 طبرمين ٩٢
 طينة ١٥٨-١٦٠، ١٦٣، ١٦٥، ١٩٧، ٢١٨، ٢٣٦
 طرابلس ٦٨، ١٥١، ١٥٢، ٢٢٣-٢٢٧، ٢٥٤، ٢٥٩، ٢٦٦، ٢٧٤، ٢٧٧
 عدن (عدن أبين) ٤١، ٤٤
 عدن لاعة ٤١، ٤٤، ٤٥، ٦٢
 العراق ٢٧٧
 الغرة البيضاء ٢٠٤
 فج الأخيار ٧٢، ٧٣
 فج العرعار ١٦٨، ١٩٩، ٢٠٠
 فحص الرماح ١٦٦
 الفرات ٣٥
 فندق البلزمين (برقادة) ٨٨
 الفيوم ٢٧٤
 القادسية ٤٢
 قلعة ١٨٩، ١٩٠، ١٩٥
 القريات ٢٠٠
 قسطنطينية (قسطنطينية) ٦٨، ٨٢، ١٥٢، ١٥٣، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٥
 قصر الافريقي ١٨٧، ٨٩٢، ١٩٥
 القصر القديم ٨٣، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٤، ٢٢٥، ٢٥٣، ٢٧٠، ٢٧١
 القصرين ١٩٢-١٩٤
 قصة ٨٢، ١٩٧، ١٩٨
 قلساية ٢٠٧
 القلعة ١٨٧، ١٩٢

قلعة قسر ١٨٦
قلعة مجانة ١٨٦
قلورية ٢٨١، ٢٧٩
قمودة ٢٠٥، ١٩٢
القيروان ٢٠٨، ٢٠٦، ٢٠٤، ١٨٤، ١٨١—١٧٨، ١٧٤، ١٦٨، ١٥٢، ١٤٨، ٨٨، ٨٤، ٨٣
٢٤٩، ٢٤٨، ٢٣٢، ٢٢٧—٢٢٥، ٢٢١، ٢١٧، ٢١٥، ٢١٤، ٢١٢، ٢١٠
٢٧٩—٢٧٧، ٢٧٢—٢٦٩، ٢٥٤، ٢٥٣، ٢٥٠

كبونة ١٥٨
كتابة ٢٧٩
كجارمة ١٣٩
كرشة ٢٠٠
كسته ١٤٤.٩٢
الكوفة ٥٩.٣٣
لاعة ٦٢.٤٤.٤١
مجانة ١٩٢، ١٨٩، ١٨٦، ١٨٥، ١٦٤
مجرس ١٣٧، ١٢٠
المدينة ١٢٢
المنيرة ٥٢.٥٠—٤٨
مرماجنة ٢٠١، ١٩٢، ٥٨، ٥٦—٥٤
مسكيانة ٢٠١.١٩١
المشرق ٢٨١، ٢٤٩، ٢٢٦، ٢٢٥، ١٤٩، ١٢٨، ٩٨، ٩٣، ٦١
مصر ٢٧٤، ٢٧١، ٢٣٥، ٢٣١—٢٢٧، ٢٠٧، ١٥٢—١٤٩، ٦٧، ٦٦، ٦٣، ٥٣، ٤٧
المغارة ٢٠٣
المغرب ٢٧٦، ٢٤٩، ٢٣٦، ٢٣٥، ٢٣٠، ١٧٦، ١٥٢، ١٢٨، ٩٩، ٨٦، ٦٠—٥٨، ٥٤، ٤٧
مكة ٦٢، ٦٠، ٤٢
منى ٦٣، ٦٢
منيولة ٢٠٢
المهدية (البيضاء) ٢٧٨، ٢٧٥، ٢٧٢، ٩١، ٨٦

ميدرة ١٩١-١٩٣

ميلة ٦٤، ٧٥، ٧٧، ٩٠، ٩٤، ٩٩، ١٠٩، ١١٤، ١١٦، ١١٨-١٣٨، ١٣٥، ١٣٤، ١٤٠، ١٥٤،

١٥٦، ١٦٢، ٢٧٣

الناظور ٥٨، ٥٧

نقطة ٨٨، ٥٥

نوبو (وشنوك) ١١٩

النيل ٢٧٤

الهارونية ٨٣

الهدف ٢٧١

الهند ٤٤، ٤٧

وادي تافرننت ١١٢

وادي الرمل ٢٠١، ٢١٢

وادي مجانة ١٨٦، ٢٠١

وادي النجاة ٩٧

وشنوك، انظر: نوبو

اليمامة ٤٧

اليمن ٣٢، ٣٣، ٣٨-٤٢، ٤٤، ٤٦-٤٩، ٥٣، ٥٩، ٦٠-٦٢، ٩١، ٩٩، ١٤٩، ١٥٠

فهرست المحتويات

٧	مقدمة التحقيق
٢٩	رسالة افتتاح الدعوة
٣٢	ذكر ابتداء الدعوة باليمن والقائم بها والسبب الذي كان من قيامه بأسبابها
٤٧	ذكر نكت من أخبار أبي القاسم صاحب دعوة اليمن
٥٤	ذكر السبب الذي تقدم إلى المغرب قبل قدوم الداعي إليه
	ذكر وصول أبي عبد الله داعي المغرب إلى صاحب دعوة اليمن
٥٩	وخروجه من عنده
	ذكر اجتماع أبي عبد الله مع الرجال الكتاميين بمكة ووصوله معهم
٦٢	إلى بلد كتامة
٧١	ذكر وصول أبي عبد الله إلى بلد كتامة وابتداء أمره فيه
	ذكر جواب إبراهيم بن أحمد لموسى بن عياش مع رسول من قبله
٧٨	إليه وإرساله إلى أبي عبد الله
٩٣	ذكر قيام الجماعة من كتامة على أبي عبد الله ليأخذوه بإيكجان
٩٩	ذكر خروج أبي عبد الله من إيكجان ومسيره إلى تازروت
١٠٢	ذكر اجتماع الجماعة للحيلة في أمر أبي عبد الله
١٠٩	ذكر زحف جميع القبائل إلى أبي عبد الله والفتح له عليهم
	ذكر ابتناء أبي عبد الله بتازروت واتخاذها دار هجرة ومحاربتة
١١٧	القبائل منها
	ذكر ما أجراه أبو عبد الله في كتامة من السياسة التي ملكهم بها

١٢٢	وانطاعوا له من أجلها
١٣٤	ذكر افتتاح مدينة ميعة
	ذكر خروج أبي حوال بالعساكر إلى كتامة وما كان من أمره في ذلك وانصرافه منه
١٣٧	
١٤٢	ذكر رجوع المعروف بأبي حوال بالعسكر الثاني وانصرافه مهزوماً
	ذكر هجرة المهدي عليه السلام من دار قراره بالمشرق ووصوله إلى سجلماسة
١٤٩	
١٥٤	ذكر افتتاح مدينة سطيف
	ذكر اخراج زيادة الله ابراهيم بن حبشي لحرب أبي عبد الله إلى بلد كتامة وانهمزاه
١٥٦	
١٦٠	ذكر افتتاح مدينة طينة
١٦٤	ذكر افتتاح بلزمة
١٦٥	ذكر وقعة دار ملول
١٦٧	ذكر افتتاح مدينة تيجس
	ذكر كتاب زيادة الله إلى البلدان بتسكينها وتهديتها ما اتصل به أنه استفاض من الرعب منها
١٧٠	
١٧٨	ذكر خروج زيادة الله بالعساكر إلى مدينة الاربس وانصرافه منها
١٨١	ذكر افتتاح مدينة باغاية
١٨٥	ذكر وقائع أبي عبد الله بمجانة ونواحيها مما يلي الاربس
١٩١	ذكر وقعة دار مدين
١٩٧	ذكر افتتاح قسطيلية وقفصة
٢٠١	ذكر افتتاح مدينة الاربس وانهمزاه ابن أبي الأغلب
٢٠٥	ذكر هروب زيادة الله من رقادة
	ذكر وصول ابراهيم بن أبي الأغلب إلى مدينة القيروان وما أراد من العقد بها
٢٠٩	
٢١٢	ذكر دخول أبي عبد الله افريقية ونزوله برقادة واستقامة الأمور له
	ذكر ما أمر به أبو عبد الله من أمان العامة وما أجراه فيها من وجوه الضبط والسياسة
٢١٤	

٢٢٢	ذكر مسير زيادة الله ووصوله إلى المشرق وأخباره إلى أن هلك
	ذكر انصراف أبي عبد الله إلى سجلماسة وافتتاحه إيها وخروج
٢٣١	المهدي بالله عليه السلام منها
	ذكر قدوم المهدي عليه الصلاة والسلام من سجلماسة ووصوله إلى
٢٤٥	افريقية
	ذكر ما أجراه المهدي عليه السلام من سياسة الامامة في الناس
٢٤٩	وأظهره
٢٥٩	ذكر أخبار المنافقين على المهدي عليه السلام وما آلت أمورهم اليه
	ذكر من نكث في ذلك الوقت من أهل افريقية ممن أعطي الأمان
٢٦٩	وعقوبتهم على النكث والعدوان
	ذكر جمل من أخبار المهدي عليه الصلاة والسلام إلى أن أكرمه الله
٢٧٣	عز وجل بقبضه اليه
	ذكر جمل من القول بعد المهدي عليه الصلاة والسلام إلى حين
٢٧٧	الوقت الذي ألف هذا الكتاب فيه
٢٨٤	مصادر المقدمة والتحقيق
٢٨٩	الفهارس العامة
٢٩١	فهرست الأعلام
٢٩٩	فهرست القبائل
٣٠٢	فهرست الأماكن
٣٠٨	فهرست المحتويات

